

# الْمُجَاهِدُونَ

مَجَاهِدَةٌ فَضْلِيَّةٌ مُحَكَّمَةٌ

تَعْنِي عُلُومَ كِتابِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ

وَبِسِيرَةِ الْإِمَامِ عَلَى وَفَكَرِهِ

تَصْدِرُ عَنْ

الْأَمَانَةِ الْعَامَّةِ لِلْعَيْنَةِ الْحُسَينِيَّةِ الْمُقدَّسَةِ

مُؤْسَسَةِ عُلُومِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ

مُجاَهِدٌ منْ وزَارَةِ التَّعْلِيمِ الْعَالِيِّ وَالْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ

مُعْتَمَدٌ لِأَغْرَاضِ التَّرْقِيَّةِ الْعِلْمِيَّةِ

السَّنَةُ الْأُولَى - الْعَدْدُ الْأُولَى

٢٠١٦ هـ - ١٤٣٧ م



---

الترقيم الدولي 1313-2414: ISSN:  
العنوان: العراق- كربلاء المقدسة- شارع السدرة: مجاور مقام علي الأكبر عليه السلام  
مؤسسة علوم نهج البلاغة  
للمعلومات والاتصال  
07728243600  
07815016633  
الموقع الإلكتروني: [www.Inahj.org](http://www.Inahj.org)  
البريد الإلكتروني: [Inahj@Imamhussain.org](mailto:Inahj@Imamhussain.org)

---

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَيْءٍ

وَلَا يَمْلِئُ كُلَّ شَيْءٍ

أَحَدًا مِمَّا تَرَى فِي الْأَنْفُسِ مِمَّا هُمْ بِهِ

(سورة يس، الآية: ١٢)



المشرف العام  
سماحة الشيخ عبد الهادي الكربلاوي

المولى الشرعي للعتبة الحسينية المقدسة

رئيس التحرير  
السيد نبيل قدوري حسيني

رئيس مؤسسة علوم نهج البلاغة

مدير التحرير  
د. لوع عبد الحسن عطية

المديريّة العامة للتربية - كربلاء

سكرتير التحرير  
عالي حاسين محمد علي

بكالوريوس إدارة الأعمال - جامعة كربلاء

## الهيئة الاستشارية

أ. د. محمد جواد الطريحي

جامعة بغداد - العراق

أ. د. عبد الهادي بن عمار غيلوفي

جامعة قصبة - تونس

أ. د. حسن منديل العكيلي

جامعة بغداد - العراق

أ. د. سامي حمود الحاج جاسم

المجامعة المستنصرية - العراق

أ. د. نجاح فاهم العبيدي

جامعة تكريلا - العراق

أ. م. د. علي عبد الفتاح الحاج فرهود

جامعة بابل - العراق

أ. د. صلاح مهدي الفرطوسى

جامعة الحكوفة - العراق

أ. د. علي مهدي زيتون

الجامعة اللبنانية - لبنان

أ. د. محمد حسين النقوى

جامعة بهاء الدين زكريا - باكستان

أ. د. أیاد عبد الحسين الخفاجي

جامعة تكريلا - العراق

أ. د. حاكم حبيب الكريطي

جامعة الحكوفة - العراق

أ. د. جواد كاظم النصر الله

جامعة البصرة - العراق

## هيئة التحرير

أ. م. د. مصطفى كاظم شغيدل

جامعة بغداد - كلية الآداب

أ. م. د. صالح كاظم عجيل الجبوري

جامعة بابل - كلية الآداب

أ. م. د. يوسف كاظم الشمري

جامعة بابل - كلية الآداب

أ. م. د. حسين لفته حافظ

جامعة الكوفة - مركز دراسات الكوفة

أ. م. د. فهد نعيمة مخليف البيضاني

جامعة كربلاء - كلية التربية للعلوم الإنسانية

أ. م. د. مؤيد جاسم محمد حسين

جامعة كربلاء - كلية العلوم الإسلامية

أ. م. د. حسن حميد فياض

جامعة الكوفة - كلية التربية الأساسية

أ. م. د. عدنان مارد جبر

جامعة كربلاء - كلية التربية للعلوم الإنسانية

أ. م. د. فليح خضرير شني

جامعة واسط - كلية الآداب

أ. م. د. محمد عايد الحسيني

جامعة القادسية - كلية التربية

أ. م. د. عبد علي كاظم الفلاوي

جامعة كربلاء - كلية السياحة الدينية

## المراجعة اللغوية

أ. م. د. ليث قابل الوائي

جامعة كربلاء - كلية التربية للعلوم الإنسانية

## الإدارة المالية

زمان جعفر كاظم علوان  
بكالوريوس محاسبة - كلية بغداد للعلوم الاقتصادية

## الموقع الإلكتروني

أحمد عباس مهدي عباس  
بكالوريوس هندسة برمجيات - كلية الرافدين الجامعية

## تدقيق اللغة الإنجليزية

أحمد طالب محمد خلف  
بكالوريوس لغة إنجليزية - جامعة بغداد

## المتابعة والتنسيق

علي افضلية الشمري  
ووجدي فاضل زيدان

## الإخراج والتصميم

مهندی رزاق صالح

## شروط النشر في المجلة

ترحّب مؤسسة علوم نهج البلاغة بنشر البحوث والدراسات العلمية في مجلتها (المبين) وفقاً للشروط الآتية:

١. تنشر المجلة البحوث الأصيلة الملزمة بمنهجية البحث العلمي وخطواته المتعارف عليها عالمياً، والمكتوبة بإحدى اللغتين العربية والإنجليزية.
٢. أن يكون البحث منسجماً مع هوية المجلة في نشر البحوث المختصة بعلوم كتاب نهج البلاغة وبسيرة الإمام علي عليه السلام وفكره في مجالات المعرفة كافة.
٣. يُقدم الأصل مطبوعاً على ورق (A4) بنسخة واحدة مع قرص مدمج (CD) بحدود (١٥,٠٠٠ - ١٠,٠٠٠) كلمة، بنظام (٢٠٠٧ WORD)، وتكون الكتابة بحجم خط (١٦) للعناوين، و(١٤) للمنت، و(١٢) للهامش، والتبعاد بين الاسطر (١سم)، ونوع الخط (Times New Roman) في البحوث العربية، و(Simplified Arabic) في البحوث الإنجليزية.
٤. يُقدم ملخص للبحث باللغتين العربية والإنجليزية، كل منها بحدود صفحة مستقلة على أن يتضمن عنوان البحث.
٥. يجب أن تتضمن الصفحة الأولى من البحث اسم الباحث ولقبه العلمي ومكان عمله (باللغتين العربية والإنجليزية)، ورقم هاتفه وبريده الإلكتروني، مع مراعاة عدم ذكر المعلومات المذكورة آنفاً في صلب البحث.
٦. يشار إلى المصادر جميعها بأرقام الهوامش التي تنشر في آخر البحث وتراعي الأصول العلمية المتعارف عليها في التوثيق.

٧. يزود البحث بقائمة المصادر منفصلة عن الهوامش، ويراعى في ترتيبها النظام الألفبائي لعنوانات الكتب أو أسماء المؤلفين، وفي حالة وجود مصادر أجنبية تُخصص لها قائمة منفصلة عن قائمة المصادر العربية.

٨. تطبع الجداول والصور واللوحات على أوراق مستقلة، ويُشار في أسفل الشكل إلى مصدره أو مصادره مع تحديد أماكن ظهورها في المتن.

٩. أن لا يكون البحث منشوراً أو مستلاً، وليس مقدماً إلى أي وسيلة نشر أخرى، وينبغي أن يُشار إلى أن البحث غير مقدم إلى مؤتمر أو ندوة، وإذا كان كذلك فيجب أن يكون غير منشور، وعلى الباحث تقديم تعهد مستقل بذلك كله.

١٠. إرفاق نسخة من السيرة العلمية إذا كان الباحث يتعاون مع المجلة للمرة الأولى.

١١. تعبّر جميع الافكار المنشورة في المجلة عن آراء كاتبيها ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار، ويُخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجهاً فتية.

١٢. تخضع البحوث لتقويم سري لبيان صلاحياتها للنشر ولا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء أقبلت للنشر أم لم تقبل وعلى وفق الآلية الآتية:  
أ: يُبلغ الباحث بتسليم المادة المرسلة للنشر.

ب: يخطر أصحاب البحوث المقبولة للنشر بمراجعة هيئة التحرير على نشرها وموعد نشرها المتوقع.

ج: البحوث التي يرى المقومون وجوب إجراء تعديلات أو إضافات عليها قبل نشرها تُعاد إلى أصحابها مع الملاحظات المحددة كي يعملوا على إعدادها نهائياً للنشر.

د: البحوث المرفوضة يُبلغ أصحابها من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.

هـ: يمنح كل باحث نسخة واحدة من العدد الذي نشر فيه بحثه ومكافأة مالية.

١٣. يُراعى في أسبقية النشر:

أ: البحوث المشاركة في المؤتمرات التي تقييمها جهة الاصدار.

ب: تاريخ تسلّم رئيس التحرير للبحث.

ج: تنويع مجالات البحوث كل ما أمكن ذلك.

١٤. لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيئة التحرير إلا لأسباب

تقتضي بها هيئة التحرير، على أن يكون ذلك في مدة أسبوعين من تاريخ تسلّم بحثه.

١٥. يحق للمجلة ترجمة البحوث المنشورة في أعداد المجلة إلى اللغات الأخرى، من غير

الرجوع إلى الباحث.

١٦. تُرسل البحوث إلى البريد الإلكتروني لمجلة المبين ([inahj@imamhussain.org](mailto:inahj@imamhussain.org))

أو تسلم مباشرةً إلى مقر المجلة على العنوان الآتي:

العراق/ كربلاء المقدسة/ شارع السدرة/ قرب مقام علي الأكبر عليه السلام / مؤسسة

علوم نهج البلاغة.





Ref. No.:

Date: / /



اشارة الى كتابكم المرقم بالعدد ٥٨ في ٢٠١٦/٣/٢٢ والمحاق بكتابنا المرقم بالعدد ١٠٢٣٧ في ٢٠١٦/٤/١٨ نود احاطةكم علماً بالموافقة على اعتماد مجلتكم الموسومة (المين) مجلة محكمة ومرصبة لاغراض نشر البحث العلمية ومن قبل جامعتنا فقط مراجين لكم دوام الازدهار والتوفيق ..... مع الاحترام

أ.م.د. قحطان هادي الجبوري  
مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية  
٢٠١٦/٤/٢٨

// صورة معمل

- مكتب السيد رئيس الجامعة ..... مع الاحترام .
- مكتب السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية .. للفضل بالاطلاع مع الاحترام .
- كلية الدراسات القرآنية ..... مع الاحترام .
- نسخة البحث والتطوير /بع الأوراق .
- الصادرة .



Babylon\_research@yahoo.com  
babylon\_research@uobabylon.edu.iq

Researchdep@gmail.com  
Researchdep@uobabylon.edu.iq

## كلمة الافتتاح

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما ألهم والصلوة والسلام على خير النعم وأتمّها محمد وآلـهـ الأخيـارـ الأطـهـارـ.

أما بعد:

فإنّ لكلّ أمة من الأمم حضارتها التي تفتخر بها على غيرها من الأمم، ولكلّ حضارة رجالها الذين بنوها بالفكر والعمل والجد والاجتهد، ولكلّ حضارة شواهدها الشامخة وعلائمهـ القائمةـ وهي تحاكيـ الأجيـالـ علىـ كرورـ الأيـامـ أنـ هـاهـنـاـ كانتـ أـمـةـ. ولكن ليس كلّ من رأى حضارة أمة تفكّر في حالـهاـ واعتـبرـ بأـخـبـارـهاـ وأـفـوـلـ نـجـمـهاـ فـلـمـ يـقـ منـهـاـ سـوـىـ مواـضـعـ الأـطـلـالـ تصـهـرـهاـ أـشـعـةـ شـمـسـ النـهـارـ وتـقـزـوـهاـ الأـمـطـارـ وـتـدـبـ حالـهاـ الأـطـيـارـ التـيـ اـتـخـذـتـهاـ أـوـكـارـاـ لـأـعـشـاشـهاـ وـمـؤـىـ لـفـرـاخـهاـ وـكـأنـ قـدـرـهاـ قدـ حـتـمـ عـلـيـهاـ أـنـ لاـ يـلـحـظـهـاـ سـوـىـ فـرـاخـ هـزـيلـةـ وـزـوـاحـفـ دـخـيـلـةـ تـجـوـبـ شـقـوقـ جـدـرانـ هـيـاـكـلـ الحـضـارـةـ وـهـيـ تـأـزـ بـأـصـوـاتـهـاـ لـتـدـعـوـ إـلـيـهـاـ أـنـ هـاهـنـاـ كانتـ أـمـةـ.

ولكنـناـ هـنـاـ فيـ حـضـارـةـ لـيـسـ كـبـقـيةـ الحـضـارـاتـ فـشـمـوـخـهاـ قـائـمـةـ فيـ الأـذـهـانـ وـعـلـائـمـهاـ حـاضـرـةـ فيـ القـلـوبـ وـهـيـاـكـلـهاـ تـشـدـ الأـرـوـاحـ لـتـهـفـوـ إـلـيـهاـ أـسـيـرـةـ لـأـمـرـهـاـ وـمـنـقـادـةـ لـنـهـيـهـاـ تـغـفـوـ عـلـىـ الـمـعـنـىـ هـنـاـ وـتـرـتـشـفـ الدـلـالـةـ هـنـاكـ وـتـنـتـشـيـ العـبـرـةـ هـنـالـكـ، فـضـلـاـ عـنـ حـيـرـتـهـاـ فيـ نـسـقـ التـعـبـيرـ وـجـمـالـيـةـ المـغـزـىـ وـقـوـامـ الـجـمـلـةـ، إـنـاـ فيـ حـضـارـةـ الـكـلـمـةـ، كـلـمـةـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ الـإـمـامـ عـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ (عـلـيـهـ الصـلـوةـ وـالـسـلـامـ) تـلـكـ الـحـضـارـةـ التـيـ عـجـزـتـ عـنـ مـحـوـهـاـ الـأـنـدـادـ مـنـ الـأـعـرـابـ وـالـأـعـاجـمـ فـتـكـسـرـتـ عـلـىـ جـدـرانـ حـقـاقـقـهـاـ الـمـعـاـولـ، وـتـقـهـقـرـتـ بـسـاحـاتـ مـعـارـفـهـاـ الـفـطـاحـلـ، وـيـأـسـتـ عـنـ بـلوـغـ مـغـزـاـهـاـ الـأـعـاظـمـ. لأنـهاـ حـضـارـةـ الـكـلـمـةـ.. كـلـمـةـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ الـإـمـامـ عـلـيـ (عـلـيـهـ السـلـامـ) الـذـيـ لـمـ يـزـلـ صـدـىـ دـعـوـتـهـ مـرـدـداـ «ـأـنـ هـاهـنـاـ عـلـمـاـ جـمـاـ لـوـ أـصـبـتـ لـهـ مـنـ حـمـلـةـ»ـ.

من هنا: اتّخذت مؤسسة علوم نهج البلاغة منهاجها في النهوض بهذا التراث المعرفي الذي اكتنـزه كتاب نهج البلاغة فقامت بتأسيس مجلة علمية فصلية مُحكمة مُعتمدة لأغراض الترقية العلمية في المجال الأكاديمي، تهدف إلى استئنـاظ الأقلام العلمية والفكـرية للإرتـشاف من معين علوم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وكتاب نهج البلاغة الذي يعد بوابة يلحـ منها أهل الفكر والبحث إلى حضارة الكلمة ، كلمة الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وقرآنـه الناطـق على بن أبي طالب عليه السلام.

لذا:

تدعـو أسرة (مجلة المـبين) المـفكـرين والـباحثـين في الجـامـعـات والـحوـزـات الـعلـمـيـة إلى الكـاتـابة فيها والإـسـهام في رـفـدهـا بالـأـبـحـاث الـعـلـمـيـة والـدـرـاسـات الـمـعـمـقـة؛ ليـدـلـوا بـدـلـوكـم في رـياـضـ حـضـارـةـ الكلـمـةـ الفـيـاضـةـ لـتـنـتـشـيـ الأـرـوـاحـ وـتـقـرـ العـيـونـ وـتـأـسـ النـفـوسـ وهـيـ تـجـوبـ بـينـ أـرـوـقـةـ عـلـومـهاـ العـدـيدـ وـحـقـولـ مـعـارـفـهاـ الجـمـةـ.

ولا سيـماـ آنـ (المـبيـنـ) تعدـ أولـ مجلـةـ عـلـمـيـةـ مـحـكـمـةـ فيـ العـالـمـ الـاسـلـامـيـ مـخـتـصـةـ بـعـلـومـ

كتـابـ نـهجـ الـبـلـاغـةـ وـسـيـرـةـ الإـمـامـ عـلـيـ عـلـيـهـ السـلـامـ وـفـكـرـهـ.

سـائـلـينـ اللهـ تـعـالـىـ التـوـفـيقـ وـالـتـسـدـيدـ لـإـدـامـةـ هـذـاـ الصـرـحـ الـعـلـمـيـ، وـنـسـأـلـهـ بـلـطـفـهـ وـسـابـقـ

رـحـمـتـهـ وـخـيرـ نـعـمـهـ وـأـنـمـاـهـ مـحـمـدـ وـآـلـهـ آـنـ يـدـيمـ عـلـيـنـاـ فـضـلـهـ وـفـضـلـ رـسـوـلـهـ الـكـرـيمـ وـهـوـ الـقـائـلـ

وـقـولـهـ حـقـ وـوـعـدـهـ صـدقـ:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضِوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ  
وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ الاسراء - ٥٩ -

الـلـهـمـ إـنـاـ إـلـيـكـ رـاغـبـونـ وـفـضـلـكـ وـفـضـلـ رـسـوـلـكـ سـائـلـونـ، وـالـحـمـدـ لـلـهـ رـبـ الـعـالـمـينـ...

رئيس التحرير

## المحتويات

اسم الباحث

عنوان البحث

الصفحة

أ.د. عبد الهادي خضيرنيشان  
جامعة بغداد / كلية التربية للبنات  
قسم اللغة العربية

**التشبيه البليغ بأسلوب المفعول  
المطلق في كتاب نهج البلاغة**

١٩

أ. د. حسين علي الشرهاني  
جامعة ذي قار  
كلية التربية للعلوم الإنسانية  
قسم التاريخ

**منهج أمير المؤمنين (عليه السلام)  
في معالجة الفساد المالي**

٦٩

أ. م. د. أسيل متعب الجنابي  
جامعة واسط / كلية الآداب  
قسم اللغة العربية

**دلالة التشخيص في  
خطب نهج البلاغة**

١٣٧

أ.م. د. عباس علي الفحام  
جامعة الكوفة  
كلية التربية الأساسية  
قسم اللغة العربية

**الإمام علي (عليه السلام) في  
مجالس السيد المرتضى**

١٦٣

الصفحة	عنوان البحث	اسم الباحث
--------	-------------	------------

أ.م.د. محمد حسين علي السويطي  
جامعة واسط / كلية الآداب  
قسم التاريخ

**مفهوم علم التاريخ وأهميته في  
فكر الإمام علي (عليه السلام)**

٢٠٣

م. د. عبد الهادي عبد الرحمن الشاوي  
جامعة الكوفة  
مركز دراسات الكوفة

**الأساليب البلاغية في خطب  
 أصحاب الإمام علي (عليه السلام)  
في وقعة صفين**

٢٣٧

م. د. انتصار عدنان عبد الواحد  
جامعة البصرة / كلية الآداب  
قسم التاريخ

**وظائف النبوة دراستها في  
نهج البلاغة**

٢٠٠

م. م. عقيل رشيد عبد الشهيد الأستاذ  
جامعة الكوفة  
كلية التربية الأساسية

**تربية الطفل في  
فكرة الإمام علي (عليه السلام)**

٢٨٧

قال أمير المؤمنين عليه السلام

فِي مَرْبَدِ الْمُرْسَلِينَ لَا يَأْتِي مَنْ مُرْسَلٌ

مستدرك بـ نهج البلاغة، الشیخ هادی کاشف الغلط، ص ۲۱۱

# التشبيه البليغ بأسلوب المفعول المطلق

## في كتاب نهج البلاغة

أ. د. عبد الهادي خضير نيشان

جامعة بغداد / كلية التربية للبنات

تظل بلاغة الإمام علي عليه السلام نبعاً لا ينضب مهما ازدحم حوله القصّاد، وبحراً لا تنفد جواهره على كثرة الغائصين فيه ، من يأسرهم جمال التعبير وبراعة الصورة. وكان لا بدّ لنا بما من الله علينا به من معرفة بلاغية من أن نحاول الدنو من عالم الإبداع والخلق المبتكر لهذا المبدع الذي خصه الله ببلاغة لا تدانيه بلاغة أحد من البشر، هي التي تمثلت في كتابه (نهج البلاغة).

## المقدمة:

هذه الضرب، مبتدئين - بإذنه تعالى

- بالتشبيه البليغ بأسلوب المفعول المطلق.

كلما قرأت كلاماً للإمام علي عليه السلام أو سمعت واحدة من حكمه أو أقواله المأثورة التي يتداولها الناس في شؤون حياتهم اليومية المختلفة، تذكرت مقولة للإمام الرّمانى وهو يفسر في رسالته المعروفة (النكت في إعجاز القرآن) لماذا توقف القرآن الكريم في تحديه للعرب - وهم أهل الفصاحة وأرباب البلاغة - عند حدود الآتىان بسورة من مثله، ولم ينزل إلى أدنى من ذلك، أي إلى الآية؟ فمعلوم أنّ القرآن الكريم تحدى العرب أنْ يأتوا بمثله أولاً، فقال سبحانه وتعالى ﴿فَلِئِنْ لَجَتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْكَانَ بَعْضُهُمْ لِيَغْضِبُ ظَهِيرًا﴾<sup>(١)</sup>.

تظل ببلاغة الإمام علي عليه السلام نبعاً لا ينضب مهما ازدحم حوله القُصاد، وبحراً لا تنفذ جواهره على كثرة الغائصين فيه، من يأسرهم جمال التعبير وبراعة الصورة.

وكان لا بدّ لنا بما من الله علينا به من معرفة بلاغية - من أن نخاول الدنو من عالم الإبداع والخلق المبتكر لهذا المبدع الذي خصه الله ببلاغة لا تدعانيها بلاغة أحد من البشر، هي التي تمثلت في كتابه (نهج البلاغة)، كي نبحث في جانب من جوانب براعة الصورة فيه، ممثلاً بالتشبيه البليغ الذي وجده بضروربه المختلفة حاضراً حضوراً ملفتاً في النهج، ولأن وقفتنا ستكون متأنية عند هذا النوع من التشبيه وبما لم نجد له في دراسات بلاغية توافرت على النهج، آثرنا أن تأتي دراستنا لهذا التشبيه على وفق ضروربه، حيث يأتي كل بحث مختصاً بواحد من

القضية وحاول أن يفسر لماذا لم ينزل القرآن في تحديه للعرب إلى مستوى الآية؟ قال كلاماً في غاية الأهمية، خلاصته: أنّ في كلام بعض بلغاء العرب ما يمكن أن يرتفع في بلاغته إلى مستوى الآية القرآنية في حسنها وبلغتها، واستشهد لذلك بقول الإمام علي عليه السلام: «قيمة كل أمرٍ ما يحسن» فهذه المقوله للإمام بما فيها من إيجاز في المعنى وعدوّبه في اللفظ تقارب الآية القرآنية في بلاغتها، يقول الإمام الرّماني «وظهور الإعجاز في الوجوه التي نبيّنها يكون باجتماع أمور يظهر للنفس أنّ الكلام من البلاغة في أعلى طبقة، وإنْ كان قد يلتبس فيما قلّ بما حسن جداً لإيجازه وحسن رونقه وعدوّبه لفظه وصحّة معناه كقول علي رضي الله عنه «قيمة كل أمرٍ ما يحسن» فهذا كلام عجيب يغني ظهور حسنـه عن وصفـه، فمثلـ هذه الشـذرات لا يـظهر بها حـكم فإذا اـنتظمـ

فلما عجزوا عن أنْ يأتوا بمثلـه، نـزلـ في تحـديـهـ لـهـمـ إـلـىـ عـشـرـ سـوـرـ فـقـالـ تـعـالـىـ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَاهُ قُلْ فَأَتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

ولـكـنـهـمـ عـجـزـواـ أـيـضاـ، فـنـزلـ في تحـديـهـ لـهـمـ إـلـىـ السـوـرـةـ الـوـاحـدـةـ مـنـ دـوـنـ تـحـديـهـ لـعـدـدـ آـيـاتـهـاـ كـثـرـتـ أـمـ قـلـتـ، فـقـالـ سـبـحـانـهـ: ﴿فَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىَّ عَنْكُمَا فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شـهـدـاـمـكـمـ مـنـ دـوـنـ اللـهـ إـنـ كـنـتـ صـادـيقـينـ﴾<sup>(٣)</sup>، ثـمـ كـرـرـ التـحـديـ بـالـسـوـرـةـ في مـوـضـعـ آخرـ مـنـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ، فـقـالـ سـبـحـانـهـ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَاهُ قُلْ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

فلـماـ عـجـزـواـ عـنـ الـمـجـيـءـ وـلـوـ بـسـوـرـةـ وـاحـدـةـ مـنـ مـثـلـهـ، حـقـ عـلـيـهـمـ إـعـجـازـ الـقـرـآنـ. وـحـينـ وـقـفـ الرـمـانـيـ عـنـ هـذـهـ

الثمين معيناً لا ينضب، ويبقى القول في بلاغة الإمام عليه السلام، مهما أوتينا من العلم، فوق طاقاتنا وأكبر من أنْ نحيط بها، ولا عجب، فقد ألهمه ربه من العلم ما نعجز عن إدراكه فضلاً عن تحمله، وهو ما صرّح به عليه السلام في قوله «بل اندمجتُ على مكتون علم لو بحثُ به لاضطررتُم اضطراب الأرشية في الطوى البعيدة»<sup>(٦)</sup>.

ولكن يبقى هذا النص العظيم حافزاً للدراسة والإبداع، وتظل بلاغته كوكباً دريّاً يستقطب أنظار المتلهفين للمعرفة والطامحين لأن يروروها ظمأهم من هذا المعين العذب، وهكذا، كان لابد لنا من أنْ نقف على جانب مهم من جوانب الإبداع في كلام الإمام علي عليه السلام ممثلاً بالصورة البلاغية في نهج البلاغة، وسعينا أن تكون دراستنا هذه متميزة من الدراسات التي سبقتنا في ذلك، وذلك بأنها ستكون - بأذنه تعالى - مفصلة

الكلام حتى يكون أقصر سورة أو أطول آية ظهر حكم الإعجاز، كما وقع التحدي في قوله تعالى: «فَأَتُوا سُورَةً مِثْلَهِ» فبان الإعجاز عند ظهور مقدار السورة من القرآن<sup>(٥)</sup>.

فأيّ بلاغة هذه التي أراد لها الله سبحانه وتعالى، أن تكون دون كلام الخالق، وفوق كلام المخلوق - باستثناء نبيه عليه وعلى آلـهـ أفضل الصلوات والتسليم - وكيف يتاتي لنا نحن البشر أنْ نحيط بأقطار هذه البلاغة المعجزة أو أنْ نلمّ بأسرارها مهما أوتينا من العلم ومهما أجهدنا أنفسنا في الغوص بأعمق هذا البحر العميق بحثاً عن جواهره الفريدة.

وبذا فمهما تعددت مناحي القول في كلام الإمام علي عليه السلام ومهما شعبت سواء في جوانبها الأدبية أو الفكرية أو العقائدية أو الاجتماعية أو التشريعية أو النفسية، يبقى هذا الكنز

في وجه الشّبه وأوضحت منه، وإنّما يؤتى به لتوضيح المشّبه وترسيخه في الأذهان، ولو كان المشّبه هو المشّبه به – وهذا ما تقتضيه صيغة التّشبيه البليغ - لما قامت الحاجة إلى التّشبيه أصلًا، ولكن المبالغة في قوّة المشّبه هي التي تستدعي هذه الصيغة من التّشبيه، فتعمل على تحفيز الخيال وترسيخ الصورة في الذهن.

تبّاين درجة الخيال في التّشبيه البليغ بتّباين تركيب أسلوبه إذ يمكن للتشبيه البليغ أنْ يأتي بصيغة أسلوبية مختلفة<sup>(7)</sup> استطعنا أنْ نرصد منها في نهج البلاغة الأنواع الآتية :

١. المشّبه والمشّبه به مبتدأ وخبر، أو ما أصله مبتدأ وخبر، فمن الأول قول الإمام عليه السلام في فضل أهل البيت عليهم السلام : «**نَحْنُ الشُّعَارُ** والأصحاب، والحزنة والأبواب، ولا تؤتى البيوت إلّا من أبوابها، فمن أتتها من غير أبوابها سُمِّيَ سارقاً»<sup>(8)</sup>.

أكثر ومتعمقة بشكل أوسع في وقوفها عند الأنواع البلاغية لهذه الصورة، حيث سنبدأها بنوع واحد من أنواع التّشبيه البليغ وهو التّشبيه البليغ بأسلوب المفعول المطلق، على أنْ نسعى بعد ذلك إلى دراسات لاحقة لأنواع أخرى من التّشبيه في نهج البلاغة، مما لم يعرض لها من درس هذا الجانب في كتاب نهج البلاغة، أو لم يقف عليها وقفتنا المتأنية العمقة إن شاء الله.

التّشبيه البليغ هو التّشبيه الذي حذفت منه أداة التّشبيه ووجه الشّبه، وهو أوجز أنواع التّشبيه وأكثرها إثارة للذهن، لأنَّ الاكتفاء من التّشبيه، بطريقه (المشبّه والمشّبه به) فقط ، فيه من المبالغة الشيء الكثير، ذلك لأنَّه يرفع المشّبه إلى مستوى المشّبه به حتى ييدوا وكأنهما نظيران ولا تقاضل بينهما ، وهي مبالغة كبيرة ، ذلك لأنَّ التّشبيه يقوم على قاعدة مؤدّاها أنَّ المشّبه به أقوى من المشّبه

هذا التّشبيه جمال الصورة التي رسمها الإمام عليه السلام لعلاقة أهل البيت بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فضلاً عن هذا التأكيد المتأتي من صيغة المبتدأ وخبره، فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام شيء واحد، لا انقسام بينهما ولا يتم أحدهما إلا بالآخر، شأن المبتدأ والخبر.

ومن هذا التّشبيه أيضاً قوله في وصف القرآن الكريم : «وكتاب الله بين أظهركم ناطقٌ لا يعيى لسانه ، وبيتٌ لا تهدم أركانه ، وعزٌّ لا تهدم أعوانه»<sup>(١٠)</sup> .

شبّه الإمام عليه السلام كتاب الله ثلاثة تشبهات بلغة بأسلوب المبتدأ والخبر فهو (ناطقٌ) و(بيتٌ) و(عزٌّ) ، وكيف يزيد المعنى قوّةً ووضوحاً رشح الإمام عليه السلام تشبهاته الثلاثة ، أي قواها ، بذكر لازمة من لوازم المشبه به بعد كل تشبه ، فحين شبّه القرآن بالإنسان الناطق ، رشحه بقوله «لا يعيى لسانه» وحين شبّهه

فقد شبّه الإمام عليه السلام نفسه وأهل بيته بالشعار (وهو ما يلي البدن من الشّباب) إشارة إلى أنّهم بطانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأقرب إليه نسباً ومعيشةً وعلمًا ، ثم شبّههم تشبيهاً بلغياً ثانياً بالخزنة والأبواب ، فهم خزنة علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهم أبواب دخول مدينة علمه ، فقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم نفسه : «أنا مدينة العلم وعلى بابها»<sup>(٩)</sup> .

وكيف يتأتى لكائنٍ من كان أنْ يلتج هذه المدينة الفاضلة إن لم يمر على خزنتها ليتحصل على موافقتهم ورضاهن ، ثم يقومون هم بفتح الأبواب له ، فإن لم يكن هذا طريقه ، فهو سارق حتماً ويحق عليه القصاص .

جاء التّشبيه البليغ في العبارة بأسلوب المبتدأ والخبر «نحن الشّعار» ثم عطف على المشبه به الأول مشبهين بهما آخرين «الخزنة والأبواب» ، ويتوضح من خلال

الجهاد والإقدام عليه، قوةً وتجسيداً مثلتَ  
بدخول (إنَّ) المؤكدة، وصيغة التشبيه  
البلigh بما فيها من مبالغة وتأكيد، ثم  
ترشيح المشبه به (باب) بأن جعله من  
أبواب الجنة، ثم أكّده كذلك بقوله  
(فتحه) ولذلك صار jihad باباً حقيقةً  
يأتى بأمر الخالق سبحانه حيث لا يفتحه  
إلا لخاصية أوليائه.

ومن هذا الأسلوب في التشبيه ما جاء  
في كلام الإمام عليه السلام وهو يصف  
حال المتقيين الذين يدخلون الجنة، في  
معيشتهم الدنيوية، فيقول : «وكان ليهم  
في دنياهم نهاراً تخشعوا واستغفاراً، وكان  
نهارهم ليلاً توحشاً وانقطاعاً»<sup>(١٢)</sup>.

فهؤلاء المتقون الذين سيقوا إلى الجنة  
زمراً، ما فازوا بها إلا لأن اشتروا آخرتهم  
بدنياهم، فقد صار ليهم في دنياهم نهاراً  
إذ يقضونه في الصلاة والتعبد خشية من  
الله واستغفاراً له مما قد يقعون فيه من  
ذنوب في شؤون حياتهم اليومية وبذا لم

باليت ، رشحه بالقول «لا تهدم أركانه»  
و حين شبّهه ثلاثة بالعزّ، رشحه بعبارة «لا  
تهزم أعوانه» ، وكل عبارة من هذه  
العبارات الثلاث أكّدت المعنى المراد من  
التشبيه ورسخته في ذهن السامع .

أما النوع الثاني وهو (ما أصله مبتدأ  
وخبر) فهو ما كان في أصل الكلام  
بأسلوب المبتدأ والخبر، ولكن دخلت  
عليه واحدة من نواصخ الإبتداء فغيرت  
من صيغته، ومن هذا قول الإمام عليه  
السلام في خطبته المشهورة في الحث على  
الجهاد وبيان فضله : «أما بعد، فإنَّ  
الجَهَادَ بَابٌ مِّنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَتَحَهُ اللَّهُ  
لِخَاصَّةِ أُولَئِكَ»<sup>(١١)</sup> فأصل التشبيه (الجهاد  
باب من أبواب الجنة) ولكن الرغبة في  
تأكيد المعنى وتقويته في نفوس سامعيه  
دعت الإمام عليه السلام إلى إدخال (إنَّ)  
المؤكدة عليه، وهكذا اجتمعت ثلاثة  
أمور في هذه العبارة أعطت للمعنى الذي  
يريده الإمام عليه السلام في الحث على

عند حدود جعل المشبه والمشبه به نظيرين، كما مر في صيغة المبتدأ والخبر، وإنما تشد المبالغة حدّاً أنْ يجعل المشبه به تابعاً للمشبه وكأن وجه الشبه أرسخ وأقوى في المشبه، منه في المشبه به. وقد دار هذا اللون من التشبيه البليغ على لسان الإمام عليه السلام كثيراً في نهج البلاغة ومن ذلك قوله في وصف بعض أهل زمانه: «قد خاضوا بحار الفتنة وأخذوا بالبدع دون السنن»<sup>(١٣)</sup>.

قوله (بحار الفتنة) تشبيه بليغ بأسلوب التركيب الإضافي، فالأصل فيه تشبيه الفتنة بالبحار بجامع العظمة والخطر المؤديان إلى الهاك أي (الفتن بحارات) ثم جرى إضافة المشبه به (بحار) إلى المشبه (الفتن) فصار التشبيه (بحار الفتنة) وفي هذا قوة للتشبيه وتعظيم للمعنى الذي أراده الإمام عليه السلام في التحذير من الفتنة وما تؤديه باتباعها من الواقع في الهاك والموت بعد غرقهم فيها، وبذا

يعد الليل وقتاً للنوم إنما للتخشع والاستغفار، أما نهارهم فقد صار ليلاً إذ انقطعوا عن الدنيا وملذاتها وانصرفوا عن مباحثتها، مستوحشين نافرين خوفاً أنْ تؤدي بهم إلى المعاصي والآثام. ويلاحظ دخول (كان) الناقصة على التشبيه فصار المشبه (لليهم) (نهارهم) اسماً لها، وصار المشبه به (نهاراً) (ليلاً) خبراً لها.

٢. المشبه والمشبه به في تركيب إضافي، نلمس فيه المشبه به مضافاً إلى المشبه، ولعل هذه الصيغة من التشبيه البليغ أكثرها مبالغة وأشدتها تأكيداً للتشبيه، ذلك أنَّ قاعدة التشبيه الراسخة هي أنَّ المشبه به هو الأتم في وجه الشبه، وهو (الأصل) فيه، ولكن يجري، بحسب صيغة التشبيه البليغ بأسلوب التركيب الإضافي، إضافة المشبه به إلى المشبه، بما يbedo وكأنه جزء منه أو تابع له، وهذه هي الغاية في المبالغة، إذ لم تقف المبالغة

المُشَبَّهُ بِهِ إِلَى الْمُشَبَّهِ، فَفِي التَّشْبِيهِ الْأَوَّلِ شُبِّهَتِ الْجَبْرِيَّةُ بِالرَّدَاءِ وَفِي الثَّانِي شُبِّهَ التَّعَزُّزُ بِاللَّبَاسِ وَفِي الثَّالِثِ شُبِّهَ التَّذَلُّلُ بِالْقَنَاعِ... وَبِلَاغَةِ التَّشْبِيهِ فِي التَّشْبِيهِيْنِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي مَتَّأْتِيَّةٌ مِّنْ تَشْبِيهِ الْجَبْرِيَّةِ وَالْتَّعَزُّزِ بِالرَّدَاءِ وَاللَّبَاسِ الَّذِي يَشْتَمِلُ عَلَى إِنْسَانٍ وَيَغْطِي غَالِبَ جَسْمِهِ، وَكَذَلِكَ هُوَ إِبْلِيسُ حِينَ خَلَعَ رَدَاءَ الرَّضُوخِ لِلَّهِ سَبَّحَهُ وَتَعَالَى وَتَرَدَّى بَدَلًاً مِّنْهُ التَّعَزُّزُ لِبَاسًاً، وَإِنَّهُ كَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ الْحَقِيقِيِّ بَعْدَمَا تَقْنَعَ قَبْلًاً بِالتَّذَلُّلِ لِلَّهِ تَعَالَى وَالْخُضُوعِ لِمُشَيْتِهِ، وَلَكِنَّهُ لَسُوءِ طَوِيْتِهِ وَفَسَادِ نَفْسِهِ فَشَلَّ فِي أُولَى امْتِحَانَ أَجْرَاهُ الْخَالِقُ لَهُ كَيْ يَفْضُحَهُ أَمَامَ نَفْسِهِ وَيَجْبَرَهُ عَلَى أَنْ يَضْعَ عَنْ وَجْهِهِ قَنَاعِ التَّذَلُّلِ وَيَكْشُفَ عَنْ وَجْهِهِ الْحَقِيقِيِّ فِي قَبْحِهِ وَكُرَاهَةِ مَنْظَرِهِ.

٢. المُشَبَّهُ بِهِ مَفْعُولُ بِهِ : كَقُولُ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي وَاحِدَةٍ مِّنْ عَظَاتِهِ، وَهُوَ يَصْفُ الْمُؤْمِنَ بِصَفَاتٍ مِّنْهَا «كَابِرُ هُواهُ»،

يُؤَتِي التَّشْبِيهِ فِي غَايَةِ الإِيجَازِ وَلَكِنَّهُ فِي الْوَقْتِ نَفْسُهُ فِي غَايَةِ الْمَبَالَغَةِ وَالْتَّأْكِيدِ، فَلَنَا أَنْ نَتَصَوَّرَ هَذِهِ الْفَتْنَ الَّتِي تَعْصُفُ بِالنَّاسِ وَقَدْ اسْتَحَالَتْ بِهَا طَامِيَّةٌ يَخُوضُ فِيهَا الْجَاهِلُونَ مِنْ دُونِ عِلْمٍ وَدِرَايَةٍ حَتَّى تَغْرِقُهُمْ فِيهَا فَيَسْتَوْنُ فِي قَاعِهَا حَتَّى كَأنَّ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ وَلَا أَثْرٌ، شَأْنَ الْبَحَارِ الَّتِي تَبْتَلِعُ السُّفَنَ وَالنَّاسَ فَلَا تُرَى مِنْهُمْ بَقِيَّةً. وَمِنْ هَذِهِ التَّشْبِيهِ كَذَلِكَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ يَصْفُ إِبْلِيسَ (لِعْنَهُ اللَّهُ) فِي اعْتِرَاضِهِ عَلَى اللَّهِ سَبَّحَهُ فِي خَلْقِهِ لَآدَمَ وَرَفِضَ السُّجُودَ لَهُ «فَعَدُوا اللَّهَ إِمَامَ الْمُعَصِّبِينَ، وَسَلْفَ الْمُسْتَكْبِرِينَ، الَّذِي وَضَعَ اسَاسَ الْعَصَبِيَّةِ، وَنَازَعَ اللَّهَ رَدَاءَ الْجَبْرِيَّةِ، وَادْرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ، وَخَلَعَ قَنَاعَ التَّذَلُّلِ»<sup>(١٤)</sup>.

فِي الْعَبَارَةِ ثَلَاثَةُ تَشْبِيهَاتٍ بَليْغَةٍ، جَاءَتْ كُلُّهَا بِأَسْلُوبِ التَّرْكِيبِ الْإِضَافِيِّ هِيَ «رَدَاءُ الْجَبْرِيَّةِ» وَ«لِبَاسُ التَّعَزُّزِ» وَ«قَنَاعُ التَّذَلُّلِ»، وَفِيهَا جَمِيعًا أَضِيفَ

مع الشهوات أو المصاعب أنما مع  
الصبر، فإذا غلبه صار له مطية ذليلة  
تنجيه من العذاب.

وكذلك هي الصورة في التّشبيه الثاني  
حيث تستحيل التقوى إلى عدّة وزاد  
يحملها عند وفاته حين يخرج خاليًا  
ومفلسًا من كل ما كان له في الحياة  
الدنيا، إلا التقوى فهي خير زاد له  
 وعدّة، ومن هذا الباب قوله واعظًا أيضًا  
ومزهدًا بالدنيا وبهرجها: «ولبئس المتجر  
ان ترى الدنيا لنفسك ثنا، وممالكَ عند  
الله عوضًا»<sup>(١٦)</sup>.

فالعبارة قائمة على التّشبيه البليغ  
بطريقة المفعول به، حيث صارت (الدنيا)  
مفعولاً به أول للفعل (ترى) وهي المشبه،  
و(ثناً) و(عوضًا) مفعولاً به ثانياً وهما  
مشبهان بهما.

فأية تجارة خاسرة هذه التي يبيع  
الإنسان فيها نفسه كي يشتري حياة زائلة  
تقاس بالأيام والسنين ويترك حياة الخلد

وكذب مناه، جعل الصبر مطية نجاته،  
والتفوى عدة وفاته»<sup>(١٥)</sup>.

ففي العبارة تشبيهان بليغان بطريقة  
المفعول به وهو قوله «جعل الصبر مطية  
نجاته» و«التفوى عدة وفاته» إذ المشبه في  
كل تشبيه منهما هو المفعول به الأول  
لل فعل (جعل) وهم (الصبر) و(التفوى)  
والمشبه به في كليهما هو المفعول به الثاني  
وهما (مطية نجاته) و(عدة وفاته).

ولا شك في أنّ صورة التّشبيه الأول  
المتمثلة في تحول الصبر إلى مطية يمتنعها  
الإنسان كي تبلغ به النجاة من النار  
صورة معبرة ومكتنزة بالمعاني الظاهرة  
والخفية منها.

فهي تعبر عن قوة إيمان الإنسان  
وقدرته على تذليل الصبر - على  
مرارته - حتى يستحيل ظهراً يمتنعه،  
 فهو بدل أن يُذل بالإنقياد إلى شهواته أو  
الرّضوح لمصاعب الحياة، يقلب الصورة  
ليقهر بأيمانه الصبر، فكان صراعه ليس

لتخليص ما التبس على غيره فإن نزلت  
به أحدي المهمات هيأ لها حشوًا من  
رأيه، ثم قطع به<sup>(١٧)</sup>.

فقد شبه رأي هذا المتعالم، لفساده  
وقلة نفعه، بالحشو الذي لافائدة منه  
وكيف يؤكد ابتدال هذا الرأي وتفاوهاته  
وصفه بأنه (رث) أي متهري ليس له من  
الحججة والمنطق ما يقويه أو يدفع الآخرين  
إلى التصديق به.

فالتشبيه البليغ جاء في قوله: «حشوًا  
رثًا من رأيه» أي أن رأيه كالحشو الرث،  
وبذلك نلاحظ الربط بين المشبه (رأي)  
والمشبه به (حشو رث) بحرف الجر (من)  
وبتقدير المشبه به على المشبه.

ومن هذا التّشبيه قول الإمام عليه  
السلام مخاطبًا أنصاره وهو يحثّهم على  
مقاتلة أصحاب معاودة في صفين:  
«فالموت في حياتكم مقهورين والحياة في  
موتكم قاهرين»<sup>(١٨)</sup>.

في جنات النعيم، وأي عقل هذا الذي  
يعد ما يجده في حياته الدنيا عوضًا كافياً  
عما سيجازيه الله سبحانه في حياته الثانية  
إنها بلا شك لبئس المتجر كما قال الإمام  
عليه السلام.

٤. المشبه والمشبه به مربوطان بحرف  
الجر، سواء تقدم المشبه أو المشبه به،  
وهو من الأنواع الكثيرة الاستعمال،  
الدائرة حتى في كلامنا الدارج، كما في  
قولنا (شعر من ذهب أو قلب من  
حجر)، ولكن قلما يلتفت إلى هذا النوع  
من التشبيه دارسو الصورة البلاغية.  
وقد دار هذا التّشبيه على لسان  
الإمام عليه السلام كما توضح لنا من  
دراسة النهج، ومن ذلك قوله يصف  
أولئك الذين يتصدرون للحكم أو الفتيا  
وهم ليسوا أهلاً لها فهم متسبّهون  
بالعلماء وليسوا علماء.. يقول: «حتى  
إذا ارتوى من آجن، واكتنز من غير  
طائل، جلس بين الناس قاضيا ضامنا

أنّ الإنسان يستطيع أن يجعل قلبه عامراً بنور الإيمان ممثلاً بالخير كلما ازداد تقوى وقرباً من الله سبحانه بزيادة الإيمان الذي يولد لحظة ثم يزداد بعدها.

٦. المشبّه به مصدر مبين للنوع أي مفعول مطلق ، وهذا اللون من التّشبيه هو الذي سندير عليه بحثنا هذا في كتاب نهج البلاغة .

تتمثل البنية التركيبية للتّشبيه البليغ بأسلوب المفعول المطلق بأن يكون المشبّه فعلاً ، يراد من التّشبيه إيضاح طبيعته أو مقداره أو بيان حاله أو تزيينه أو تقييمه. إلى غير ذلك من أغراض التّشبيه فيأتي المشبّه به بصيغة المصدر لذلك الفعل مبيناً نوعه (أي مفعولاً مطلقاً) كما في قولنا : (انتشر الفساد في هذه الأيام انتشار النار في المُهْشِيم )، فالمشبّه الذي يراد إيضاح صورته وتقدير مقداره في نفوس السامعين هو (انتشار الفساد) ، والمشبّه به ، الأقوى في وجه الشّبه ، والأرسخ في

فقد شبّه حياة المقهورين الأذلاء بالموت في قوله «**فالموت في حياتكم مقهورين**» ، وشبّه كذلك موت القاهرين المتصرّفين بالحياة في قوله «**والحياة في موتكم قاهرين**» حثاً لهم وتحفيزاً على رفض الظلم والقهر ، والاستشهاد دفاعاً عن الكرامة التي هي الحياة الحقيقية ، أما حياة الذل فإنّها موت ولكن أيُّ موت؟ إنه موت الذل والمهانة.

وفي كلا التّشبيهين جرى ربط المشبّه به (الموت) والحياة) بالمشبّه (حياتكم مقهورين) و(موتكم قاهرين) بحرف الجر (في).

٥. المشبّه به حال من المشبّه ، كقول الإمام عليه السلام في وصف الإيمان : «**إِنَّ الإِيمَانَ يَبْدُو لُمْظَةً فِي الْقَلْبِ ، كَلَمَا ازْدَادَ الْإِيمَانَ ازْدَادَ الْلُّمْظَةَ**»<sup>(١٩)</sup>.

فقد شبّه الإمام ولادة الإيمان في قلب الإنسان باللحظة أي القدرة ، التي يشتّد توهجها ويزداد نورها بزيادة الإيمان ، أي

منه في القرآن الكريم قوله تعالى:  
**﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾**<sup>(٢٠)</sup>.

وقوله سبحانه وتعالى: **﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَمِّ﴾**<sup>(٢١)</sup>.

وقوله تعالى: **﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرًا مَغْشِيًّا عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾**<sup>(٢٢)</sup>.

وقوله عز وجل: **﴿فَأَخْذَنَاهُمْ أَخْذًا عَزِيزًا مُفْتَرِّبًا﴾**<sup>(٢٣)</sup>.

كما كان حضوره في الشعر العربي قدِيماً، فها هو يرد في معلقة امرئ القيس وهو يصف صعوده إلى مخدع حبيته، فيقول:

سموتُ إليها بعدها نام أهلُها

سموَ حَبَابِ الماءِ حَالًا عَلَى

فقد أدرك الشعراء ما في هذا اللون من التشبيه من جمال وقدرة على تجسيد المعاني وتمثيلها للسامعين، سواء في هذا

الأذهان لشيوخه ومعرفة الجميع به، الذي يمكن أن يكون مقياساً لإدراك المشبه (كيفية انتشار الفساد ومقداره، هو (انتشار النار في الهشيم) تعبيراً وتجسيداً لانتشار الفساد السريع وإتيانه على كل شيء، كما تفعل النار في الهشيم اليابس، في سرعة الانتشار والقضاء عليه وتحويله إلى رماد لا قيمة له.

فالتشبيه من حيث النوع تشبيه بلية لحذف أداته ووجه الشبه، واقتصره على طرفيه فحسب، المشبه وهو (انتشار الفساد) والمشبه به وهو (انتشار النار في الهشيم)، والعلاقة بين المشبه والمشبه به هي علاقة الفعل بمصدره (انتشار انتشار) وهو مفعول مطلق لأنَّه جاء مبيناً لنوعه بعد إضافته إلى الحال التي أريد منها زيادة المشبه ووضوحاً وتوكيداً.

ورد هذا اللون من التشبيه كثيراً، سواء في القرآن الكريم، أو في الشعر والنشر العربين قدِيماً وحديثاً. فمما ورد

صليل الماء وهو يصطدم بالحصى،  
بالرنين العذب المنبعث من اصطدام الحلي  
في أيدي الفتيات الجميلات، جعلنا  
نتحسس جمال هذا الخرير، ثم نصاب  
بعدوى الشاعر وهو يعيش حالة الانتشاء  
واللذة بما يراه ويسمعه، فصرنا نشاركه  
طريقه لهذه الموسيقى الجميلة التي حركت  
خياله.

وحيث عدنا إلى كتاب نهج البلاغة  
للإمام علي عليه السلام وحاولنا  
الوقوف على وجوه الصورة البلاغية في  
هذا السفر العظيم ولا سيما التّشبيه منها  
استوقفنا هذا الاستعمال الكبير لهذا  
اللون من التّشبيه في خطب الإمام عليه  
السلام ورسائله، حتى استطعنا أن نرصد  
ما يزيد على أكثر من سبعين موضعاً جاء  
فيه التّشبيه البليغ، بأسلوب المفعول  
المطلق، مما حفزنا على البدء به، في أول  
دراسة لنا في وجوه الصورة البلاغية في  
نهج. ولما كانت البنية التركيبية لهذا

التناغم الصوتي المتولد من التكرار  
الاشتقافي في لفظ الفعل ومصدره.  
أو من خلال التّشبيه الذي يصنعه  
خيال الشاعر وهو يلتقط مشبهها به قريباً  
منا حدّ الألفة ولكن لم يرد في أذهاننا أنْ  
نجعل منه تمثيلاً أو تجسيداً لحال أخرى.  
وهكذا يجتمع في هذا التّشبيه أهم  
عنصرين من عناصر نجاحه، وهما  
المقاربة والمناسبة من جهة والغرابة  
والطرافة من جهة أخرى<sup>(٢٥)</sup>.  
وهو ما يمكن أن نتلمسه كذلك في  
قول المتنبي وهو يصف شعب بوان،  
حيث استشرم هذا اللون من التّشبيه في  
نقل صورة جميلة لصوت الماء وهو  
يرتطم بالحصى... فيقول:  
وأمواه تصل بأحصاها

صليل الحلي في أيدي  
<sup>(٢٦)</sup>  
فنحن لم نزر شعب بوان، ولم  
نسمع خرير الماء فيه، ولكن الصورة التي  
صنعها خيال المتنبي من خلال تشبيه

نهج البلاغة، لأن الإمام عليه السلام بحاجة إلى توضيح معانيه وتأكيدها في نفوس سامعيه، حيث لا تنفع المعرفة العامة أو الجملة، بل لابد من تحديد الاشياء تحديداً دقيقاً، وإكساء المعاني رداء الحقيقة حتى تتجسد أمام سامعيه فيعونها ويتأثرون بها علّها تغير ما في نفوسهم لما يريد لهم الإمام عليه السلام من خير وصلاح.

ومن ذلك ما جاء في إحدى خطبه وهو يقرّ أ أصحابه لتخاذلهم في مقاتلة معاوية وأصحابه، مستغرباً من تكالب أهل الباطل في الدفاع عنه، وتخاذل أنصاره وهم أهل الحق عن نصرته، يقول : «صَاحِبُكُمْ يطِيعُ اللَّهَ وَأَنْتُمْ تَعْصُونَهُ، وَصَاحِبُ أَهْلِ الشَّامِ يَعْصِي اللَّهَ وَهُمْ يَطِيعُونَهُ؟! لَوْدِدْتُ اللَّهَ أَنْ معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم، فأخذ مني عشرة منكم وأعطاني رجلاً منهم»<sup>(٢٨)</sup>.

اللون من التّشبيه البليغ واحدة وهي صيغة الفعل ومصدره، آثرنا أن تكون دراستنا له على وفق الأغراض البلاغية التي خرج إليها في كلام الإمام عليه السلام، ولا سيما أنّ نهج البلاغة بكل أجناسه النثرية سواء في خطبه أو رسائله أو تصاياته أو حكمه، قد غلب عليه طابع النصح والإرشاد لما كان يستشعره الإمام من حاجة أهل زمانه واللاحقين لهم مثل ذلك، وسيكون ترتيب هذه الأغراض على وفق بروزها في الصور التّشبيهية وكثرتها وهي :

١. بيان مقدار حال المشبه : وذلك حين (يكون المشبه معروفة الصفة، قبل التّشبيه ، معرفة إجمالية ، ولكن الغرض هو تحديد مقدار هذه الصفة ، قوّة أو ضعفاً ، زيادة أو نقصاناً ، وضوهاً أو غموضاً)<sup>(٢٧)</sup>.

ولا غرابة بعد ذلك أن يكون هذا الغرض هو الأبرز بين أغراض التّشبيه في

وفي كلام له عليه السلام واصفًا نفسه، وما وهبه الله من علم ربانى خصّه به، إذ لا يقوى على حمله سواه من البشر، يقول: «والله لابن أبي طالب أنس بالموت من الطفل بشدي أمه، بل اندمجت على مكنون علم لو بحث به لاضطررت اضطراب الأُرْشِيَّة في الطُّوِي البعيدة»<sup>(٢٩)</sup>.

فالعبارة قائمة على التّشبيه سواء في جزئها الأول، وهو يقرر شجاعته، وعدم خشيته من الموت، إيماناً، وليس تهوراً، أو جهلاً، أو جرعاً من الحياة أو شقاء بها، ولكن لأنّه يعرف ما يتظره من خير ونعم في حياته الثانية، بعد أنْ رأى مكانه في الجنة بين الأنبياء والصديقين والشهداء، وهكذا فهو لا يجزع من الموت بل يأنس به أنس الطفل الرضيع بشدي أمه، فالجنة ملاذه ومكانه الآمن الذي يفرّ إليه كما يفرّ الطفل إلى صدر أمّه حيث الأمان والراحة والزاد والشراب.

أيُّ مفارقة هذه التي آلمت الإمام عليه السلام هذا الألم حتى جعلته يرتضى هذه التجارة الخاسرة حين يستبدل الدرهم بالدينار، فيعود لو أنّ معاوية قايضه بأصحابه فأعطى الإمام عشرة من أصحابه لقاء واحد من أصحاب معاوية، إنّ الإمام عليه السلام في غاية الألم والتحسر وهو يرى الحق بلا ناصر ولا معين، ويرى الباطل وقد كثر أنصاره ومعينوه بل استماتوا في القتال دونه، فهم يعرفون أنّ أصحابهم (معاوية) يعصي الله ولكنهم يطعونه، وهو الإمام الحق ويطيع الله، ولكن أتباعه يعصونه، وكيفي يعبر الإمام عليه السلام عن زهده بهؤلاء الأتباع المتخاذلين واستصغراه لشأنهم، كان التّشبيه البليغ بأسلوب المفعول المطلق «صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم» كي يقرر لهم مقدار حاليهم في أنفسهم أولاً، وفي نفس الإمام عليه السلام ثانياً.

من مفردات حياتهم اليومية كي يتجسد المعنى أمام أعينهم ويتبيّنوا مقدار اضطرابهم فكانت صورة الحال الطويلة التي تضطرب في البئر البعيدة، تعبرًا عن قوة هذا الاضطراب وشدته، وهي صورة الفوها واعتدادوا رؤيتها كل يوم في حياتهم، بما يرسخ المعنى في نفوسهم.

وفي واحدة من خطبه الوعظية يستمر الإمام عليه السلام هذا اللون من التشبيه استثماراً واضحاً في تقرير معانيه في نفوس سامعيه، في إيراد أكثر من مشبه به لبيان مقدار حال المشبه وتوضيحه يقول:

«فَوَاللَّهِ لَوْ حَنَتُمْ حَنِينَ الْوَلِهِ الْعَجَالِ،  
وَدَعُوتُمْ بِهِ دِيلَ الْحَمَامِ، وَجَأْرَتُمْ جُؤَارَ  
مَبْتَلِ الرَّهَبَانِ، وَخَرَجْتُمْ إِلَى اللَّهِ مِنْ  
الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ التَّمَاسُ الْقَرِبَةِ إِلَيْهِ فِي  
إِرْفَاعِ دَرْجَةٍ عَنْهُ، أَوْ غَفَرَانِ سَيِّئَةٍ  
أَحْصَتَهَا كِتَبَهُ، وَحَفَظَهَا رَسْلَهُ، لَكَانَ  
قَلِيلًا فِيمَا أَرْجُو لَكُمْ مِنْ ثَوَابِهِ، وَأَخَافُ  
عَلَيْكُمْ مِنْ عَقَابِهِ»<sup>(٣٠)</sup>.

وكذا الحال في جزء العبارة الثاني الذي جاء متمماً لمعنى العبارة في جزئها الأول وقائماً على التشبيه كذلك، ولكن كان التشبيه هذه المرة بلığاً بأسلوب المفعول المطلق، وهو يصف ما استودعه الله من علم وما خصه به من نور رباني، يجعله زاهداً بهذه الدنيا وما فيها، ولكنه لا يقوى على البوج به لهم، لأنّه يعرف ثقل هذه الأمانة التي حملها الله إليها، بما ليس في مقدور أحد من البشر سواه تحملها، فما إنْ يسمعوا بما لديه من علم حتى تأخذهم رعدة شديدة ويضطربون اضطراب الحال الطويل في البئر البعيدة الغور، وهو أنْ يبح لهم بشيءٍ ما خصّ به من علم إلهي، فسوف تأخذهم الرجفة وتضطرب حواسهم وأعضاؤهم فلا يقوون على تحمل ما يسمعون... .

وكي يبيّن الإمام عليه السلام لسامعيه حالهم فيما لو باح لهم بعلمه، حرص على أن تكون عناصر المشبه به



## التشبيه البليغ بأسلوب المفعول المطلق في كتاب نهج البلاغة.....

ل العبادة الله والتقرب إليه بالصلة والدعاء، ولا شك في أن الإمام عليه السلام أراد أن يقول لسامعيه أنكم لو بلغتم الغاية في الوله والتبتل فإن ذلك قليل قياساً بما أريده لكم أو أخافه عليكم، فكان التشبيهان البليغان بطريقة المفعول المطلق وسليته في بيان هذا الحال.

وفي خطبته التي تسمى (القاصعة) التي يذم بها إبليس اللعين في تكبره وعدم خضوعه لحكم خالقه، يحذر الناس من سلوك طريقته والاقتداء بأفعاله، فيقول:

«فالله الله في عاجل البغي ، وأجل وخامة الظلم ، وسوء عاقبة الكفر ، فإنها مصيدة ابليس العظمى ، ومكيدته الكبرى ، التي تساور قلوب الرجال مساورة السموم القاتلة»<sup>(٣١)</sup>.

فحين أراد الإمام عليه السلام استحضار مقدار الضرر الذي يصيب الناس حين يتخلقون بأخلاق إبليس، وكيف يردعهم عن متابعته في سوء خلقه

في العبارة تشبيهان بليغان جاءا بطريقة المفعول المطلق وهم (حنين الوله العجال) و(جارتم جؤار متبتل الرهبان) تعبيراً عن شدة الاستغفار وعمق الدعاء إلى الله سبحانه وتعالى بأن يغفر لهم ذنوبهم التي وقعوا بها، فإن هذا كله ليس كافياً، بل هو قليل قياساً بما يريد لهم الإمام عليه السلام من ثواب عند الله ومن خوف عليهم من عقابهم على هذه الذنوب.

وبذا كان المشبه به الأول (حنين الوله العجال) غاية في الحنين كما تمثل في حنين السوق التي (ولهت) أي فقدت ولدها وصارت تتعجل لقاءها بشوق ولهفة، وكذلك المشبه به الثاني (جارتم جؤار متبتل الرهبان) فإنه الغاية في التبتل إلى الله والدعاء له فالرهبان قد اعززوا الحياة وانقطعوا للعبادة والصلة، حتى صاروا مثلاً في التبتل إلى الله والدعاء باسمه على امتداد الليل والنهار بعد أن وهبوا حياتهم

وفي موعظة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام يحث فيها الناس على الصلاة ويبيّن فضلها عند الله، وما تعود به من نفع عليهم يقول: «تعاهدوا أمر الصلاة، وحافظوا عليها، واستكثروا منها واقرموا بها، فإنّها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً... وإنّها تحت الذنوب حتّى الورق وتطلقها اطلاق الرّيق»<sup>(٣٢)</sup>.

فهو يستحضر في حديثه هذا عن فضل الصلاة تشبيه النبي محمد صلى الله عليه وآلله الصلاة بماء الجاري الذي يغسل منه المسلم خمس مرات فلا يبقى بعدها من ذنبه شيء، وتأتي الصورة التي رسمها الإمام عبر التشبيه البليغ بأسلوب المفعول المطلق مستمدّة منها ومتممة لها، إذ إنّها تحت الذنوب (أي تقشرها) حتى يظهر جوهر المؤمن صافياً بريئاً من كل عيب كحتنا للأوراق حتى يظهر عود الشجرة مستقيماً، ناعماً، أملساً، براقاً.

لا سيما الكبر، لم يكتف بتشبيه هذا الكبر بالمصيدة العظمى والمكيدة الكبرى لإبليس تشبيهاً بليغاً بطريقة ما أصله مبتدأ وخبر، بل استعان بالتشبيه البليغ بأسلوب المفعول المطلق، في تشبيه ثالث وصف فيه طريقة نفاذ هذه العادة السيئة العاقبة إلى قلوب الرجال ثم فتكها بها فنكأ يأتي عليها دون عجز أو خطأ، وذلك في قوله «تساور قلوب الرجال مساورة السموم القاتلة».

فجسد لهم ذلك بتشبيه (تساورها) أي انتشارها وعملها في القلوب بعمل السموم القاتلة التي تدخل الأجسام دون أنْ نشعر بها حتى إذا انتهت إلى القلوب فتكت بها وأدت ب أصحابها إلى الموت السريع.

فما أراد الإمام عليه السلام تقريره في نفوس سامعيه هو أنّ الكبر سُم قاتل يتسلل إلى قلوبنا دون أنْ نشعر به حتى إذا انتشر فيها خربها وأدى بها إلى الموت.

فهو يدرك أنّ هؤلاء الناس حوله ، ما داموا في أمن وسلام ، فإذا اشتد أوار الحرب ، واستشعروا دنو الموت منهم ، انقضوا من حوله ، وفارقوه فراغاً لا رجعة فيه ، وحتى يوضح لهم مقدار يأسه من نصرتهم ، ويقينه أنّهم خاذلوه ، شبه انفراجهم عنه ساعة اللقاء بانفراج الرأس عن الجسد تشبيهاً بليغاً بأسلوب المفعول المطلق .

وفي هذا التشبيه ما فيه من دلالة على بشاعة فعلتهم وقبحة موقفهم ، فالرأس حين ينفرج عن الجسد يعني الموت المحتم ، وبعدها لا تنفع إعادة الوضع إلى ما كان عليه ، فالحياة لا تعود إلى الجسد بعودة الرأس إليه .

وكأنّي بالإمام عليه السلام يريد أن يقرر في نفوس أصحابه أنّ تخلיהם عن نصرته ، وعجزهم عن مقاتلة عدوهم ، وتركه يلاقي عدوه وحده ، نجاة بأنفسهم ، ليس هلاكاً له وحده فحسب ،

ولم يكتفى بذلك حتى زاد هذا المعنى تأكيداً حين أردف تشبيهه السابق بتشبيه آخر لا يقل عنه طرافاً وجمالاً حين شبهه فضل الصلاة في إطلاق المرء من ذنبه وتحريره من أدرانه بإطلاق (الربق) أي العروة من الحبل لتصبح حرة متخالصة من أسرها فكان التشبيهان صورة نفسية رائعة لإحساس المؤمن بالرضا والسعادة وهو يتحرر من ذنبه ومن الإحساس بأنه أسيرها أو حتى عبد لها . ولا سبيل إلى ذلك كله إلا بالصلاحة .

وينخطب الإمام عليه السلام في الناس يستحبّهم على قتال معاوية وأصحابه ، ولكنّه مدرك تماماً حقيقة أصحابه ، وفساد دخيلتهم ، واختلاف أمرهم ، وعصيانهم لأوامرها ، حتى بدا عاجزاً ، ولا رأي له ... يقول :

«غلب والله المتخاذلون ، وأبى الله إنّي لأظن بكم ، أن لوحمس السوغي واستحر الموت قد انفرجتم عن ابن أبي طالب إنفراج الرأس»<sup>(٣٣)</sup> .

النور حين شرفهم الله بأن بعث الله نبيه إليهم من هذا البيت الطاهر الشريف، فهل بعد ذلك من شك في أن الحق مع علي، وعلى مع الحق؟

ومن التشبيهات البليغة بأسلوب المفعول المطلق التي جاءت على لسان الإمام علي عليه السلام ليبيان مقدار المشبه قوله:

١. «يردونه ورد الأئمَّاَمَ، ويألهون إليه ولوَّ الحمام»<sup>(٣٤)</sup>.
٢. «فَأَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْمَنَابِذِينَ»<sup>(٣٥)</sup>.
٣. «فَعَطَفَ إِلَيْهَا عَطْفَ الْضَّرُوسِ، وَفَرَشَ الْأَرْضَ بِالرَّؤُوسِ»<sup>(٣٦)</sup>.
٤. «فَلَا تَنْفِرُوا مِنَ الْحَقِّ نَفَارَ الصَّحِيفَ مِنَ الْأَجْرَبِ، وَالْبَارِئَ مِنْ ذِي السَّقْمِ»<sup>(٣٧)</sup>.
٥. «فَكَأْنَكُمْ بِالسَّاعَةِ تَحْدُوكُمْ حَدْوَ الزَّاجِرِ بِشُولِهِ»<sup>(٣٨)</sup>.

بل هو هلاك لهم أيضاً فما نفع الجسد بلا رأس، وماذا يمكن أنْ تفعلوا إذا وقع المظورو غزاكِم عدوكم، وأدركتم صواب كلامي بعد فوات الأوان، هل تراه يعيد الحياة اليكم؟ وما نفع الندم ساعة إذ، وبذا كان التشبيه البليغ بأسلوب المفعول المطلق أداة الإمام عليه السلام في استحضار كل هذه المعاني وتقديرها في نفوس أصحابه، فالتشبيه لم يقتصر على بيان حال المشبه (الناس في تخاذلهم وتهربهم من قتال عدوهم)، وقت الكلام فحسب وإنما تعدى ذلك إلى قابل الأيام وما سيحل بهم إنْ لم يأخذوا بكلام إمامهم.

ويلاحظ على بنية الخطاب أنَّ الإمام عليه السلام أشار إلى نفسه بالكنية (ابن أبي طالب) وكأنه بذلك يريد أنْ يذكر الناس من هو؟ وما صلتَه بيَت النبوة وما قدمَه أهل بيته من فضل للناس أجمعين إذ أخرجوهم من الظلمات إلى

٢. تقييح المشبه والتنفير منه : وذلك حين يراد الذم ، أو التحقير لصرف السامع عن أمر عليه اجتنابه ، لأنّ الإقدام عليه أو الإتصاف به ضرراً أو مذمة له .

وهذا الغرض بارز في خطب الإمام علي عليه السلام ووصاياه ورسائله ولا سيما في التحذير من الدنيا ومفاتنها ودعوته للإنصراف عنها ، بتقييح ملذاتها ومغرياتها ، أو في تحذيره للناس من التكاسل في أمر من أمور الدنيا والدين ، كمقاتلة العدو ، أو الإنجرار إلى الفتن أو عصيان أولي الأمر ، ساعياً من ذلك كله إلى حث الناس على التمسك بدينهن ، ونبذ خلافاتهم ، والتخليق بخلق الإسلام . ومن خطبه التي يحذر فيها الناس من الركون إلى الدنيا والارتهان إلى ملاذها والإغترار بنعيمها قوله : «ألا وإنْ هذه الدنيا تمنونها وترغبون فيها ، وأصبحت تغضبكم وترضيكم ... وهي وإنْ غرتكم

٦. «وأتوكل على الله توكل الإنابة إلينه»<sup>(٣٩)</sup> .

٧. «يفضي كافضاء الديكة ، ويؤر بمقاصحة أَرْ الفحول المغلولة في الصراب»<sup>(٤٠)</sup> .

٨. «قوضوا من الدنيا تقويضَ الراحل ، وطوروها طيَّ المنازل»<sup>(٤١)</sup> .

٩. «وَقَامَتِ النِّيَةُ مَقَامَ إِصْلَاتِهِ لَسِيفَهِ»<sup>(٤٢)</sup> .

١٠. «واعلموا أَنَّ دارَ الْهِجْرَةِ قد أقلعت بأهلها ، وقلعوا بها ، وجاشت جيشَ المُرْجَلِ»<sup>(٤٣)</sup> .

١١. «وَلَا تَدْنُّ مِنَ الْقَوْمِ دُنُونَ يَرِيدُ أَنْ يَنْشَبَ الْحَرْبُ ، وَلَا تَبَاعِدْ مِنْهُمْ تَبَاعِدَ مِنْ يَهَابَ الْبَأْسَ»<sup>(٤٤)</sup> .

١٢. «وَالْفَرَصَةُ تَرْمِي السَّحَابَ فَانْتَهَزُوا فَرَصَ الْخَيْرِ»<sup>(٤٥)</sup> .

١٣. «فَيَعِيشُ فِي الدُّنْيَا عِيشَ الْفَقَراءِ ، وَيَحَاسِبُ فِي الْآخِرَةِ حِسَابَ الْأَغْنِيَاءِ»<sup>(٤٦)</sup> .

للمتابكين على الدنيا وقلة حظوظهم منها، ممثلة بالأمة التي تبكي فتخن أي تصدر صوت أنينها من أنفها، في صورة قبيحة ومنفرة لهذا البكاء المزعج، ولا شك في أن اختيار الإمام للأمة مشبهاً به دون سواها من النساء يأتي موافقاً لا

لغرض تقبیح الصورة فحسب، بل لتصوير هؤلاء المتابكين على الدنيا وملذاتها بصورة الأمة، فهم ليسوا عبيداً للذاتهم، رجالاً، وإنما أمات، وبذلك نزع منهم أبرز ما يعتز به العربي من صفاته وهي (الرجلة) فهو يريد القول لهم أنّ مقياس الرجلة هو مغالبة النفس وأهوائها، والصبر على الحرمان من الدنيا ومغرياتها، وإلا فإنّ أحدكم إذا ما تباكي على الدنيا وما فاته منها كان كالأمة التي تخنُ على ما حرمت منه.

كما يلاحظ على العبارة دقة التعبير في قول الإمام (وانصرفوا بقلوبكم عنها) فهو يدرك جيداً أن الإنصراف الحقيقى

منها فقد حذرتم شرها، فدعوا غرورها لتحذيرها، واطماعها لتخويفها، وسابقوا فيها إلى الدار التي دعيمت لها، وانصرفوا بقلوبكم عنها ولا يختن أحدكم خنينَ الأمة على ما زوي عنـه منها»<sup>(٤٧)</sup>.

يحاول الإمام عليه السلام قدر ما يستطيع أنْ يقنع الناس أنْ هذه الدنيا فانية، وأنْ ملذاتها زائلة، وإنما جعلها الله داراً مؤقتة نتزود منها للدار الدائمة حيث الجنة بنعيمها الذي لا يفنى ولا يزول، وهو يدرك جيداً أنْ مهمته صعبة جداً، فالدنيا، بمفاتها، والحياة، بملذاتها، تواظان غرائز الإنسان وتحفزانه للتمتع بهما، وليس يسيراً أن تطلب من أهلها ترك هذا كلّه، والقبول بالقليل القليل منها، ولذا نجده يحاول استثمار طاقات اللغة في بلاغة عالية تتمكن من القلوب كي ترسخ فيها هذه المعاني، فكانت الصورة التشبيهية التي رسمها

الرماح طلباً للتحكيم، وعلى الرغم من تحذيره أتباعه من الوقوع في هذا الفخ، إلا أنه اضطر إلى أن ينصاع لرأي أتباعه، بعد أن رأى منهم مخالفتهم لرأيه وإباءهم الأخذ بمشورته، فكان خروجهم على رأيه خروج العاصي المتمرد، والجاني المتهرب، بما آلم الإمام أمّا عميقاً وهو يرى هذا التمرد وهذا العصيان من يفترض بهم طاعته والامتثال لأمره، فأراد أن يقول لهم إنّ إباءهم لم يكن مجرد خلاف في الرأي أو تباين في وجهات النظر، وإنّما كان إباء المخالفين الجناء، والمنابذين العصاة، تقييحاً لهذه المخالفة واستبعاداً لهذه المنابذة، فكان التشبيه البليغ بأسلوب المفعول المطلق خير وسيلة في ابلاغ معاني الإمام وأحاسيسه إلى من يفترض فيهم أنّهم أتباعه ومطیعوه.

ويلاحظ في كلام الإمام عليه السلام إشارته إلى قصة قصير وتحذيره لمولاه جذيبة الأبرش في عدم الأمان للزباء

عن الدنيا وملاذها لا يكون بإشاحة الوجه عنها أو تجاهلها، وإنّما بنزع ذلك من أعماق النفس الإنسانية، أي من القلوب، لأنّها متى تحررت من هواها وأهوائها، تحرر أصحابها من أسر الدنيا، وسعوا إلى الآخرة.

ومن هذا ايضاً قوله مخاطباً أتبعاه، بعد أن عصوا أمره ورضوا بالتحكيم في صفين، مخدوعين بحيلة معاوية وأتباعه، ولم يستمعوا إلى نصيحته وتحذيره، «فإن معصية الناصح الشفique، العالم المجرب، تورث الحيرة وتعقب الندامة، وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري وخلت لكم مخزون رأيي، لو كان يطاع لقصير أمر، فأبأيتم على أباء المخالفين الجناء، والمنابذين العصاة»<sup>(٤٨)</sup>.

فعلى الرغم من علم الإمام عليه السلام بهذه الخديعة التي لجأ إليها معاوية وأصحابه بعد أن تيقنوا من هزيمتهم في صفين، حين رفعوا المصاحف على

وصوره أعداؤه خائفاً من اللقاء ، وهو الشجاع الذي تشهد له سوح القتال بموافق أقرب إلى الأساطير منها إلى الواقع الحقيقة ، وظهر وكأنه بلا رأي وهو الذي خصه الله بعلم لا يقوى أنْ يحمله سواه من البشر ، وإنما صار إلى ما صار إليه لضعف أتباعه وتفرقهم ، وعدم امثالهم لأوامره ونصائحه ، فها هو يصف حال هؤلاء الأتباع في صوره غاية في القبح والكره ، حين يدعوهם لقتال أتباع معاوية ، ولكنهم يتهربون من اللقاء ويفرون مختبئين في بيوتهم ، يقول : «**كُم أَدَارِيكُم كَمَا تَدارِي الْكُبَارُ** **الْعُمَدةُ، وَالثِّيَابُ الْمُتَدَاعِيَةُ، كَلَمَا حِصَّتْ** من جانب تهتك من آخر ؟ **أَكَلَمَا أَطَلَّ** **عَلَيْكُمْ مَنْسَرٌ** **مِنْ مَانِسِرِ أَهْلِ الشَّامِ** **أَغْلَقَ** كل رجل منكم بابه ، وانحر انحراف الضَّبَّةِ في جُحْرَهَا ، والضَّبَّعِ في وجارها»<sup>(٤٩)</sup> .

ملكة الجزيرة وإجابتها لدعوتها إليها بالزواج منها ، إذ قتلته بعد ذلك فذهب قوله «**لَا يطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْ**» مثلاً استعان به الإمام عليه السلام كي يؤكّد لأتباعه أنّهم سيندمون على قبولهم التحكيم ندماً كبيراً ، ولكن بعد فوات الأوان ، وهذا ما كان . ولعلنا لا نغالّي إذا ما قلنا إنّ أغلب صور التقييّح التي جاءت على وفق هذا التشبيه في كلام الإمام علي عليه السلام جاء في وصفه سلوك أصحابه معه في صراعه مع باطل معاوية وأتباعه ، فقد خالفوه الرأي في التحكيم ، وتقاعسوا عن قتال عدوهم ، وصاروا يخنقون الحجاج في التهرب من لقاءه ، ويفرون من دعوة الإمام لقتاله ، حتى إنّا لنحس هذا الألم الممض الذي كان يعانيه الإمام عليه السلام ، وما استولى على نفسه من شعور باليأس من الظفر بعده ، بعد أن خذله أصحابه ، حتى بدا عاجزاً ، وهو القوي المقتدر ،

يطلبها صائدتها فتنجر في جحرها هرباً منه، و فعل الضبع حين تختبئ في وجارها طمعاً في السلامة، وهم يعرفون جيداً لماذا اختار الإمام عليه السلام هذين الحيوانين مشبهاً به لفعلتهما هذه، و ذلك إنّهما من أنتن الحيوانات وأقدرها، كما أنّ فعلهما هذا لا ينجيهمما من صائدhem على الرغم من اختبائهما، لأنّه لا يزال يطلبهما حتى يظفر بهما فيقتلهما، وهكذا هم هؤلاء المتخاذلون، يرون أنّ سلامتهم في الهرب من القتال والاختباء في منازلهم، ولكن الموت ملاقيهم، وشتان بين الموت يأتي بعزم وكرامة في ساحة القتال، وموت يذل به صاحبه ويلحق به وبأهلle العار والشنار لأنّه قُتل وهو مختبئ في داره.

وفي واحدة من أجرأ الصور وأشدّها دلالة على القبح يحاول الإمام عليه السلام أنْ يدي لأتباعه المتخاذلين عن نصرته، الفارين من قتال عدوهم، مقدار

فالعبارة معبرة أحسن التعبير عن ألم الإمام عليه السلام مما يراه من أتباعه، فهم عاقون له، جاحدون لفضله عليهم، فبدل أنْ يطيعوه ويداروه، صار هو الذي يداريهم ويرأف بهم، كما يرعاى الجملُ الذي أصيب سنانه من الركوب، ثم يرسم لهم صورة في غاية الدقة لما هم عليه من ضعف وخور، حين شبّهم بالثياب المتهئة، التي كلما خيطت من جانب تهتك من جانب آخر، ثم عاد ليرسم لهم صورة في غاية القباحة وهم يتهربون من مقاتلته عدوهم، متخاذلين عن نصرة إمامهم، بل هم متقاعسون حتى عن الدفاع عن أنفسهم وحرّمهم وديارهم، فلا يملك إلا أنْ يقرعهم تقريراً شديداً، ويستحضر في أذهانهم قباحة فعلهم، وهم يغرون من المواجهة ويسارعون بالاختباء في بيوتهم، وكأنّ في ذلك أمنهم وسلامتهم، وهم في ذلك إنّما يفعلون فعل الضبة حين

تملك أحداهن حين يداهمها خطر إلا أن تقدم عرضها وشرفها ثناً لباقتها حية أو سلامتها من الأذى. إنّها صورة معبرة عن ابتلاء الإمام عليه السلام بمن ينصره ويلتف حوله في السلم، فإذا حانت ساعة اللقاء أو اشتدت حمى الوعي تفرقوا عنه، وأباحوا حرماتهم لعدوهم نجاة بأنفسهم.

ويصرح الإمام علي عليه السلام باستقباحه هرب مصقلة بن هبيبة الشيباني، وكان قد اتبع سبي بني ناجية من عامل أمير المؤمنين وأعتقه، فلما طالبه بالمال هرب إلى معاوية في الشام، فيقول: «قَبَّحَ اللَّهُ مَصْقُلَةَ فَعَلَ فِعْلَ السَّادَاتِ، وَفَرَّ فَرَارَ الْعَبِيدِ، فَمَا أَنْطَقَ مَادِحَهُ حَتَّى أَسْكَتَهُ، وَلَا صَدَقَ وَاصْفَهُ حَتَّى بَكَّتَهُ»<sup>(٥١)</sup>.

فالتشبيه البليغ بأسلوب المفعول المطلق جاء تعبيراً عن مفارقة كبيرة لفعلين يصدران عن شخص واحد، أحدهما

ابتذالهم وانحطاط هممهم، في محاولة أخيرة لهزّ هؤلاء الأتباع هزاً عنيفاً عليه يوقظ في نفوسهم بقية من حمية أو عرقاً من رجولة يقول: «يا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها، كلما جمعتْ من جانب تفرقتْ من جانب آخر، والله لكانني بكم فيما إخالُ أَنْ لَو حمس الوعي، وحمي الضراب، وقد انفرجتم عن ابن أبي طالب أنفراج المرأة عن قُبْلَها»<sup>(٥٠)</sup>.

فلا شك في أنّ الصورة التي رسمها التشبيه البليغ بأسلوب المفعول المطلق لأنفراج هؤلاء عن الإمام عليه السلام وتخاذلهم أمام عدوهم بقوله (انفرجتم عن ابن أبي طالب أنفراج المرأة عن قُبْلَها) صورة في غاية الكراهة والقبح، ولكنها صادقة في التعبير عن دناءة أهل الكوفة وعجزهم عن ملاقة عدوهم، فهم ليسوا رجالاً يفعلون فعلهم، ولا هم نساء حرائر صائفات لعرضهن وشرفهن، إنّما هم نساء عاهرات لا

ولا شك في أنّ تشبيه بنى أمية بقطعة الكرش أو الكبد المرغفة بالتراب فيه ما فيه من تقبّح لهم واستهانة بقدرهم، وفيه كذلك تعبير عن الشدة في الأخذ، وقدرة عظيمة من الإمام على نفضهم وهزّهم هزاً عنيفاً، كما ينفض القصاب هذه القطعة من اللحم كي ينظفها مما علق بها من تراب ، وهكذا سيكون فعل الإمام بهم إذا ما تمادوا في غيهم وظلوا على ضلالتهم.

ومن هذا الباب قوله مخاطباً عمرو بن العاص مقبحاً فعله في متابعته معاوية ومناصرته إياه طمعاً في غنائم تافهة ومكاسب دنيئة ، فخرّ دنياه وأخرته ، يقول : «إِنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبْعَادَ لَدْنِي امْرَئَ ظَاهِرٍ غَيْرِهِ ، مَهْتُوكٌ سِتْرَهُ»<sup>٥٢</sup> ، يشين الكريم بمجلسه ويسفه الحليم بخالتة، فاتبعت أثره وطلبت فضله اتباع الكلب للضرغام ، يلوذ إلى مخالبه ، ويتنظر ما

يدل على نُبل وكرم وهو افتداوه الأسرى بشرائهم وعتقهم ، والآخر يدل على ضعة ودناءة وهو الهرب إلى معسكر الأعداء تهرباً من دفع ما بذمه من مال ، ففي الأولى فعل السادات وفي الثانية فر فرار العبيد ، فما كاد مادحه ينطق إشادة به ، حتى ألقمه حجراً بهربه المذل ، فاستحق من الإمام عليه السلام هذا الاستقباح وهذه الكراهة.

وفي صورة تشبيهية معبرة للإمام عليه السلام يقبح فيها فعل بنى أمية ، وهم يريدون سرقة تراث النبي صلى الله عليه وآله ويساومون الإمام عليه ، يؤكّد صلابته في دينه ، وثباته على إيمانه ، إذ يشور غاضباً لله ولدينه فيقول : «إِنْ بْنَيْ أَمْيَةَ لِيَفْوَقُنِي تَرَاثَ مُحَمَّدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَفْوِيقَاً ، لَأَنْفَضْنَاهُمْ نَفْسَ اللَّحَامِ الْوَذَامَ التَّرِبَةَ»<sup>٥٣</sup>.

والوذام جمع وذمة وهي القطعة من الكرش أو الكبد تقع في التراب فتنفس ،

يلقي إليه من فضل فريسته فأذهبت دنياك  
وآخرتك»<sup>(٥٣)</sup>.

ويقيناً أن هذه الصورة الرائعة لذل  
عمرو بن العاص ودناءته في متابعته  
معاوية، قد جسّدت قباحة فعله وخور  
عزمته حين ارتضى لنفسه أن يأكل ما  
يفضل من طعام غيره، شأن الكلب الذي  
لا يقوى على الافتراض فيتابع الأسد  
متابعة الذليل، كي يلتقط ما فضل من  
فريسته، يسد به رمقه.

وهذه الصورة المعبرة لا تؤخذ  
بجزئياتها وإنما في تشبيهها حالة بحالة، فإذا  
أراد الإمام عليه السلام تشبيه عمرو بن  
ال العاص بالكلب وهو مستحق لهذا  
الوصف، لا يريد تشبيه معاوية بالأسد،  
لأن أفعاله لا ترقى إلى مكانة هذا الحيوان  
الذي صار رمزاً للشجاعة والمهابة والعز،  
أو لعل المراد منه هنا هو قدرته على  
الافتراض فحسب، وهكذا هو معاوية لا

تكاد تلوح غنية أو منفعة إلا وأجهز  
عليها، حلالاً كانت أم حراماً.

إن الصورة التي رسمها التشبيه البلigh  
بأسلوب المفعول المطلق «فأتبعـت أثـرـه  
وطلـبت فـضـلـه إـتـبـاعـ الـكـلـبـ لـلـضـرـغـامـ،  
يـلوـذـ إـلـىـ مـخـالـبـهـ، وـيـنـتـظـرـ ماـ يـلـقـىـ إـلـيـهـ مـنـ  
فضـلـ فـرـيـسـتـهـ» أـنـهـرـتـ عـمـرـوـ بـنـ الـعـاصـ  
فيـ أـقـبـحـ أـحـوـالـهـ وـقـدـ اـرـتـضـيـ لـنـفـسـهـ.

وقد عجز عن أن يكون هو المبادر أو  
القائد، أن يكون تابعاً ذليلاً، نهازاً  
للفرص، لا يفعل ما يريد، وإنما يتضرر  
من الآخرين أن يفعلوا كي يعيش على  
فضلاتهم، فهو (يلوذ بمخالبهم) لأنـهـ  
أعجز من أن يكون له فعل، فخسر  
 بذلك دنياه وآخرته.

أما دنياه فلأنـهـ لم يحقق ما تمناه أو  
أراده وإنـماـ قـعـ بالـقـلـيلـ الـذـيـ يـلـقـيـهـ إـلـيـهـ  
معاوية، فعاش ذليلاً تابعاً، وأما آخرته  
فلأنـهـ عـرـفـ الـحـقـ وـأـخـرـفـ عـنـهـ مـتـابـعـةـ

٥. «سيوفكم على عوائقكم  
تضعنها مواضع البرء والسمق وتخلطون  
من أذنب بمن لم يذنب»<sup>(٥٨)</sup>.

٦. «فوالله لقد ظهر الحق فكنت فيه  
ضئلاً شخصك، خفياً صوتك، حتى  
إذا نعر الباطل نجمت نجوم قرن  
الماعز»<sup>(٥٩)</sup>.

٧. «أسرعت الكرة، وعجلت  
الوثبة، واحتطفت ما قدرت عليه من  
أموالهم المصونة لأراملهم وأيتامهم  
اختطاف الذئبِ دامية المعزى  
الكثيرة»<sup>(٦٠)</sup>.

٨. «وَمَنْ زَاغَ سَاعَةً عَنْهُ الْحَسَنَةِ،  
وَحَسِنَتْ عَنْهُ السَّيِّئَةُ، وَسَكَرَ سُكْرُ  
الضَّلَالِ»<sup>(٦١)</sup>.

٩. بيان حال المشبه: ويعني هذا أنْ  
حال المشبه غير معلومة، أو إِنَّه غير محدد  
الصفة، ف يأتي التشبيه لبيان هذا الحال أو  
تحديد صفتة، من خلال المشبه به لكون  
صفته أو حاله معلومتين لدى المخاطب،

للباطل، فلم يحظ بخير الدنيا ولا أمل له  
في خير الآخرة.

ومن تشبيهات الإمام أمير المؤمنين  
عليه السلام البليغة الأخرى التي خرجت  
لهذا الغرض :

١. «لا يدرى أصحاب أم أخطأوا.....  
لم يعرض على العلم بضرس قاطع،  
يدري الروايات إذراء الريح الهشيم»<sup>(٥٤)</sup>.

٢. «فَمَا يُدْرِكُ بَكُمْ شَارٌ، وَلَا يَلْبِسُ  
بَكُمْ مَرَامٌ، دُعُوتُكُمْ إِلَى نَصْرِ أَخْوَانَكُمْ  
فِرْجَرْتُمْ جَرْجَرَةَ الْجَمْلِ الْأَسَرِّ،  
وَتَنَاقْلْتُمْ تَنَاقْلَ النَّضْرِ الْأَدَبِ»<sup>(٥٥)</sup>.

٣. «وَكَأْنِي أَنْظَرْتُ إِلَيْكُمْ تَكْشُونَ  
كَشِيشَ الضَّبَابِ، لَا تَأْخُذُونَ حَقًا، وَلَا  
تَمْعُونَ ضَيْمًا»<sup>(٥٦)</sup>.

٤. «أَيُّهَا النَّاسُ، لَوْلَا تَتَخَذُلُوا عَنْ  
نَصْرِ الْحَقِّ، وَلَمْ تَهْنُوا عَنْ تَوْهِينِ  
الْبَاطِلِ، لَمْ يَطْمَعُ فِيْكُمْ مَنْ لَيْسَ  
مِثْكُمْ، وَلَمْ يَقُولْنَ قَوِيًّا عَلَيْكُمْ،  
لَكُنْكُمْ تَهْتَمْ مَتَاهَ بَنِي اسْرَائِيلِ»<sup>(٥٧)</sup>.

السقاء بما فيه من لبن كي تخرج زبته، وعصفها به بعصفها بالفضاء الذي لا أجسام فيه، وبذلك تكون في أشد حالات عصفها لعدم وجود مانع يمنعها، أو يحد من سرعتها.

وبذا كان التّشبّهان البليغان بطريقة المفعول المطلق (فمخضته مخض السقاء) و(عصفت به عصفها بالفضاء) خير وسيلة لبيان حال المشبه المجهول عند السامعين بعد أن استحضر في أذهانهم مخض السقاء، وعصف الريح بالفضاء ومقاييسه ذلك بعصف الريح بالماء امثالاً لأمر الله كي يبدع الكون.

ومن كلام له عليه السلام يصف فيه فرح الناس بخلافته، وتزاحمهم على مبايعته زحاماً شديداً، إذ يقول «فَنَدَاكُوا عَلَيْ تَدَاكَ الْأَبْلَهِيْمَ يَوْمَ وَرُودَهَا، قَدْ أَرْسَلَهَا رَاعِيْهَا، وَخَلَعَتْ مَثَانِيْهَا، حَتَّىْ ظَنِّنَتْ أَنَّهُمْ قَاتِلَيْ أَوْ بَعْضَهُمْ قَاتِلَيْ بَعْضٍ لَدِيَّ»<sup>(٦٣)</sup>.

ولا سيما أنّ المشبه به في هذا اللون من التشبيه (المفعول المطلق) يكاد يكون حالاً من فاعل الفعل الذي يمثل المشبه. ومثال ذلك قول الإمام علي عليه السلام وهو يتكلم على خلق الله سبحانه للسموات والأرض وموجدهما أول التكوين: «ثُمَّ أَنْشَأَ سَبَحَانَهُ رِيحًا اعْتَقَمَ مَهْبَهًا وَأَدَمَ مَرَبَّهَا، وَأَعْصَفَ مَجَارَاهَا، وَأَبْعَدَ مَنْشَأَهَا، فَأَمْرَهَا بِتَصْفِيقِ الْمَاءِ الْزَّخَارِ، وَإِثَارَةِ مَوْجِ الْبَحَارِ، فَمَخْضُتُهُ مَخْضُ السَّقَاءِ، وَعَصَفَتْ بِهِ عَصَفَهَا بِالْفَضَاءِ»<sup>(٦٤)</sup>.

فقد أراد الإمام أنْ يبيّن لسامعيه حال الكون في أول الخلق، وهو حال نجھله جھلاً تاماً، فكان لا بد له من التماس مشبه به معروف عند سامعيه ألفوا حاله وعرفوا صفتة، فصور أمر الله سبحانه للريح كي تصفق الماء وتثير الموج كي تخضه وتعصف به ليخرج زبده، كي تكون منه سماواته السبع، فشبه مخض الريح لماء البحار بخض

بعضهم يقتل بعضاً في حضرته؛ وفي كل ذلك إنما يعرض الإمام باتباعه، ويذكرهم بما كانوا عليه أول البيعة وما أصبحوا عليه اليوم.

وفي حال مشابهة لما تقدم يذكّر الإمام عليه السلام في خطبة له سامعيه، بما كان عليه المسلمون في عهد النبي صلى الله عليه وآله حيث يلتفون حوله يقاتلون آباءهم وأبناءهم وأخوانهم وأعمامهم، دفاعاً عن دينهم ونبيهم، على ما كانوا يشعرون به من ألم وما كانوا يحسونه من غصة، ولكن ذلك لم يزدهم إلا إيماناً وصبراً على القتال طمعاً بالنصر أو الشهادة حيث يقول واصفاً حال أولئك الأبطال:

«ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتتصاولان تصاول الفحلين، يتخاصسان انفسهما أيهما يسقي صاحبه كأس المنون»<sup>(٦٤)</sup>.

فقد أراد الإمام أنْ يذكّر الناس بكيفية مبايعتهم له، وتقاتلهم لتناول يده الشريفة عهداً على الوفاء والتابعة، ولكنهم اليوم يخرجون عن طاعته ولا يتسلّلون لكتابه في كل ما يأمرهم به، فكان التّشبيه البليغ بأسلوب المفعول المطلق (فتذاكوا علي تذاك الابل يوم ورودها) وسيلة في تذكيرهم بتزاحمهم زحاماً شديداً كما تتزاحم الإبل العطاش يوم ورودها على الماء، وحتى يعظّم هذا التزاحم في شدته وكثنته قال (قد أرسلها راعيها) أي إنّها انطلقت بلا راع يردعها أو يهش عليها، وتأكيداً لهذا المعنى قال (وخلعت مثانيها) أي فكت معاقلها، فلا شيء يحول بينها وبين الماء، فاندفعت، لعطشها الشديد، متزاحمة يدفع بعضها بعضاً كي تصل قبل غيرها إلى الماء وهكذا كان هؤلاء الأتباع في تدافعيتهم وتکالبهم على المبايعة، حتى ظنّ الإمام أنّهم قاتلوه بتکالبهم وتزاحمهم، أو أنّ

الله صدقنا أنزل بعدها الكبت وأنزل علينا النصر».

ويحذر الإمام أتباعه من الفتنة التي دبت بين المسلمين، وجعلتهم فرقاً، بعد وحدتهم، وأضعفتهم بعد قوتهم، ولذا سماها (ضلالاً) فقال: «رأيت ضلالاً قد قامت على قطبهَا، وتفرقت بشعبها... تعركم عرك الأديم، وتدوسكم دوس الحميد، وتسخلاص المؤمن من بين هزيل الحب»<sup>(٦٥)</sup>.

قامت الصورة في هذا المقطع من خطبة الإمام علي تشبيهات بلية ثلاثة، جاءت كلها بأسلوب المفعول المطلق (تعركم عرك الأديم) و(تدوسكم دوس الحميد) و(تسخلاص المؤمن من بين هزيل الحب) وغرضها جميعاً واحد هو بيان حال المشبه؛ فإذا أراد الإمام من سامعيه أن يستشعروا الخطر القادم إليهم ويشركهم

فهذا التشبيه، شأن كل التشبيهات السابقة، متزع من البيئة العربية وجوداتها، فحين يدب العراق بين فحليين من الجمال، وتحتد المنازلة ويشتدد العراق، يبدأ كل فحل بالدوران حول صاحبه يحد النظر إليه ثم يهجم عليه بكل ما أوتي من قوة وعنف، فهذه الصورة التي ألفها السامع العربي، صارت وسيلة لعرفة حال الفارسين المقاتلين أحدهما مسلم يدافع عن دينه ونبيه، والآخر مشرك يدافع عن نفسه ومعتقداته، يحد أحدهما النظر إلى الآخر كي ينزل الرعب في قلبه فيبادر إلى قتله قبل أن يعالجه خصمه بذلك. لقد أسهם التشبيه البليغ بأسلوب المفعول المطلق في بيان حال المسلمين الأوائل في قتالهم الصادق، الشديد الخالص لوجه الله، فكان نصرهم بمشيئته ومبركته، بعد أن رأى صدقهم في ذلك، وهو ما أكدته الإمام عليه السلام بقوله: «فلما رأى

سيؤول إليه حال المسلمين، إن لم يتبعوا على الفتنة ودعاتها، ويستمعوا للحق وأهله من الربانيين العارفين بالله وحقه، وهم أهل بيت النبوة عليهم السلام.

وفي خطبته (القاصعة) الطويلة، يتحدث في جانب منها عن أخلاق النبي محمد صلى الله عليه وآله وكيف ربه خالقه فأحسن تربيته، مذكراً الناس بموضعيه هو من رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنه تربى في حجره، يضمه إلى صدره، ويكتفه في فراشه، ويوضع الشيء ثم يلقمه فمه، ويزيد قائلاً: «ولقد كنت أتبّعه إِتْبَاعَ الفصيل أثَرَ أَمْهِ، ليرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً، ويأْمُرني بالاقتداء به»<sup>(٦٦)</sup>.

وبذا كان الإمام عليه السلام تربية الخالق جلّ وعلا، فإذا ربى سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله فأحسن تربيته، ربى النبي علياً، فأحسن تربيته،

فيما كان يخافه من عواقب هذه الفتنة المضلة للجميع، وكي يجسد في أعينهم ما ستفعله بهم إذ ستفرّكهم بشدةً وتدوّسهم، ثم تطحّنهم جميعاً، اختار هذه التّشبيهات الثلاثة المعبرة عما يخشأه الإمام عليه السلام على أمته من عواقب الفتنة التي ستحكمهم حتى يغفوا عفاء الجلد المتهري، وتدوّسهم كما يداس الحصيد كي تتكسر العودان وتزالت القشور فيظهر جوهركم، حينها تبذّ الحبة الضعيفة والمصابة وسوها من هزيل الحب، ولا يبقى إلا المؤمن الصادق الإيمان، ولكن هل ينجو هذا بنفسه؟ كلا، فإنّ هذه الفتنة ستستخلص هذه الحبة البطينة لنفسها كي تطحّنها برحابها، وبذلك فلا خلاص لأحد من هذه الفتنة القاتلة التي لا تترك أحداً، فالجميع سيقعون صرعى في رحابها التي لا ترحم وبذا كانت الصورة التي رسّمها الإمام عليه السلام عبر تشبّيهاته الثلاثة تجسيداً لما

وكان الإمام عليه السلام قد رأى ذلك بنفسه، فاستماحه صاعاً من القمح كي يطعمهم، نجد هذا الموقف الثابت للإمام في خشية الله سبحانه، وعدم التفريط بأموال المسلمين، حتى لأقرب الناس إليه وهو يرى حاجاتهم وعوزهم، يقول: «والله لقد رأيت عقيلاً، وقد أملق حتى استماحني من بركم صاعاً... فأصغيت إليه سمعي فظن أنني أبيعه ديني، وأتبع قياده، مفارقاً طريقي، فأحميت له حديدة، ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها، فضجَّ ضجيجَ ذي دنفٍ من ألمها، وكاد أن يخترق من ميسماها. فقلت له: ثكلتك الشواكلُ يا عقيل، أتئن من حديدة أحماها إنسانها للعبه، وتجرّني إلى نار سجراها جبارُها لغضبه»<sup>(٦٧)</sup>.

أي إيمان هذا، يلأ القلب حتى لا يدع فيه مجالاً لأنّي الأدنياء، وأيّ خشية هذه، تكتف العقل فتجعله مرت هنا لله سبحانه في كل خطوة يخطوها، إنّ الإمام

فكان رياضياً في خلقه وخلقـه، وسيرته شاهدة بذلك.

كان التشبيه البليغ بأسلوب المفعول المطلق، خالق هذه الصورة التي التقاطها الإمام عليه السلام من مفردات حياة العرب اليومية، كي يجسد لهم حاله وهو يقتدي برسول الله صلى الله عليه وآله ويتبعه متابعة الظل، وهي صورة (الفصيل) وهو ولد الناقة في متابعة أمّه حيث تسير كي يتعلم منها شؤون حياته اليومية ويسايرها فيما تفعله، وهكذا كان الإمام عليه السلام في اقتدائـه برسول الله صلى الله عليه وآله ومتابعته في كل ما يقوله ويفعله، متابعة أرادـها الله كـي يتشربـها الإمام علي ثم تتسرـب في بنـيه من بعده، فيبقى الدين عزيزاً وعظيماً، كما أزلـه الله على نبيه.

وفي كلام للإمام عليه السلام يتحدث فيه عن حادثـه المشهورة مع أخيه عقيل، حين شـكـى له سوءـ حال عـيـالـه،



سورة العنكبوت - الآيات ١٢١-١٣٠



لغضبه؟ ومن التشبيهات البليغة بأسلوب المفعول المطلق التي جاءت بياناً لحال المشبه في كتاب نهج البلاغة قول الإمام:

١. «انظروا إلى الدنيا نظرَ الزاهدين فيها، والصادفين عنها»<sup>(٦٨)</sup>.

٢. «فلقد فلق لكم الأمر فلقَ الخرزة، وقرفه قرف الصمعة»<sup>(٦٩)</sup>.

٣. «وصل الدهر صيالَ السبع العقور»<sup>(٧٠)</sup>.

٤. «وهامت دوابُنا وتحيرت في مرابطها، وعجبت عجيج الثكالي على أولادها»<sup>(٧١)</sup>.

٥. «ثم أخرج في كتبية أتبع أخرى، أنقلقلَ تقلُّلَ القدح في الجفير الفارغ»<sup>(٧٢)</sup>.

٦. «فأقبلتم إقبال العوذ المطافيل على أولادها، تقولون: البيعة البيعة»<sup>(٧٣)</sup>.

٧. «وانتظرنا الغير انتظارَ المجدِب المطر»<sup>(٧٤)</sup>.

٨. «يمشي مشيَ المرح المختال»<sup>(٧٥)</sup>.

علي وحده الذي استولى عليه حب الله، وباع روحه وحياته ثناً لرضاه، ولا قيمة لرجل الخلق وانفضاضهم عنه لما يفعل ما دام ما يفعله حقاً من حقوق الله، وفي القيام به رضاه عنه.

لقد روى الإمام عليه السلام لكلام أخيه، وهو صادق فيما قاله عن عياله، فقد رأى الإمام عليه السلام ذلك بنفسه، وربما كان لعقيل وعياله حقٌ فيما سأله الإمام، ولكن خشية الله أحق، وكيف يوقع الإمام هذه الخشية في نفس أخيه قام ما قام به، فكانت ردة فعل عقيل أنْ (ضج ضجيج ذي دنف) أي صاح صيحة المريض الذي اشتد به الألم، والخديدة الحميّة لم تلامس جسده بعد، وإنما دنت منه فحسب، فكان سؤال الإمام الرائع المفحّم لعقيل، ولكل من يعرف هذا الخبر: هذا رد فعلك لنار بسيطة أشعلها بشر للهـوهـ، فكيف بنار الخالق العظيمة التي أوقدها

واختلاف أتباع الإمام، وخروجه عن أوامره... يقول: «أيتها النفوس المختلفة، والقلوب المشتتة، الشاهدة أبدانهم، والغائبة عنهم عقولهم، أطاركم على الحق، وأنتم تنفرون عنه نفوراً المعزى من وعوسة الأسد، هيهات أن أطلع بكم سرار العدل، أو أقيم أعوجاج الحق»<sup>(٧٩)</sup>.

واضح من كلام الإمام عليه السلام شقاوه بأصحابه الذين خذلوه في كل ما كان يدعوهم إليه، حتى صار عاجزاً عن إقامة العدل، أو تقويم اعوجاج الحق، فهو كلما (أطارهم) أي عطفهم على الحق ودلّهم عليه، نفروا منه، ولكي يقرر في نفوسهم مقدار هذا النفور في شدته وسرعته، شبهه تشبيهاً بليناً بأسلوب المفعول المطلق بنفور المعزى عند سماعها زئير الأسد، فهم فزعون من الحق، خائفون من دعوته، وكأنّ فيه هلاكهم، متيقنون من موتهم، يقين

٩. «ونستعين به استعاناً راج لفضله... مؤمل لنفعه»<sup>(٧٦)</sup>.

١٠. «ثم تداكّتم عليّ تداكَ الأبل على حياضها يوم ورودها»<sup>(٧٧)</sup>.

١١. «واختار من خلقه سُمّاعاً أجابو إليه دعوته، وصدقوا كلمته، ووقفوا مواقفَ أنيائه»<sup>(٧٨)</sup>.

٤. تقرير حال المشبه، وتمكينه في ذهن السامع، وذلك بإبراز المشبه في صورة أقوى وأوضح من خلال مشبه به قريب إلى نفس السامع وما أحسه وعرف حالة، فيزيد المشبه بذلك وضوهاً ورسوخاً في النفس. وفي هذا الغرض كان التشبيه في قوله مخاطباً أصحابه الذين أتبّعوا في تردهم على طاعته وعصيائهم لأوامره، حتى بدا عاجزاً وهو القوي، وساكتاً وهو الحق، فيما صار معاوية مقتدرًا، وهو الضعيف، وصائلاً وهو الباطل، لا شيء، سوى طاعة اتباع هذا له طاعة عمياً، وتوحدهم حوله،



سورة العنكبوت - الآيات ١٢١-١٢٣



التشبيه البليغ بأسلوب المفعول المطلق في كتاب نهج البلاغة .....  
 المعزى بهلاكها حين ترى الأسد مائلاً  
 أمامها يزجّر تهياً لافتراسها، إنّها صورة  
 مؤلمة بكل ما فيها ليس في هؤلاء الأتباع  
 الذين عصوا الإمام فحسب، بل في  
 غياب عقولهم حين يخافون الحق هذا  
 الخوف، فلم يعد أحدّهم رجلاً، بل  
 صار معزة يطير قلبه لمجرد سماعها زئير  
 الأسد، وبذا كانت صورة الإمام -  
 على ما تحمله من سخرية وتقرير -  
 مجسدة لفزع هؤلاء الأتباع ومقدار  
 خشيتهم من نداء الحق، ولا غرابة فقد  
 قال الخالق سبحانه: «وَأَكْثَرُهُمْ  
 بِالْحَقِّ كَارِهُونَ» (٨٠).

وفي موقف مناقض لما تقدم، يرسم  
 لنا الإمام في خطبة له صورة للمتقين،  
 الصادقين في إيمانهم، الذين اشتروا  
 آخرتهم بدنياهم، ويصف حالهم في  
 الليل، وهم يمضونه في الصلاة وتلاوة  
 القرآن «وَأَمَا النَّهَارُ فَحلَّمَاءُ عُلَمَاءُ أَبْرَارٍ  
 أَتَقِيَاءُ، قَدْ بَرَاهِمَ الْخَوْفُ بَرِيَ الْقَدَاحِ»

ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى، وما  
 بالقوم من مرض»<sup>(٨١)</sup>.

فهؤلاء المؤمنون يخشون الله خشية  
 عظيمة، وهذه الخشية جعلتهم يهجرن  
 الحياة وملذاتها، وينصرفون للعبادة  
 والتقوى، وهكذا ضعفت أجسادهم،  
 بعد أنْ براها خوف الله بري السهام التي  
 تنحت بحجر الثقاف حتى تستوي مساء،  
 مستقيمة، نحيفة، رقيقة، إذا وقع عليهم  
 نظر الناظر حسبهم مرضى، وما هم  
 مرضى، ولكن زهدهم بحياتهم،  
 واستكثارهم من التبعّد، جعلهم كذلك.  
 وبذا قرر الإمام واحدة من صفات  
 الأتقياء، الصادقين في إيمانهم، العاكفين  
 على صلاتهم المكثرين من قراءة القرآن،  
 وهي نحافة أجسامهم وبريهما بري السهام  
 الرقيقة، فكانت صورته التّشبيهية عبر  
 التشبيه البليغ بأسلوب المفعول المطلق (قد  
 براهم الخوف بري القداح) وسليته  
 البليغة في تقرير هذه الصفة في نفس الذي

فما غرق منها فليس بمستدرك ، وما نجا  
منها فإلى مهلك»<sup>(٨٢)</sup> .

إنّها صورة مخيفة للدنيا ، تجعلنا نحن السامعين نرى أنفسنا في لجة البحر وقد انقلبت بنا السفينة وتشتّت الناس بين غارق هالك ، وناج يحاول أنْ يقاوم الموج كي يدرك الساحل ، وآخر متثبت بما بقي من السفينة علّه ينجو ، ولكن لا نجاة لأيٍّ من فالموت محظوم وهو نهاية كل حي ، ولعل سبب هذه القسوة في الوصف والرعب الذي تخلفه هذه الصورة فيما ، هو أنَّ الإمام يدرك جيداً أنَّ الدنيا مغربية لأهلها بعذاتها ، والنفس الإنسانية مجبرة على حب الراحة والدعة ، وتميل إلى ما يسعدها ويبهجها ، وبذا فإنَّ مهمَّة الإمام ليست يسيرة وهو يحاول أن يصرف الناس عن هذا كله ، ويقنعهم أنَّه إلى زوال ، وأنَّ عليهم أنْ يصرفوا أنظارهم عنه ، ويشخصوا بأبصارهم إلى آخرتهم ، لأنَّها الدار

سؤاله من أصحابه ، أنْ يصف له المتدين حتى كأنَّه ينظر إليهم.

وفي موضوعه الأثير الذي كان الإمام دائم الكلام عليه ، والوعظ به ، وهو تحذير الناس من الاغترار بالدنيا ، والانقياد لمباهجها ، نجده يستعمل هذا اللون من التشبيه لتقرير حال هذه الدنيا في تغييرها وتقلب أحوالها بأهلها.

فيشبها بالسفينة التي تسير في عرض البحر والبحرُ هادئٌ رهؤ ، ومن عليها فرح مطمئن.

ولكن سرعان ما تهب الريح لتعصف بها فتميد من عليها ، وتنقلب لتغرق كل من فيها ، يقول : «أحذركم الدنيا ، فإنَّها دار شخص ، ومحلة تنفيص ، ساكنها ظاعن ، وقطنهَا بائن ، تميد بأهلها ميدانَ السفينة تتصفها العواصف في لحج البحار ، فمنهم الغرقُ الوبق ، ومنهم الناجي على بطون الأمواج تحفزه الرياحُ بأذياها ، وتحمله على أحوالها ،



## التشبيه البليغ بأسلوب المفعول المطلق في كتاب نهج البلاغة.....

يفنى فيها فناءَ الزادِ، ومدة تقطع اقطاعِ  
السير»<sup>(٨٣)</sup>.

فالتشبيهات البليغة الثلاثة (تنقض نقض البناء) و(عمر يفني فيها فناءَ الزاد) و(مدة تقطع اقطاعِ السير) كلها جاءت بأسلوب المفعول المطلق، كي تقرر معنى واحداً يريد الإمام أنْ يثبته في نفوس سامعيه، هو أنَّ هذه الحياة الدنيا فانية، وإنَّ حياتنا فيها مهما امتدت سنواتها فإنَّها قصيرة، لا تكاد تذكر إذا ما قيست بالحياة الآخرة التي جعلها الله خالدة بكل نعيمها وملذاتها، أما هذه الدنيا فكل شيء فيها إلى زوال، وكيف يُقنع الإمام الناس بما يقول صورَ لهم هذه الحياة بصورة البناء الجميل الرائع الذي يهمنا ويخطف أبصارنا، ولكن سرعان ما ينقض ليعود ركاماً من أحجار وتراب، ولا جمال فيه، ولا قيمة له، وهذا العمر الذي نحياه مصيره إلى نفاد وانتهاء لأنَّنا نأكل منه كل يوم شأن زاد المسافر الذي يتناقص يوماً

الدائمة، والمحلة الباقيَة، نعيمها خالد، وسعادتها لا تزول، وبذلابِ دله من أنْ يستجمع بлагته وخياله وما آتاه الله من علم، كي يقرر في نفوس سامعيه حال هذه الدنيا في تذبذبها وزوالها. وهو ما تأتي له عبر التشبيه البليغ بأسلوب المفعول المطلق (تزيد بأهلها ميدان السفينة تقصفها العواصف في لحج البحار) ثم يمضي بعد ذلك في رواية مصير هؤلاء الركاب وهلاكهم، وهو في حقيقة الأمر إنما يقرر في نفوس الناس حالهم في هذه الدنيا.

ويكرر هذا المعنى في صورة تشبيهية أخرى لا تقل جمالاً وتأثيراً من سابقتها، فيقول: «وأحذركم الدنيا، فإنها منزلٌ قلعة، وليس بدار نجعة، قد تزيست بغرورها، وغررت بزيفتها... خيرها زهيد، وشرُّها عتيد، وجمعها ينفد، وملكُها يسلب، وعمرها يخرب، مما خير دار تُنقضُ نقضَ البناء؟ وعمرٍ

وأنقطع لسانه من منتهي، عقلوا الدين  
عقل وعاية ورعاية، لا عقل سماع  
ورواية، فإن رواة العلم كثير، ورعااته  
قليل»<sup>(٨٤)</sup>.

فهذا التمييز الدقيق الذي أقامه الإمام عليه السلام بين رعاية العلم ورواته، هي معضلة زماننا هذا، كما كانت معضلة زمن الإمام، ولعلها سبب كل ما نعيش فيه من فوضى في كثير من جوانب حياتنا اليوم، هو هؤلاء الذين تصدّروا مجالس الوعظ والفتيا، وهم ليسوا أهلاً لذلك لأنّ حفظ الشرائع، وترديد الأحكام، لا يغنى الحياة، ولا يجعل الدين مواكباً لمسيرة الإنسان، إنما الطريق الصحيح هو تحكيم العقل، لوعي الدين وعيّاً حقيقياً، أي استخلاص جوهره، وتشذيه من كل ما علق به من قشور زائفة حجبت هذا الجوهر المكنون، وهذا موقف على أهل بيته النبوة، فهم رعاة هذا الدين ورعااته، فهموه حق فهمه، وروعوه حق رعايته، لذا

بعد يوم حتى يتنهى ، وهذه المدة التي تمثل حياتنا ، مصيرها إلى انقطاع كالسير الذي ينقطع بك فجأة فلا تستطيع بعدها حراكاً ، إنّها صور ثلاث متلاحقة يكمّل بعضها بعضاً كي يقرر للناس حال الدنيا بل حالهم هم فيها ، علّهم يغفلون عنها وعن مغرياتها فهي ساس كل بلاء ، والداء الذي ليس له دواء ، سوى التذكير بسرعة فنائها وزوالها.

وميز الإمام علي عليه السلام بفكره الثاقب ، وعلمه العظيم ، بين علم أهل بيته النبوة ، وهم العلماء الحق ، لأنّهم ربانيون في هذا العلم ، وأدعية العلم ، من عرفوا منه شيئاً وغابت عنهم أشياء ، الذين حفظوا العلم ولكن لم يعلّموه ، مشيراً إلى كثرة هؤلاء ، وقلة أولئك ، ولكن شتان ما بين الفريقين ، يقول واصفاً أهل بيته النبوة : «هم دعائم الإسلام ، ولائج الاعتصام ، بهم عاد الحق إلى نصبه ، وانزاح الباطل عن مقامه ،

وتركبين بالزلزال، واني لأعلم أنه ما أراد بك جبار سوءاً إلا ابتلاء الله بشاغل ، ورماه بقاتل»<sup>(٨٦)</sup>.

٢. «فاقتوا الله تقية ذي لب شغل التفكير قلبه ، وأنصب الخوف بدنـه»<sup>(٨٧)</sup>.

٤. «ونؤمن به إيمان من عاين الغيوب ، ووقف على الموعود»<sup>(٨٨)</sup>.

٥. «بين أهل محلـة موحشـين ، وأهل فراغ متـشاغـلين ، لا يستـأنـسـونـ بالـأـوـطـانـ ولا يتـواصـلـونـ تـواصـلـ الجـيـرانـ»<sup>(٨٩)</sup>.

٦. «إـنـكـ مـتـرـفـ قدـ أـخـذـ الشـيـطـانـ منـكـ مـأـخـذـهـ ، وـبـلـغـ فـيـكـ أـمـلـهـ ، وـجـرـى منـكـ مـجـرـىـ الـرـوـحـ وـالـدـمـ»<sup>(٩٠)</sup>.

٧. «جعل الله ما كان من شـكـواـكـ حـطـاـ لـسـيـئـاتـكـ ، فـإـنـ المـرـضـ لـأـجـرـ فـيـهـ وـلـكـنـهـ يـحـطـ السـيـئـاتـ وـيـحـثـهـ حـتـ الأوراق»<sup>(٩١)</sup>.

٨. «اعـقـلـواـ الـخـبـرـ إـذـاـ سـمعـتـمـوـهـ عـقـلـ رـعـاـيـةـ لـأـعـقـلـ روـاـيـةـ ، فـإـنـ روـاهـ الـعـلـمـ كـثـيرـ ، وـرـعـاـتـهـ قـلـيلـ»<sup>(٩٢)</sup>.

لا نجد عنـهـ اخـتـلـافـاـ فـيـهـ ، وـلـاـ حـيـادـاـ عـنـهـ ، ظـاهـرـهـ كـبـاطـنـهـ ، وـصـمـتـهـ كـنـطـقـهـ ، مـنـهـ يـؤـخـذـ الدـيـنـ الـحـقـ ، وـبـهـ يـقـتـدـىـ ، فـكـلـ عـلـمـ إـلـيـهـمـ مـرـجـعـهـ.

لقد استطاع الإمام بكلام موجز ، ومن خلال التشبيه البليغ بأسلوب المفعول المطلق ، أنْ يقرر كل هذه المعاني بقوله : «عـقـلـواـ الـدـيـنـ عـقـلـ وـعـاـيـةـ وـرـعـاـيـةـ ، لـأـعـقـلـ سـمـاعـ وـرـوـاـيـةـ» ، فـكانـ كـلامـاـ فـيـ غـايـةـ الإـيجـازـ وـلـكـنـهـ ضـمـ بـيـنـ دـفـيـيـهـ مـعـانـيـ كـبـيرـةـ تـؤـلـفـ فـيـهاـ الـكـتـبـ . وـمـنـ صـورـ الـإـمامـ التـشـبـيهـيـةـ الـأـخـرىـ التـيـ خـرـجـتـ لـتـقـرـيرـ حـالـ الـمـشـبـهـ مـنـ خـالـ التـشـبـيهـ الـبـلـيـغـ الـمـفـعـولـ الـمـطـلـقـ :

١. «وـالـذـيـ بـعـثـهـ بـالـحـقـ لـتـبـلـبـلـ بـلـبـلـةـ ، وـلـتـغـرـبـلـنـ غـرـبـلـةـ وـلـتـسـاطـنـ سـوـطـ الـقـدـرـ ، حـتـىـ يـعـودـ أـسـفـلـكـمـ أـعـلـاـكـمـ ، وـأـعـلـاـكـمـ أـسـفـلـكـمـ»<sup>(٩٣)</sup>.

٢. «كـائـيـ بـكـ يـاـ كـوـفـةـ تـمـدـيـنـ مـدـ الأـدـيـمـ الـعـاـكـاظـيـ ، تـعـرـكـيـنـ بـالـنـواـزلـ ،

«وفرض عليكم حج بيته الحرام، الذي جعله قبلة الأنعام، يردونه ورود الأنعام، ويألهون إليه ولوه الحمام»<sup>(٩٣)</sup>.

فقد أراد الإمام علي عليه السلام أنْ يزيّن الحج في نفوس سامعيه ويصور الناس وهو يقدمون إلى الكعبة، هاربين من الدنيا وشرورها إلى حيث بيت الله الحرام كي تستقر النفوس وتسكن، وتلقي بأعبائها في فنائه فتستريح، فهي عطشى لهذا اللقاء، تأتيه متلهفة ضامئة له، شأن الأنعام التي ترد مناهم الماء العذب كي تطفئ ظمآنها منه؛ فالناس في كل زمان يحتاجون للشعور بالأمان والسلام.

فهم يريدون أنْ يتحرروا من أسر هذه الدنيا والهرب من شرورها، وليس أبداً من بيت الله ملاداً يلتجأون إليه، فيجدون فيه راحتهم فهم (يألهون) أي يفرزون إليه ويلوذون به، كما تلوذ الحمائم إلى أعشاشها وموطن سكنها.

٥. تزيين المشبه ومدحه، للترغيب فيه، وتحث الناس على الاتصاف بصفاته، وذلك بذكر مشبه به تستحسنـه النفوس، أجمعت العقول على فضله، وعرف الناس محاسنه فرغبوـوا فيه، فتجرى موازنة ومقاييسـة بينهما، تمـيل بعدها النفوس إلى المشـبه، وترغـب العقول بالتحليـ بصفاته.

ولعل هذا الغرض من أغراض التـشبيـه هو الأقل وروداً في كتاب نهج البلاغـة، ذلك أنـه في جملـته، هو كتاب في الوعـظ والتـزهـيد في الحياة الدنيا والإـعراض عن مفاتـنـها والتـذكـيرـ بأنـها فانية ومباهـجـها زائلـة، والتمـسـكـ بأهدـابـ الدين للنجـاةـ بالنـفسـ ما قدـ يـنتـظرـهاـ منـ عـذـابـ الآخرـةـ، ولـذاـ كانـ المـدـحـ والتـزـينـ عـرـضاًـ قـلـيلـ الـظـهـورـ فيماـ أـثـرـ منـ خطـبـ الإمامـ عـلـيـهـ السـلامـ وـكتـبـهـ وـوصـيـاـهـ.

ومنـ هـذـاـ الغـرـضـ قولـهـ فيـ وـصـفـ الحـجـ، وـتـحـبـيهـ إـلـىـ النـاسـ، وـحـثـهـ عـلـيـهـ

الشيطان، فيحلون عقدة الإيمان، حتى صار أحدهم إذا دعى للقتال دفاعاً عن الحق أخذته الرجفة وحاصت عيناه بجثماً عن مهرب.

أما أولئك المسلمين الحق فيها هي صورتهم حبيبة إلى النفوس، قريبة من القلوب، فهم لصدق إيمانهم وثبات عقيدتهم وحبهم لرسول الله صلى الله عليه وآله يفزعون إلى الموت فزع الناقة التي كانت قد فارقت أولادها وعادت إليهم مشتقة ولهم.

فكان التّشبيه البليغ بأسلوب المفعول المطلق وسيلة ناجحة في رسم مثال جميل وصورة حبيبة لأولئك المسلمين الأوائل، علّ هؤلاء يقتدون بهم.

وفي واحدة من عظاته المأثورة التي توجه بها إلى صاحبه الأشعث بن قيس معزياً إيه بولد له، وحاثاً إيه على الصبر والسلو، يقول: «إِنْ صَبَرَتْ صَبَرَتْ صَبَرَ الْأَكَارِمُ، وَإِلَّا سَلَوْتَ سَلَوْ الْبَهَائِمُ»<sup>(٤٥)</sup>.

وفي خطبة أخرى يستذكر الإمام عليه السلام الرعيل الأول من المسلمين، ويحبب لنا صورتهم، وهم يتهافتون إلى الموت تهافت الفراش على النور دفاعاً عن دينهم، وذباً عن نبيهم، بعد أنْ عرفوا الإسلام فوعوه، وقرأوا القرآن فأحكموه؛ فيقول في حسرة واضحة: «أَيْنَ الْقَوْمُ الَّذِينَ دَعَوْا إِلَى الْإِسْلَامِ فَقَبَلُوهُ، وَقَرَأُوا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَهِيَجُوا إِلَى الْقَتَالِ فَوَلَمُوا وَلَهُ الْلَّقَاحُ إِلَى أَوْلَادِهَا، وَسَلَبُوا السَّيُوفَ أَغْمَادِهَا، وَأَخْذُوا بِأَطْرَافِ الْأَرْضِ زَحْفًا زَحْفًا وَصَفَا صَفَا»<sup>(٤٤)</sup>.

فالإمام يستذكر بألم تلك ثلاثة من المسلمين الأوائل، وصدق إيمانهم حين ينطلقون للقتال فرحين مستبشرین، لا ييشرون بالأحياء ولا يعزون بالشهداء؛ لأنّ الشهادة كانت غايتهم ورضا الله منهم، فيما يقارن حالهم بحال اتباعه من حوله الذين يستسهلون طريق

العبد، ويخصف بيده نعلهُ، ويرقع بيده ثوبهُ، ويركب الحمار العاري، ويرد خلفه... فأعرض عن الدنيا بقلبه، وأمات ذكرها من نفسه»<sup>(٩٦)</sup>.

فهو صور ما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله من تواضع، وما كان يتصرف به من شؤون حياته اليومية، كواحد من أبسط الناس، لا لشيء إلا لأنه طلق الدنيا وزيتها، وأمات ذكرها من قلبه، كي يعلمنا كيفية الاقتداء به والخذو حذوه، وبذا لم تكن صورة الإمام إلا صورة واقعية استمدت كل عناصرها من أحداث يومية عايشها كثير من الصحابة، ورأوها بأعينهم، وإنما أوردها الإمام هنا للتذكير والدعوة للاقتداء بما كان عليه سيد الخلق من بساطة وتواضع، ولعل في قول الإمام عبر التشبيه بأسلوب المفعول المطلق (ويجلس جلسة العبد) ما يؤكّد هذه المعاني فقد خصّ العبد دون سواه من

لقد جمع الإمام في وصيته هذه، غرضين أولهما التحبيب والتزيين وثانيهما التقبّح والتنكّر، فهو يذكر الأشعث أنَّ المصيبة مهما عظمت لا بد لها من أنْ تخف بمرور الأيام، فيسلو الإنسان وتهداً نفسه ولكن الفرق كبير بين من يحمل نفسه على الصبر احتساباً وإيماناً، ومن تجربه الأيام عليه، فيسلو سلو البهائم، فصبر الإنسان على قضاء الله وقدره من كريم الشيم، ولذا حث الإمام عليه، فيما حذر من السلو الذي تأتي به الأيام لأنَّ شأن الإنسان فيه شأن الحيوانات التي تتناسى ما يمر بها من مصائب أو آلام.

ونجد غرض التحبيب واضحاً في كلام الإمام وهو يصف لأصحابه ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله من بساطة في العيش وتواضع في السلوك، فيقول: «ولقد كان صلى الله عليه وآله وسلم، يأكل على الأرض، ويجلس جلسة



- (٩) المستدرك على الصحيحين : ١٣٧/٣ .
- (١٠) نهج البلاغة : ٢٢/٢ .
- (١١) م.ن : ٦٣/١ .
- (١٢) م.ن : ١٥٥/٢ .
- (١٣) م.ن : ٥٧/٢ .
- (١٤) م.ن : ١٦٢/٢ .
- (١٥) م.ن : ١٢٢/١ .
- (١٦) م.ن : ٧٣/١ - ٧٤ .
- (١٧) م.ن : ٤٨/١ .
- (١٨) م.ن : ٩٦/١ .
- (١٩) م.ن : ٢١٣/٣ .
- (٢٠) النمل : ٨١ .
- (٢١) الواقعة : ٥٥ .
- (٢٢) محمد : ٢٠ .
- (٢٣) القمر : ٤٢ .
- (٢٤) شرح ديوان امرئ القيس / ١٤٠ .
- (٢٥) ينظر كتابنا : النقد البلاغي عند العرب :
- ..... ينظر كتابنا : النقد البلاغي عند العرب :
- (٣٦) ٣٨٩ - ٣٦٤ .
- (٢٦) العرف الطيب / ٦٠٠ .
- (٢٧) علم أساليب البيان / ١٨٦ .
- (٢٨) نهج البلاغة : ١٨٩/١ .
- (٢٩) م.ن : ٣٦/١ .
- (٣٠) م.ن : ٩٧/١ - ٩٨ .

الناس، كي يستحضر معاني الحشو والبساطة والتذلل لله، فإذا كان هذا حاله وهو سيد الخلق، ومن غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فكيف تراها تكون جلستنا نحن المحملين بالذنوب، السائلين المغفرة، والساugin لرضا الله، أنها صورة تحت الجميع على الاقتداء بسلوك رسول الله وأسلوب حياته، كي تقرب من الله، ونكسب عفوه وغفرانه بمحاولة الاقتداء بسنة رسوله صلى الله عليه وآله.

- (١) الإسراء : ٨٨ .
- (٢) هود : ١٣ .
- (٣) البقرة : ٢٣ .
- (٤) يومن : ٣٨ .
- (٥) النكت في إعجاز القرآن / ٧٢ . وقال الجاحظ كلاماً قريباً من هذا وهو يقف عند مقوله الإمام هذه. ينظر البيان والتبيين : ٨٣/١ .
- (٦) نهج البلاغة : ٣٦/١ .
- (٧) ينظر كتابنا : الوان من التشبيه في الشعر العربي / ٥٩ - ٦٢ .
- (٨) نهج البلاغة : ٥٨/٢ .

- .٤٩/١ م.ن : (٥٤)
- .٨٦/١ م.ن : (٥٥)
- .٤/٢ م.ن : (٥٦)
- .٩٦/٢ م.ن : (٥٧)
- .١١/٢ م.ن : (٥٨)
- .١٣٧/٢ م.ن : (٥٩)
- .١٥٨/٣ م.ن : (٦٠)
- .١٥٨/٣ م.ن : (٦١)
- .١١/١ م.ن : (٦٢)
- (٦٢) م.ن : ٩٩ / ١ وقد ذكر الإمام عليه السلام وصف هذا الموقف في خطبة أخرى ينظر م.ن : ٢٤٩/٢
- .١٠٠/١ م.ن : (٦٤)
- .٢٠٨ - ٢٠٧/١ م.ن : (٦٥)
- .١٨٢/٢ م.ن : (٦٦)
- .٢٤٤ - ٢٤٣/٢ م.ن : (٦٧)
- .١٩٧/١ م.ن : (٦٨)
- .٢٠٨/١ م.ن : (٦٩)
- .٢٠٨/١ م.ن : (٧٠)
- .٢٢٥/١ م.ن : (٧١)
- .٢٣١/١ م.ن : (٧٢)
- .٢٨/٢ م.ن : (٧٣)
- .٥٤/٢ م.ن : (٧٤)
- .١٧٣/٢ م.ن : (٣١)
- .٢٠٤/٢ م.ن : (٣٢)
- .٧٩/١ م.ن : (٣٣)
- .٢١/١ م.ن : (٣٤)
- .٨٣/١ م.ن : (٣٥)
- .٣٠/٢ م.ن : (٣٦)
- .٤٣/٢ م.ن : (٣٧)
- .٦٦/٢ م.ن : (٣٨)
- .٧٨/٢ م.ن : (٣٩)
- .٨٨/٢ م.ن : (٤٠)
- .١١٠/٢ م.ن : (٤١)
- .١٥٦/٢ م.ن : (٤٢)
- .٣/٣ م.ن : (٤٣)
- .١٥/٣ م.ن : (٤٤)
- .١٥٥/٣ م.ن : (٤٥)
- .١٨٠/٣ م.ن : (٤٦)
- .١٠٦/٢ م.ن : (٤٧)
- .٨١/١ م.ن : (٤٨)
- .١١٣/١ م.ن : (٤٩)
- .١٨٩/١ م.ن : (٥٠)
- .٩١/١ م.ن : (٥١)
- .١٢٣/١ م.ن : (٥٢)
- .٧١/٣ م.ن : (٥٣)

### **المصادر والمراجع:**

- ١ - القرآن الكريم .٩٠/٢ (٧٥)
  - ٢ - ألوان من التشبيه في الشعر .١٢٥/٢ (٧٦)
  - العربي / أ. د. عبد الهادي خضر .١٤٩/٢ (٧٧)
  - نيشان ، دار الفراهيدى للنشر والتوزيع .٢١/١ (٧٨)
  - بغداد ، الطبعة الاولى .١٨/٢ (٧٩)
  - ال المؤمنون : ٧٠ (٨٠)
  - .١٨٧/٢ (٨١)
  - .١٩٥/٢ - ١٩٦ (٨٢)
  - .٢٢٠/١ - ٢٢١ (٨٣)
  - ٢٦٠/٢ وكرر هذا التشبيه في (٨٤) م.ن : ٢٦٠/٢  
موضع آخر من النهج ينظر : ١٧٢/٣
  - .٤٣/١ (٨٥)
  - .٩٢/١ - ٩٣ (٨٦)
  - .١٣٨/١ (٨٧)
  - .٢٢٢/١ (٨٨)
  - .٢٤٧/٢ (٨٩)
  - .١٢/٣ (٩٠)
  - .١٦٢/٣ (٩١)
  - .١٧١/٣ (٩٢)
  - .٢١/١ (٩٣)
  - .٢٣٤/١ (٩٤)
  - .٢٥٢/٣ (٩٥)
  - .٧٤/٢ - ٧٥ (٩٦)
- ٤ - شرح ديوان امرئ القيس ومعه اخبار المراقبة واعمارهم ، تأليف حسن السنديبي ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة .
- ٥ - العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب / الشيخ نصيف اليازجي ، صوب نصوصه وضبطها وقدم له الدكتور عمر فاروق الطباع ، شركة دار الأرقام للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .

- ٦ - علم اساليب البيان / الدكتور غازي ميتوت ، دار الأصالة للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م بيروت.
- ٧ - المستدرک على الصحيحين / الحاکم النيسابوری ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله ، دراسة وتحقيق مصطفی عبد القادر عطا ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الثانية ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
- ٨ - النقد البلاغي عند العرب إلى نهاية القرن السابع للهجرة/أ. د. عبد الهادي خضير نيشان ، دار الفراهيدي للنشر والتوزيع - بغداد الطبعة الاولى ٢٠١٣ م.
- ٩ - النكت في اعجاز القرآن/ الرّماني ، ضمن كتاب "ثلاث رسائل في اعجاز القرآن" حققها وعلق عليها محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول عبد السلام ، دار المعارف بمصر.

قال أمير المؤمنين عليه السلام

أقْنِمْ مِنْ تَصْبِيْ أَنْ يَهْلَكَ

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِيْنَ وَلَا أَشَارَ كَوْهْرِيْ

مَحَاجَرُ الْمَهْرَ

نهج البلاغة - تحقيق صبحي الصالح : ص ٧٦

# **منهج أمير المؤمنين عليه السلام في معالجة الفساد المالي**

**أ. د. حسين علي الشرهاني**

جامعة ذي قار/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

تعد ظاهرة الفساد المالي إحدى المظاهر السلبية التي برزت في الدولة الإسلامية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كنتيجة طبيعية لاتساع الدولة الإسلامية وتدفق كمية كبيرة من الأموال إلى خزائنهما. وقد حاول عمر بن الخطاب إيجاد حل لهذه المشكلة لكن الحلول التي وضعها كانت منقوصة ولم تسهم في حلها بل زادت من تعقيدها، ثم ازداد الأمر سوءاً بعد أن تولى عثمان بن عفان الخلافة وشرع في تولية أفراد الأسرة الأموية على الولايات الإسلامية.

بعدها لجأ المسلمين إلى الإمام علي

بن أبي طالب عليه السلام؛ ليضع حلولاً لما تعانيه الدولة الإسلامية من ظلم وتفاوت طبقي واستئثار بأموالها، فشرع في اليوم الأول لتنسمه الحكم في إيجاد حلول ناجعة للمشكلات التي تعاني منها الدولة الإسلامية، فألغى التفاوت الطبقي في العطاء وبعدها غير الكادر الإداري الذي يدير الولايات الإسلامية من أجل القضاء على ظاهرة الفساد المالي، واستند الإمام علي عليه السلام في سياسة التغيير التي انتهجهما على إيجاد كادر إداري كفؤ ولديه خبرة في الأعمال الإدارية والاقتصادية ملتزم بتعاليم الإسلام، كما اشترط أن ينماز الولاة والعمال بمجموعة من الصفات إلى جانب الخبرة والكفاءة حتى يسند إليهم العمل الإداري منها الحياة والورع والتقوى والانتساب إلى البيوتات الصالحة وغير ذلك من الصفات.

## المقدمة

تعد ظاهرة الفساد المالي إحدى المظاهر السلبية التي برزت في الدولة الإسلامية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كنتيجة طبيعية لاتساع الدولة الإسلامية وتدفق كمية كبيرة من الأموال إلى خزائنهما.

وقد حاول عمر بن الخطاب إيجاد حل لهذه المشكلة لكن الحلول التي وضعها كانت منقوصة ولم تسهم في حلها بل زادت من تعقيدها، ثم ازداد الأمر سوءاً بعد أن تولى عثمان بن عفان الخلافة وشرع في تولية أفراد الأسرة الأموية على الولايات الإسلامية، فبدأ هؤلاء بالتجاوز على المسلمين وعلى أموال الدولة الإسلامية ولم يستطع عثمان كبح جماحهم، بل تضامن معهم فانتهى الأمر بشورة عمّت الولايات الإسلامية الكبرى وانتهت بقتل عثمان بن عفان.

كبيرة لم يألها المسلمين طيلة المدة السابقة؛ فتبع ذلك تجاوزات من بعض الموظفين على الأموال العامة؛ لذلك حاول عمر بن الخطاب إيجاد معاجلات للقضاء على هذه الظاهرة الخطيرة، لكن معاجلاته لم تكن بمستوى الظاهرة التي استمرت تضرب أُسس الدولة وتهدد كيانها؛ فعندما بلغه أنّ عمال الخراج قد سرقوا أموال المسلمين، أرسل بطلبهم وقادسهم الأموال التي يتلكونها، وقام نفيع بن الحارث الشفقي أبا بكرة أيضاً مع أنّه لم يكن من هؤلاء العمال، لأنّه ادعى عليه أنّ أخيه زياد بن أبي أطعاه عشرة آلاف درهم ليتاجر بها، وكان زياد مسؤولاً عن بيت مال البصرة<sup>(١)</sup>.

وهذا الإجراء الذي اتّخذه مع هؤلاء العمال لا يتناسب مع حجم الإساءة التي اقترفوها، وكان عليه مصادرة أموالهم كلها إن ثبتت عليهم السرقة،

وعلى الرغم من دقة اختيار هؤلاء الولاة والعمال وثقته بهم، وضع نظام رقابي دقيق من أجل متابعة عمل هؤلاء الموظفين والخلولة دون تجاوزهم على المسلمين أو أموال الدولة، وفي الحالات التي حدثت فيها تجاوزات فردية سرعان ما يجد لها الإمام عليه السلام حلّاً سواء بعزل العامل أو معاقبته؛ فكانت نتيجة هذه الإصلاحات أن استطاع الإمام علي عليه السلام خلال المدة القليلة التي حكم فيها الدولة الإسلامية أن يقضي على ظاهرة الفساد المالي، ويضبط هذه الدولة المترامية الأطراف بوساطة نظام إداري متكملاً قائم على حسن الاختيار والرقابة الشديدة. برزت ظاهرة الفساد المالي بصورة واضحة في عهد عمر بن الخطاب الذي شهد عهده بداية الفتوحات الإسلامية في العراق والشام ومصر وغيرها من المناطق، ورافق هذه الفتوحات تدفق الأموال إلى بيت مال المسلمين بصورة

وأثرى عمرو بن العاص والي مصر من أموال المسلمين، فأرسل عمر إليه محمد بن مسلمة ليقاسميه ماله، وكان عمر بن الخطاب إذا أرسل أحد العمال إلى ولاية، يكتب ما يملكه من المال.

إذا زاد ماله أرسل إليه من يقاسميه المال، فكتب إلى واليه على مصر: (إنَّه قد فشت لك فاشية من متاعٍ ورقيقٍ وآنيةٍ وحيوانٍ لم تكن حين وليت مصر).

فرد عليه عمرو أنَّ أرض مصر أرض مزدوج ومتجر، والأموال تنموا في هذه المنطقة، إلا أنَّ عمر بن الخطاب لم يقتضي بهذا الرأي وألزمته أن يدفع نصف ماله لمحمد بن مسلمة.

فكان هذا الأمر سبباً لغضب عمرو؛ فقال: (إنَّ الزمان الذي يعاملنا فيه ابن حنتمة - هي أم عمر بن الخطاب - هذه المعاملة زمان سوء) وهو يفتخر بأنَّ أباه العاص بن وائل السهمي كان يلبس الحرير قبل الإسلام<sup>(٧)</sup>.

أما إن لم ثبت عليهم؛ فليس له الحق بأخذ نصف ما يملكون.

وإنَّ عمر بن الخطاب عندما عزل خالد بن الوليد عن الجيش سأله عن كثرة ماله<sup>(٢)</sup>، فأجاب أنَّ ماله جاء عن طريق الأنفال والشهداء التي حصل عليها في المعارك التي خاضها، إلا أنَّ الحاكم لم يقتضي بالأمر فأخذ جزءاً من ماله وأدخله في بيت المال<sup>(٣)</sup>.

وهذا الأمر تكرر مع ولادة آخرين فشاطر سعد بن أبي وقاص الوالي على الكوفة ماله<sup>(٤)</sup>.

كذلك فعل مع يعلى بن أمية واليه على اليمين، وضرب أبا هريرة واليه على البحرين بالدرة حتى أدمى وجهه لما امتنع عن إعطاء نصف ماله<sup>(٥)</sup>، وتلاعيب أبو موسى الأشعري بأموال المسلمين، وأخذ منها لنفسه وعياله؛ فكتب له عمر بن الخطاب، ولما لم يرتدع عزله عن ولاية البصرة وقاسميه أمواله<sup>(٦)</sup>.

نصفه، ولئن كانوا غير خونة، فما حلّ له أن يأخذ أموالهم ولا شيئاً منه قليلاً ولا كثيراً، وأعجب من ذلك إعادته إليهم إلى أعمالهم لئن كانوا خونة، ما حلّ له أن يستعملهم، ولئن كانوا غير خونة ما حقت له أموالهم»<sup>(٩)</sup>.

والأمر الأغرب أن عمر بن الخطاب لم يطبق هذه الإجراءات مع والي الشام معاوية بن أبي سفيان، إذ تذكر الروايات إنه سافر إلى الشام: (تلقاء معاوية في موكب عظيم، فلما دنا منه قال عمر: أنت صاحب هذا الموكب العظيم، قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: مع ما بلغني من وقوف ذوي الحاجات ببابك، قال: مع ما بلغك من ذلك، قال: ولم تفعل هذا، قال: نحن بأرض جواسيس العدو بها كثيرة، فيجب أن نظهر عزّ السلطان ما يرهبهم به، فإن أمرتني فعلت وإن نهيتني انتهيت، فقال عمر: يا معاوية ما أسألك عن شيء إلا تركتني في مثل

وعلى الرغم من هذه الحاسبة التي كان يقوم بها عمر بن الخطاب تجاه عماله، لكن الأمر المستغرب أنه كان يقاسم هؤلاء العمال أموالهم، ولا يعزلهم عن تلك الولايات بل استمروا في عملهم، على الرغم من أنه يعتقد أنهم سرقوا أموال المسلمين، كذلك فإنه كان يجب أن يصادر كل الأموال، مadam يعتقد أنها أموال المسلمين، وقد عبر أبو بكرة نفيع بن الحارث الثقفي عن هذا المعنى، عندما امتنع أن يدفع نصف ماله لعمر بن الخطاب بالقول: (لئن كان المال لله مما يحل لك أن تأخذ بعضًا وتترك بعضًا، وإن كان المال لنا فمالك أخذه)<sup>(٨)</sup>. كذلك عبر الإمام علي عليه السلام عن رفضه لهذا النهج بالقول: «لئن كان عماله خونة، وكان هذا المال في أيديهم خيانة، ما كان حلّ له تركه، وكان له أن يأخذه كله فإنه فيء للمسلمين، فماله أن يأخذ نصفه ويترك



رواجب الضرس ، لئن كان ما قلت حقاً  
إنه لرأي أريب ، ولئن كان باطلأ إنّه  
لخدعة أديب ، قال : فمرني يا أمير  
المؤمنين ، قال لا أمرك ولا أنهاك<sup>(١٠)</sup> .  
وفي هذه الرواية يقول عمر لا أمرك  
ولا أنهاك ، والذي يقرأ هذه الرواية  
يسنّت أن عمر بن الخطاب تركه  
يتصرف على هواه ، وهذا الأمر مخالف  
لما عُرف عن عمر من شدة حتى على  
أبسط التصرفات ، حتى أنه ضرب  
الصحابي قيم الداري<sup>(١١)</sup> بالدرة لأنّه  
صلى ركعتين بعد صلاة العصر مع  
العلم أنّ هذه الصلاة مستحبة صلّاها  
الصحابة مع الرسول صلّى الله عليه  
وآله وسلم لكن عمر بن الخطاب منع  
أن يصلّوها<sup>(١٢)</sup> ، ونحن لا نستطيع أن  
نعرف على وجه الدقة لماذا ترك الأمور  
لعاوية هكذا ، وممكّن له فعل أي شيء  
يريده ، وهو يعلم حقيقة معاوية ؟ فقال  
فيه مرّة أنّه (كسرى العرب)<sup>(١٣)</sup> .

ثم ترك له عثمان بن عفان الجبل  
على الغارب ، فكان مستقلّاً في ولاية  
الشام لا يحاسبه أحد على أفعاله أو  
تصرّفه بأموال المسلمين ، وعندما قتل  
عثمان بن عفان كانت الفرصة مواتية له  
للمطالبة بالخلافة .

وقد حاول الإمام علي عليه السلام  
أن يعرض خبراته وما يمتلكه من خزينة  
معروفة على الحكّام الذين سبقوه حرصاً  
منه على الدولة الإسلامية ، فطرح على  
عمر بن الخطاب مجموعة من الآراء  
تعلّق بكيفية التعامل مع أموال  
المسلمين ، فأخذ الحاكم جزءاً منها  
وترك الجزء الآخر ، وهذه الآراء كانت  
ترتكز على عنصرين رئيسين هما  
التعامل مع الأرض والأموال من جهة ،  
وضرورة اختيار أشخاص مناسبين  
للقيام على إدارة أموال المسلمين  
وصيانتها من جهة أخرى<sup>(١٤)</sup> ، لكن  
العهد الذي سبق خلافته شهد مجموعة

الذين كانوا ولاة في عهد عمر بن الخطاب مثل معاوية، لم يكن أحدهم يجرأ على القيام بأي تصرف يخالف سياسة الخليفة، بينما في عهد عثمان بن عفان أصبح معاوية متفرداً بعمله وشبهه مستقل في ولايته؛ لذلك كان إصلاح الإمام علي عليه السلام قائماً على معالجة الخلل الاقتصادي المبني على السياسة المالية الخاطئة، وتكوين جهاز إداري يقوم على صيانة أموال المسلمين.

لذلك عندما تولى الخليفة سعى لتطبيق هذه السياسة على أرض الواقع، بعد أن شخص العلل وحاول أن يضع لها حلولاً، وكان رأيه أنّ إحدى الآفات الرئيسية التي سبّبت الأزمة السياسية والاقتصادية هي تعين أشخاص غير مناسبين في الواقع الإدارية<sup>(١٥)</sup>، ولا سيما ماله مساس مباشر بأموال المسلمين، ولدينا أمثلة كثيرة على هذا الموضوع، إذ

من الأخطاء، سبّبت مشكلة سياسية ودينية مازال المسلمون يعانون من آثارها حتى هذا اليوم، وجزء كبير من هذه المشاكل كان سببه التعامل غير الصحيح مع الأموال، وعلى الرغم من أنّ عمر بن الخطاب كان شديداً مع الولاة وعمال الخراج والجزية بحيث لم يجرأ أحد على مخالفة أوامرها، كذلك لم تظهر آثار التمايز في العطاء وغيرها من السياسات في عهده، لكن هذا الأمر لم يستمر طويلاً، إذ سرعان ما برزت الآثار السلبية لهذه السياسات في عهد عثمان بن عفان، وزادت المشكلة عندما بدأ عثمان بن عفان، بعزل ولاة عمر بن الخطاب الذين كانوا يحظون بقبول عامة المسلمين، ويولي بدلاً منهم أقرباءه من البيت الأموي، من لم تكون لهم سابقة في الإسلام، ولم يتمتعوا باحترام المسلمين نتيجة لسلوكيهم السيئ، وحتى الآخرين

الاستفادة القصوى منها وليس خدمة المسلمين، وهذا ما ألفوه سابقاً فأرادوا أن يحصلوا على ما حصل عليه من سبقهم، إذ تذكر الروايات أنَّ عمر بن الخطاب بعد وفاة يزيد بن أبي سفيان أعطى ولايته لأخيه معاوية؛ فقال الأخير لعمر (وصلتك رحم)<sup>(١٧)</sup>؛ لأنَّه يعد هذه الولاية له ومن حقه أن يتصرف بها كيف يشاء، وبالفعل حدث ذلك فأصبح معاوية والياً تابعاً للدولة الإسلامية بالاسم فقط، ثم جاءت صلة الرحم الثانية من عثمان بن عفان عندما عزل ولاة الشام وجمعها لمعاوية<sup>(١٨)</sup>.

وبالرغم من استغلال معاوية منصبه في تعزيز استقلاله، فإنَّه كان يخاف مخالفة الحاكم آنذاك عمر بن الخطاب، وبقي مجرد أحد الولاية الأقوىاء في الدولة الإسلامية، بعد أن عينه الأخير والياً على دمشق والأردن<sup>(١٩)</sup>، لكن هذه الحال لم تستمر طويلاً لأنَّ وفاة عمر بن الخطاب ومجيء

أنَّ الولاية السابقين كانت الولاية بالنسبة لهم وليمة يأخذون منها الذي يشاءون وكيفما يشاءون، من غير أن يعتبروا هذه الولاية ملكاً للمسلمين؛ لذلك أكد الإمام عليه السلام لعماله أنَّهم مجرد خدام للرعاية، والولاية ليست تشريفاً لهم بقدر ما كانت خدمة عامة يأخذون عليها أجراً، وييتغرون الفضل والثواب من الله إذا أحسنوا عملهم؛ لذلك عندما أراد أن يولى الزبير اليمامة والبحرين، ويولى طلحة اليمن، قال له: (وصلتك رحم). لذلك استرد كتاب تعينهم، وقال لهم: «إِنَّمَا وصلتكما بولاية أمر المسلمين»، واسترد العهد منهمما، فأغضبهما ذلك وقال له: (آثرت علينا) فكان جواب الإمام عليه السلام واضحاً في هذا الأمر: «لولا ما ظهر من حرصكما لقد كان لي فيكمارأي»<sup>(٢٠)</sup>، وهذا يعني أنَّ العمال كانوا يريدون إسناد الوظائف الحكومية لهم من أجل

وخر نفوذه السياسي والاجتماعي بعد قيام الدولة الإسلامية، لأنّ معاوية أستغل مقتل عثمان للوصول إلى هذا الهدف، فأعلن نفسه متمرداً على خلافة الإمام علي عليه السلام بذرية الآخذ بدم عثمان<sup>(٢١)</sup>، فأصبحت بلاد الشام ملجاً للمتمردين على الخلافة من السراق وال مجرمين، ثم جاءته الفرصة عندما اغتيل الإمام علي عليه السلام فأعلن نفسه حاكماً مطلقاً للمسلمين من دون أن يكون لهم أي رأي في اختياره أو تنصيبه، فأسس لسياسة الاستيلاء على السلطة بالقوة، التي لازالت حتى هذا اليوم مستحكمة على الوضع السياسي في العالم الإسلامي والعربي.

لذلك كان أول إجراء اتخذه الإمام علي عليه السلام هو تغيير الكادر الإداري الذي تولى إدارة الدولة الإسلامية في عهد عثمان بن عفان، وهذا التغيير لم يكن من أجل التغيير فقط، بل من أجل معالجة

عثمان للخلافة، هيأ له حكم الشام بصورة مطلقة<sup>(٢٠)</sup>، الأمر الذي مكنته من إحكام قبضته على تلك المنطقة الواسعة، لأنّ فيها جيشاً قوياً جداً أنفق عليه من أموال الدولة الإسلامية، من دون أن تكون عليه رقابة من أحد بحكم شبه الاستقلال الذي ناله في عهد عثمان، وأنّ مدة حكمه الطويلة جعلت أهل الشام يتعودون عليه، ولا سيما أنّهم لم يعرفوا الإسلام إلا منه ومن أخيه يزيد بن أبي سفيان الذي كان والياً قبله؛ لذلك تعلّقوا به أشدّ التعلّق لأنّه - وفقاً لعقيدتهم - ابن عم الرسول صلى الله عليه وآلـه وسلم، وأسرته من بني أمية هم أهل البيت، وهم لا يعرفون من الإسلام إلا ما علمـهم إياـه وما يريد أن يتعلـموه، وبذلك يكون عثمان الذي أطلق يد معاوية في تلك المنطقة، قد مهد لانتقال حكم المسلمين إلى البيت الأموي، الذي لم يستطع أن يواجه دعوة الإسلام وهو في الجانب المعارض لها،

شعب الجور والخيانة لله ، وإدخال الضرر على الناس ، وليست تصلاح أمور الناس ، ولا أمور الولاية إلا بصلاح من يسعينون به على أمورهم ، ويختارونه لكتابة ما غاب عنهم ، فأصلح لولاية أعمالك أهل الورع والفقه والعلم والسياسة ، والصق بذوي التجربة والقول والحياء من أهل البيوتات الصالحة وأهل الدين والورع ، فإنّهم أكرم أخلاقاً وأشد لأنفسهم صوناً وإصلاحاً ، وأقل في المطامع إسرافاً ، وأحسن في عواقب الأمور نظراً من غيرهم ، فليكونوا أعمالك وأعوانك ، ولا تستعمل إلا شيعتك منهم ، ثم أسبغ عليهم العمالات ، وأوسع عليهم الأرزاق ، فإن ذلك يزيدهم قوةً على استصلاح أنفسهم ، وغني عن تناول ما تحت أيديهم ، وهو مع ذلك حجة لك عليهم في شيء إن خالفوك في أمرك ، وتناولوا من أمانتك ، ثم لا تدع مع ذلك من القوة ، واحذر أن تستعمل أهل

المشكلة السياسية والاقتصادية التي تعاني منها الدولة الإسلامية ، وهذه المعالجة كانت ترتكز على إصلاح الإدارة المالية للدولة الإسلامية ، وهذا الإصلاح يقوم على اختيار موظفين كفوئين قادرين على صيانة أموال المسلمين ، وهؤلاء الموظفين هم الولاية وعمال الخراج والجزية والصدقات ، واختيارهم كان يعتمد على مجموعة من المعايير وضعها الإمام علي عليه السلام مع ارتباط هذا الاختيار للموظفين الكفوئين بنظام رقابي شديد طبقه على ولايات الدولة الإسلامية .  
وستناقش في بداية الموضوع معايير اختيار الموظفين القائمين على الإدارة المالية التي وضعها الإمام من أجل معالجة الخلل ، وهذه المعايير لخصها في كتاب تعين مالك بن الحارث الأشتري ، إذ كتب له : «أنظر في أمور أعمالك الذين تستعملهم ، فليكن استعمالك إياهم اختياراً ، ولا يكن محاباة ولا إشاراً ، فإن الأثرة بالأعمال والمحاباة بها جماع من

سببه القوة والميّة والنفوذ، الذي يوفره له تولي منصب يتحكم بالناس، فتصبح هذه الغريزة سبباً في الإيذاء لآخرين إذا ما استغلت في غير موقعها، فاحتاط لهذا الأمر ووضع هذه الشروط من أجل تجنب الإساءة للرعاية، لاسيما أنّ الولاة والعمال هم واجهة الدولة أمام رعاياها، والمرأة التي ينظر بها الناس إلى طبيعة الحكم، فأوجب الإمام علي عليه السلام وجود مستوى أخلاقي راقٍ مرتبط بالتزام ديني يمنع صاحبه عن ظلم الناس<sup>(٢٣)</sup> من أجل تولي هذه الوظائف.

وعندما نطلع على قائمة الأسماء التي اختارها الإمام علي عليه السلام لشغل هذه المناصب، نجد أنّ الكثير منهم تتوفّر فيهم السابقة للدخول للإسلام، زيادة على تميزهم بالالتزام الديني والأخلاقي والمعروفة بالفقه، الذي يمنعهم من التجاوز على الأموال التي هم مؤمنون عليها أو ظلم الرعية؛ وذلك

التكبر والتجرّ والنخوة، ومن يحب الإطراء والثناء والذكر ويطلب شرف الدنيا، ولا شرف إلا بالتفوي<sup>(٢٤)</sup>.

من خلال القراءة المعمقة لهذا النص نستطيع أن نتعرف على المعايير التي وضعها الإمام علي عليه السلام لاختيار ولاته وعملائه، لأنّه مadam قد ألزم أحد ولاته باتباعها في ولايته، فهذا يعني أنه طبّقها أيضاً في اختيار عماله، ويمكن أن نلخص هذه المعايير في اختيار الولاة بال نقاط التالية :

## ١. الدين والورع والفقه والحياة

عدّ الإمام علي عليه السلام الالتزام بالدين والورع عن الحرمات التي أوصى الإسلام باجتنابها، والعلم بالتشريعات الدينية التي أقرّها الإسلام، من الشروط الأساسية التي ينبغي أن تتوفر في الوالي أو العامل الذي يتم اختياره، وذلك لأنّ الإنسان بطبيعة يميل إلى التسلط على الآخرين، وهذا الميل نحو هذه الغريزة



لأنّهم متدينون ورعون يخالفون من الله سبحانه، وتنعهم أخلاقهم عن القيام بهذه الأمور، لاسيما الحياة الذي هو من الصفات الأساسية التي اشتراطها خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله في هؤلاء، وهذا الحياة ليس من الناس فقط، بل الحياة من النفس، والترفع عن الوقع في الخيانة؛ لأنّ الناس لا تعرف كل شيء ولها ما تراه أمامها فقط، لكن الوالي أو العامل لا يستطيع إخفاء أيّ عمل سيء عن نفسه، فإذا كان يستحيي منها، عصمه هذا الأمر من الوقع في الخطأ.

والقائمة التي اختارها الإمام علي عليه السلام للعمل كولاة وعمال خراج تتوفر فيها هذه الصفات، فقسم كبير من هؤلاء الذين اختارهم لهذه الوظائف هم من الصحابة الأوائل الذين سبقو الناس في دخول الإسلام، وهم من أهل الورع والتقوى وعاشوا مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مدةً من الزمن تعلّموا من

خلالها الفقه الإسلامي ، ولم يؤشر عليهم سلبيات في المدة التي سبقت خلافة الإمام علي عليه السلام ، لذلك فإنهم قادرون على تطبيق تعاليم الإسلام في الولايات والمدن التي تقع تحت سلطتهم ، وهو أمر مهم في الإصلاح الاقتصادي الذي انتهجه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنّ هؤلاء يتحلون بصفات الإيمان والعلم بالأحكام الشرعية ، والشجاعة والبذل والتضحية وهذه هي صفات المسلمين الأوائل<sup>(٢٤)</sup> .

ومن هذه الأسماء عثمان بن حنيف الذي ولاه خليفة رسول الله علي بن أبي طالب عليه السلام على ولاية البصرة ، وهو أحد الصحابة من الأنصار أسلم عند هجرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة ، وأشتراك في معركة أحد وجميع المعارك التي بعدها<sup>(٢٥)</sup> ، وكذلك أخيه سهل بن حنيف الذي ولاه الإمام علي عليه السلام على المدينة ، كان من

معركة أُحد وجميع المعارك التي بعدها، وكانت له مكانة كبيرة عند الرسول صلى الله عليه وآلله وسلم<sup>(٢٨)</sup>، واشترك في الفتوحات الإسلامية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآلله وسلم، وكان أحد قادة الجيوش الإسلامية في هذه الفتوحات<sup>(٢٩)</sup>. ومن الولاة الآخرين عبد الله بن عباس الذي ولاه الخليفة على البصرة، وهو من قدماء الصحابة، أسلم في مكة وهاجر مع الرسول صلى الله عليه وآلله وسلم إلى المدينة، وهو ابن عم الرسول صلى الله عليه وآلله وسلم والإمام علي عليه السلام ومن المقربين من الخليفة وسيرته كانت محمودة في عهد الخلفاء وهو من الفقهاء المعروفين في عهدهم<sup>(٣٠)</sup>.

وهناك مجموعة أخرى من الصحابة ولاّها الإمام علي عليه السلام على الولايات الإسلامية، مثل قيس بن سعد وأبو قتادة الأنصاري وقرظة بن كعب وعمر بن أبي سلمة ومخنف بن سليم

خيار الصحابة الأوائل أسلم عند هجرة الرسول صلى الله عليه وآلله وسلم، وهو من الصحابة الذين اشترکوا في معركة بدر الكبرى وجميع المعارك التي بعدها، ومن الذين ثبتو يدافعون عن الرسول صلى الله عليه وآلله وسلم في معركة أُحد عندما حاصره المشركين وفرّ أغلب الصحابة، إذ بايعه على الموت في تلك المعركة<sup>(٣١)</sup>. كما عين خليفة رسول الله صلى الله عليه وآلله أباً أيوب الأنباري على المدينة، وهو من الصحابة الأوائل من الأنصار أسلم قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وآلله وسلم إلى المدينة وبایع بيعة العقبة الأولى في مكة، وبعد وصول الرسول صلى الله عليه وآلله وسلم إلى المدينة سكن في بيته، واشترك أبو أيوب في معركة بدر وجميع المعارك التي بعدها<sup>(٣٢)</sup>، ومن الولاة الآخرين حذيفة بن اليمان الذي كان والياً على المدائن، وهو من الصحابة الأوائل من حلفاء الأنصار، اشترک في

عنہ فی المدینۃ<sup>(۲۱)</sup>، وقیس من شجعان العرب وکرمانہم المشهورین، وذو رأی صائب ومن بیت سیادة، وکان صاحب شرطہ رسول اللہ صلی اللہ علیہ وآلہ وسلم<sup>(۲۲)</sup>.

وکان أبو قتادة الأنباري ربیعی بن الحارث والی المدینۃ من قدماء الصحابة، اشترک فی معرکة أُحد وجمیع معارک المسلمين، وکان یسمی فارس رسول اللہ صلی اللہ علیہ وآلہ وسلم<sup>(۲۳)</sup>، وکان قرظة بن کعب الأنباري من الصحابة الأوائل، اشترک فی معرکة أُحد مع الرسول صلی اللہ علیہ وآلہ وسلم والمعارک التي تلتھا، وکان أحد أبطال المسلمين فی الفتوحات الإسلامية<sup>(۲۴)</sup>.

ومن الولاة الآخرين الذين اعتمد عليهم الخليفة فی إدارة الدولة الإسلامية عمر بن أبي سلمة الذي تولى علی البحرين وفارس قبل معرکة صفين، وهو ابن الصحاibi أبو سلمة بن عبد الأسد

وسلیمان بن صرد وقثم بن عباس وتمام بن عباس وجعدة بن هبیرة وسعید بن وهب وغيرهم ، وھؤلاء جمیعاً من الصحابة الأجلاء الذين لم يكن فی سیرتهم إلا الأعمال الصالحة ، والسیر علی تعالیم الإسلام ، وسنحاول اختصار سیرتهم من أجل التعرف علی مدى حرص الإمام علیه السلام علی أموال المسلمين ، لذلك أعطی إدارة الدولة لهذه الشخصیات التي لم یسجل علیها التاريخ أیة مساوی ، سواء قبل تولی الوظائف أو عندما أصبحوا یعملون فی الجهاز الإداري للدولة.

فكان قيس بن سعد بن عبادة والي مصر من قدماء الصحابة، وهو ابن سعد بن عبادة أحد سادات الخزرج الذين بايعوا الرسول صلی اللہ علیہ وآلہ وسلم قبل هجرته إلى المدینۃ، وأحد النقباء الائني عشر الذين اختارهم الرسول صلی اللہ علیہ وآلہ وسلم ليكونوا ممثلین

من الصحابة الأوائل وروى عن الرسول صلى الله عليه وآلـه وسلم بعض الأحاديث<sup>(٤٠)</sup>.

و سنكتفي بهذا الإيجاز السريع عن سير الولاة والعمال الذين اختارهم الإمام علي عليه السلام من أجل العمل في الولايات الإسلامية، و هوؤلاء الذين ذكرناهم هم من الصحابة فقط، أما الآخرين فقد كانوا من التابعين الذين عاشوا مع الصحابة و تعلّموا منهم، والمهدى من هذا الإيجاز التعرف على دقة اختيار الخليفة لعماله، والذي يعني معالجة للمشكلة الاقتصادية والمالية التي خلفتها المدة الماضية، فهوؤلاء لم يكن من بينهم من أتتهم بسرقة أموال المسلمين أو قصر في المهمة الموكلة إليه، إذ لم تسجل كتب التاريخ وغيرها أي تصرف سيء قام به هوؤلاء الموظفين، سواء ما يتعلّق بأموال المسلمين أو إدارة الدولة أو للرعايا الذين كانوا ولاء عليهم، ومن هنا يمكن القول إن الإمام عليه السلام عندما اشترط توفر

المخزومي أول من هاجر إلى المدينة من المسلمين، ثم اشتراك في معركة بدر وأحد، فجرح في معركة أحد ثم توفي بعد هذه المعركة متأثراً بهذا الجرح<sup>(٣٥)</sup>، وعندما استشهد تزوج الرسول صلى الله عليه وآلـه وسلم أمّه أم سلمة هند بنت أبي أمية بن المغيرة، فكان عمر قد تربى في حجر الرسول صلى الله عليه وآلـه وسلم وكان يسمى ربيبه<sup>(٣٦)</sup>، وكان مخنف بن سليم والي الإمام عليه السلام على أصحابه من الصحابة أسلم في عهد الرسول صلى الله عليه وآلـه وسلم وسكن الكوفة<sup>(٣٧)</sup>، وكذلك كان الصحابي سليمان بن صرد الخزاعي أحد عمال الإمام على منطقة الجبل، وهو من الصحابة أسلم في عهد الرسول صلى الله عليه وآلـه وسلم، وكان فاضلاً خيراً له دين وعبادة سكن الكوفة بعد تأسيسها<sup>(٣٨)</sup>، وكان عبد الرحمن بن أبيي الذي ولأه الخليفة على خراسان<sup>(٣٩)</sup>

ليس القصد منها تلك الأسر المترفة الغنية، بل أراد البيوتات الصالحة المتدينة العفيفة، ولم يكن معيار الغنى والفقر وارد في هذه الميزة، بل أنه أراد أن تكون التربية العالية التي اكتسبها هؤلاء في أسر ترعى أبناءها وتربيهم على الفضيلة، سبباً في توليهم الإدارة؛ لتكون هذه التربية رادع لهم عن التجاوز على الرعية أو الأموال.

كذلك فإن تلك المدة لم يكن فيها مدارس من أجل إعداد الموظفين الإداريين، لتعلّمهم الثقافة الإدارية والحفظ على الأموال العامة، فيكون اختيارهم من هذه الأسر المحافظة على التقاليد سبباً في أمانتهم، لأنّهم كانوا قد تربوا وفق طراز عالٍ من التربية النموذجية<sup>(٤١)</sup>. كذلك كانت هذه الميزة مهمة في الإدارة في تلك المدة لأنّ هؤلاء الذين يتتمون إلى أسر شريفة يكونوا أكثر تأثيراً في أبناء قومهم لما يمتعون به من

الدين والورع والأخلاق، في هؤلاء الموظفين أراد علاج أزمة الثقة، التي كانت سائدة بين الرعايا والجهاز الإداري للدولة، وبالفعل نجح في هذا الأمر إلى حدٍ كبير، في الحفاظ على أموال المسلمين وعدم التجاوز على غير المسلمين لأنّ هؤلاء كانوا من الأتقياء الذين ينعنهم دينهم عن السرقة والخيانة، وتردعهم أخلاقهم لاسيما الحياة من التجاوز على الأموال والأنفس.

## ٢. الانتساب إلى أسرة شريفة صالحة:

قد يتadar إلى الذهن ونحن نتحدث عن اشتراط الإمام علي عليه السلام أن يكون الوالي أو العامل من الأسر الشريفة الصالحة، إنّ في هذا تمييز وإرجاع المجتمع إلى طبقة أبناء زعماء القبائل، والأسر الغنية المتنفذة، وإبعاد للبساطة عن المشاركة في إدارة الدولة، إلا أنّ هذا التصور ليس صحيحاً، فهذه الميزة التي أرادها الخليفة ملزمة لعماله،

مبادئ الحكم الذي يمثله نجده يتفانى في تطبيق هذا المنهج ، وقد راعى الخليفة في هذا الأمر كل هذه الميزات المتقدمة ، ومن أجل التعرف على مدى تطبيقه لها على ولاته وعماله ، ينبغي لنا أن نراجع الخلفيات الاجتماعية لـ هؤلاء الولاة والعمال .

لقد كانت الجموعة التي اختارها الخليفة لإدارة الدولة ، ليست بعيدة عن المعنى المتقدم ، فكان والي أذربيجان قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري ، أبوه أحد زعماء قبيلة الخزرج التي ناصرت الدعوة الإسلامية ، كذلك كان أحد النقباء الإثنى عشر الذين اختارهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لتبلیغ الدعوة في المدينة قبل الهجرة<sup>(٤٣)</sup> وكان يسمى الكامل قبل البعثة<sup>(٤٤)</sup> ، وهو من أسرة مسلمة مؤمنة دخلت الإسلام كلها ، كما اشتهرت بالكرم وبذل الأموال للناس

مكانة في نفوسهم ، الأمر الذي يؤدي إلى تأمين الولاء للخليفة والهداوة في أنحاء الدولة ، كما أنّهم يستطيعون حشد أبناء قبائلهم ومواليهم ، إذا ما تعرضت الدولة إلى أي خطر<sup>(٤٥)</sup> ، وقد حدث هذا الأمر بالفعل ، وأسهם هؤلاء في تكوين جيش قوي موالي للخليفة والمنهج الإصلاحي الذي سار عليه .

ولا يمكن لنا أن نفصل هذه الميزة عن الميزات الأخرى من الورع والتقوى والحياء ، والخبرة الإدارية والسياسة ، والولاء للخليفة والمبادئ التي يعتنقها ، لأنّها مجموعة واحدة متكاملة ، يؤثر بعضها في البعض الآخر ، فالإنسان الذي تربى تربية عالية يجب أن ترتبط تربيته بهذه بدین وورع يمنعه عن الوقوع في المحرامات ، لاسيما الظلم وخيانة الأمانة ، كذلك لا يستطيع أن يدير ولايته بدون أن تكون له خبرة إدارية ، ومعرفة بالسياسة تعطيه قدرة السيطرة على رعيته ، وإذا كان مؤمناً

الأخلاق<sup>(٤٦)</sup>، وهذه الأسرة هي التي حمت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والدعوة الإسلامية من المشركين عندما كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في مكة<sup>(٤٧)</sup>.

وهذه مجرد نماذج بسيطة من الموظفين والعمال الذين اختارهم الخليفة لإدارة الدولة والإشراف على أموال المسلمين، وهو ينطبق على باقي الموظفين؛ لأنّه أراد هذا المستوى من التنشئة الاجتماعية، لكي يكون رادع لهم عن خيانة الأمانة، ويؤكّد ذلك أنّ الخليفة عزل مجموعة من العمال الذين تجاوزوا على أموال المسلمين، وفي كتب العزل التي وجهها لهم وأشار الإمام عليه السلام أنّ اختياره لهم كان بناءً على انتسابهم إلى أسر شريفة كريمة، فنجد في كتابه إلى المنذر بن الجارود العبدى عامل مدينة اصطخر، والذي تجاوز على أموال المسلمين المعنى الذي قدمناه: «أما بعد فإنَّ صلاح أبيك غرني منك، وظننت أنك

في الجاهلية والإسلام<sup>(٤٨)</sup>، ومن الطبيعي أن تتعكس هذه الصفات الإيجابية على شخصيات أبناءها.

وكان عبد الله والي البصرة وعييد الله والي اليمين وقثم والي مكة وتمام والي المدينة أبناء العباس بن عبد المطلب، ينتسبون إلىبني هاشم الأسرة التي ينتسب إليها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، والتي كانت سيدة قريش قبل الإسلام وبعده ، كما كانت تحظى باحترام العرب وتقديرهم قبل الإسلام ، لأنّهم كانوا الذين يُطعمون ويُسقون الحجاج في تلك الحقبة الزمنية ، وجد هذه الأسرة هاشم هو الذي سنّ أهم المعاهدات التجارية قبل الإسلام والتي سميت بالإيلاف ، كما أنّ عبد المطلب كان أمير مكة وسيد البطحاء ، حفر بئر زمم الذي كان يعتمد عليه كل الحجاج القادمين إلى مكة ، ولم يعرف عن هذه الأسرة في الجاهلية والإسلام إلا مكارم

ال الخليفة عندما اختاره، كان بناءً على انتسابه إلى عشيرة شريفة صالحة، فهو من الأنصار منبني زريق<sup>(٥١)</sup>، ولا يخفى أنّ عشائر الأنصار كانت من أفضل العشائر العربية، لاسيما أنها وفرت المأوى والملاذ الآمن للرسول صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين، كما أنّ الأنصار قدموا للإسلام كل ما يملكون ودافعوا عنه بكل قوة؛ لذلك اختار الإمام الكثير من ولاته من الأنصار، ومنهم النعمان الذي كان من الصحابة الذين آمنوا بالإسلام والرسول صلى الله عليه وآله وسلم عندما هاجر إلى المدينة، كذلك فإنّه كان سيداً شريفاً في قومه<sup>(٥٢)</sup>.

كما نستنتج من الكتاب المتقدم أنّ الإمام عليه السلام كان لا يركز في الاختيار على انتساب الولاة والعمال إلى أسر وبيوت شريفة صالحة فقط، بل تدعى ذلك إلى القبائل والعشائر المعروفة

تبعد هديه وتسلك سبيله»<sup>(٤٨)</sup>، وهذا الكتاب يؤكّد أنّ الخليفة عندما اختاره للعمل، كان يظنّ أنه يحمل الصفات الإيجابية التي كان يتصف بها أبوه، لهذا اختاره لكي يكون عاملاً على هذه المدينة، وأبوه هو الجارود العبدى الذى كان من خيار الصحابة، إذ تذكر الروايات أنّه كان سيد قومه قبيلة عبد القيس وكان نصراً فوفد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأعلن إسلامه، أشتراك في الفتوح الإسلامية واستشهد في منطقة فارس في خلافة عمر بن الخطاب<sup>(٤٩)</sup>.

كذلك الحال مع النعمان بن عجلان الزرقي الأنصاري الذي ولاء الخليفة على البحرين بعد عمر بن أبي سلمة، فبلغه أنّه أخذ من أموال المسلمين، فكتب له الخليفة: «فخف الله إنك من عشيرة ذات صلاح، فكن عند صالح الظن بك»<sup>(٥٠)</sup>، وهذا الجزء من الكتاب الذي ذكرناه، يبيّن أن

يتتمي إليها عدد من الولاة مثل يزيد بن قيس الأرحبى والي المدائن وغيرها من الولايات الإسلامية<sup>(٥٤)</sup>، وكذلك مالك بن كعب الأرحبى عامل عين التمر التابعة للمدائن<sup>(٥٥)</sup> وعمرو بن سلمة الأرحبى الذي كان والياً على همدان<sup>(٥٦)</sup>.

والسبب في اختيار الإمام عليه السلام لهؤلاء هو صلاح هذه القبيلة وموافقتها المساندة للإسلام، كذلك مساندتها ل برنامجه الإصلاحي، كما لم تؤشر عليهم أية سلبيات تسيء إلى سيرتهم<sup>(٥٧)</sup>، منذ أن دخلوا الإسلام على يد الإمام علي عليه السلام في عهد الرسول صلى الله عليه وآله<sup>(٥٨)</sup>.

### ٣. الخبرة الإدارية والسياسية:

تعد الخبرة الإدارية والمعروفة بالسياسة من الأمور المهمة التي أشترطها الإمام علي عليه السلام في عماله؛ لأن الدولة كانت بحاجة إلى من يتلّكون هذه الخبرة لإدارة الولايات، لاسيما أنّهم كانوا يتعاملون مع

بالصلاح، واختيار الإمام عليه السلام مجموعة من هؤلاء الموظفين من ينتمون إلى قبائل معينة يؤكّد هذا المعنى، فاختياره لسهل بن حنيف وعثمان بن حنيف وأبا قنادة الأنباري وقرظة بن كعب وعقبة بن عمرو الأنباري والنعeman بن عجلان وأبا أيوب الأنباري من أجل تولي إدارة الولايات الإسلامية وأموال المسلمين.

وهم جمِيعاً ينتمون إلى قبائل الأنصار، يعني أنّه يعتقد بجدارة المنتسبين إلى هاتين القبيلتين في الحفاظ على المسلمين وأموالهم، وبالفعل كانوا بهذا المستوى من الاختيار، فحافظوا على أموال المسلمين ولم تصدر منهم أي خيانة سوى ما قدّمنا في الكتاب الذي وجّهه إلى النعeman بن عجلان.

كما أنّ هناك قبائل أخرى اعتمد عليها الإمام عليه السلام في الإدارة كبني أرحب وهم بطن من قبيلة همدان<sup>(٥٩)</sup>، التي كان

لكن على الرغم من اختيار الخليفة لهؤلاء الموظفين بناءً على الشروط المتقدمة، فإنه كان يضعهم تحت التجربة لمدة من الزمن، ويراقب أدائهم من خلال مجموعة من الطرق التي وضعها، وسوف تحدث عنها في موضوع الرقابة الإدارية، فإذا لمس من هؤلاء أي خيانة لأماناتهم عزلهم وعاقبهم، وإذا لمس منهم تقصير في أداء أعمالهم، كتب إليهم من أجل تنبيههم إلى الخلل الذي ربما يكون غير مقصود. والشيء اللافت للنظر أن الخليفة اختار المجموعة التي تعمل معه، مراعياً اجتماع الشروط المتقدمة جميعها فيها، وسنأخذ أمثلة على هذا الأمر، فعثمان بن حنيف الذي كان والياً على البصرة قبل معركة الجمل، هو من الأنصار الذين يسكنون المدينة، والذين كانوا يعملون في الزراعة في مدinetهم،

الاقتصاد والإدارة في تلك الولايات، كما أن كل واحد منهم كان يقع تحت حكمه مجموعة من الناس، فيحتاج إلى معرفة بالسياسة حتى يستطيع توفير الاستقرار للمنطقة التي يحكمها، لذلك نرى من خلال متابعة أسماء الولاية والعمال أنه اختار هؤلاء للعمل، وكلهم مارس أعمال الإدراة وجباية الضرائب وغيرها من الأمور الاقتصادية، وقد نستنتج من هذا أنه كان يريد من خلال هذا الشرط الحفاظ على أموال المسلمين، لأن هذه الأموال ليست قابلة للتجارب، حتى يأتي بموظرين ليس لهم خبرة بإدارة هذه الأموال فيضيّعواها، أو أنهم لا يحسنون إدارة ولاياتهم فيؤدي هذا الأمر إلى التقصير بحقوق الرعايا الساكنين في ولاياتهم، وسنرى أن الخليفة غير مجموعة من الولاية لأنهم لم يكونوا قادرين على إدارة ولاياتهم، واستبدلهم بأخرين أقدر على العمل منهم.



بن ياسر<sup>(٦٥)</sup>، كما أنه كان أحد القادة المسلمين في الفتوح الإسلامية<sup>(٦٦)</sup>، وكان عبد الله بن شبيل الأحمسي والي أذربيجان بعد سعد بن قيس من قادة الفتوح الإسلامية في عهد عثمان بن عفان، وهو الذي أعاد فتح ولاية أذربيجان، بعد أن نقضت الصلح الذي عقدته مع حذيفة بن اليمان في عهد عمر بن الخطاب<sup>(٦٧)</sup>.

وكان حال الولاة والعمال الآخرين لا يختلف كثيراً عما قدمناه، فهم إما عملوا في الإدارة أو قادوا الجيوش الإسلامية في الفتوحات، أو كانوا جنوداً في هذه الجيوش، فتوفرت لهم خبرة كبيرة في كيفية فتح هذه المدن، ومقدار الضرائب التي وضعت في تلك المدة، أو أنهم سكروا في تلك المناطق وبقوا مدة طويلة فيها، ومن خلال تتبع سيرة هؤلاء نجدهم استوطنوا في هذه المناطق، وعرفوا كل التفاصيل الإدارية والمالية في

ولديهم خبرة في هذا العمل، لذلك عندما أفتتح المسلمون العراق، اختاره الخليفة عمر من أجل أن يكون مساحاً لهذه الأرضي، بغية معرفة مساحة الأرضي المنتجة وتقدير الضرائب عليها<sup>(٦٩)</sup>.

وكان زياد بن أبيه الذي عينه الخليفة عاماً على الخراج في البصرة<sup>(٧٠)</sup>، ثم عينه على ولايات أخرى مثل فارس وكرمان<sup>(٧١)</sup>، من العمال الذين يتلذتون خبرة كبيرة في الإدارة، لأنّه عمل في إدارة البصرة مع أبي موسى الأشعري في خلافة عمر بن الخطاب<sup>(٧٢)</sup>، كذلك كان زياد نائباً لوالي البصرة عبد الله بن عامر في خلافة عثمان بن عفان<sup>(٧٣)</sup>، وكان زياد يوصى بمحسن السياسة والإدارة الجيدة<sup>(٧٤)</sup>.

كما أنّ قرظة بن كعب كان من العمال الذين اختارهم عمر بن الخطاب ووجههم إلى الكوفة مع الوالي عمار

وفي بعض الحالات التي ظهر فيها هؤلاء الولاة أو العمال غير أكفاء في الإدارة، أستبدلهم الخليفة بآخرين قادرين على العمل بصورة أفضل، على الرغم من أنّ هؤلاء لم تصدر منهم أي خيانة للأموال أو ظلم للرعية، بل إنّ بعض منهم توفرت فيه شروط الورع والتقوى والخبرة الإدارية والانتساب إلى عائلة شريفة وغيرها ، لكنه لم يرتفق بعمله إلى المستوى الذي كان يريده الخليفة، وتوجد أمثلة كثيرة على ذلك، فمثلاً أرسل الخليفة سهل بن حنيف والياً على مدينة فارس بعد معركة صفين، لكنه لم يستطع أن يضبطها<sup>(٦٩)</sup> ، فأستبدله الخليفة وأرسل بدلاً منه زياد بن أبيه<sup>(٧٠)</sup> ، ومن المهم أن نعرف سبب إسناد الإمام علي عليه السلام هذه الوظائف لزياد بن أبيه، على الرغم من أنه لم يكن يتسبّب إلى أسرة شريفة<sup>(٧١)</sup> ، ولم يكن من الصحابة أو من أهل الورع والتقوى<sup>(٧٢)</sup>.

مناطقهم، الأمر الذي أهلهم لتولي الإدارة فيها.

كما أن الخليفة راعى في اختيار العمال والولاة، رضا المسلمين الساكين في تلك الولايات؛ لأنّ الشورة على عثمان كان أحد أسبابها، التذمر من تصرفات الولاة والعامل، فعمل الخليفة على اختيار ولادة وعمال يحظون بالصفات التي قدمناها، لاسيما السابقة في الإسلام والشرف والوجاهة، والانتساب إلى بيوتات صالحة، من أجل ضمان الاستقرار في الدولة الإسلامية<sup>(٦٨)</sup> .

وبالفعل حظي جميع الولاة والعامل الذين تولوا الإدارة برضا المسلمين وغيرهم، والدليل على ذلك إنّ كتب التاريخ لم تذكر شكاوى قدمت إلى الخليفة ضد هؤلاء، بالكثرة نفسها التي كانت تقدمت ضدهم في المدة التي سبقت خلافة الإمام علي عليه السلام، سوى بعض الشكاوى والتي عالجها الخليفة بسرعة كبيرة.

عقد الإمام الحسن عليه السلام الصلح مع معاوية<sup>(٧٤)</sup>، لكن معاوية أراد أن يكسبه إلى جانبه، لما عرف عنه من كفاءة في الإدارة، فادعى أنه أخاه وأنه من أولاد أبي سفيان<sup>(٧٥)</sup>، بعد أن ذكر قصة ملفقة، ادعى فيها أن زiad ابن غير شرعى لأبى سفيان<sup>(٧٦)</sup>.

الأمر الذى كان مدعاه لفرح زiad، وبعد أن كان يقال له زiad بن ابىه، وهى تسمية غير مرغوب بها في المجتمعات العربية، أصبح بادعاء معاوية من قبيلة قريش، التي تعد أشرف قبائل العرب في الجاهلية والإسلام، كما أصبح بهذا الادعاء أخاً لمعاوية، وعلى أثر ذلك أصبح من أشد الموالين لمعاوية، فولاه على الكوفة والبصرة فلاحق أتباع الإمام علي عليه السلام في العراق فقتلهم وشردهم<sup>(٧٧)</sup>.

ومن خلال ما تقدم يتضح أن زiadأً قام بأعمال سلبية بعد استشهاد الإمام

كذلك فإنّ التاريخ سجل على زياد الكثير من الانحرافات، وهنا يمكن القول أنّ هذه الانحرافات لم تكن مسجلة عليه في تلك المدة<sup>(٧٨)</sup>.

بل ظهرت بعد التحاقه بمعاوية فقد بقي والياً على فارس بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام، وأبقاء الإمام الحسن عليه السلام عليها، فأرسل له معاوية كتاباً يهدده فيه، من أجل أن يكسب ولائه له، فرفض زiad هذا التهديد وألقى كلمة تتضمن تمسكه بخلافة ابنه الحسن، فقال : «العجب من ابن آكلة الأكباد، وكهف النفاق، ورئيس الأحزاب كتب إليّ يتهددني ، وبيني وبينه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعني عبد الله بن عباس - في تسعين الفاً واضعي سيوفهم على عواتقهم لا يشنون ، ولئن خلص إليّ ليجدني أحمر ضرابة بالسيف»، ثم بقي زiad متحصناً في إحدى القلاع في فارس، حتى بعد أن

منه خليد بن قرة التميمي، على الرغم من أنّ جعدة كان أحد الصحابة ومن أسرة قرشية شريفة<sup>(٨٠)</sup>، وهو أيضاً ابن أخت الخليفة<sup>(٨١)</sup>.

والسبب في ذلك أنّه فشل في إدارة ولايته، ولم يستطع السيطرة عليها<sup>(٨٢)</sup> بينما استطاع الوالي الجديد السيطرة على هذه الولاية وجباية الضرائب منها<sup>(٨٣)</sup>.

كذلك عزل الخليفة قيس بن سعد بن عبادة عن ولاية مصر<sup>(٨٤)</sup>، على الرغم من أنّ قيس كان من أشدّ الموالين للخليفة، وهو من الصحابة الأوائل، ومشهور بالسياسة والشجاعة، لكن معاوية زور كتاباً على لسان سعد، يدّعى فيه أنّ سعداً معه على رأيه، فرأى الخليفة أنّ هذا الأمر فيه شك ويجب أن يقطعه، لاسيما أنّ الخلافة كانت تخوض حرباً مستمرة ضد معاوية، وجزء من هذه الحرب كان إعلامياً؛ لذلك كان الخليفة لا يريد أن تؤثر هذه الأمور في

علي عليه السلام ولم يسجل عليه مثل هذه الأفعال قبل هذه المدة، لذلك عندما اختاره الإمام عليه السلام لهذه الأعمال كان لكتفاته الإدارية، وقدرته على إنجاز الأعمال التي أوكلت إليه، ويؤيد هذا الرأي أنّ الخليفة كتب إلى زياد كتاباً يبين فيه أنّه اختاره للولاية لأنّه يستحقها لكتفاته: «أما بعد فإنني قد وليتك ما وليتك وأنا أراك لذلك أهلاً»<sup>(٧٨)</sup>، وذلك عندما علم أنّ معاوية يرسله، من أجل إغرائه حتى يتمرد على الخلافة، وينحاز إلى جانبه في الحرب التي كانت مستمرة مع الإمام علي عليه السلام كذلك فإنّ الخليفة لم يختر زياد من أجل وظيفة قضائية أو تتعلق بالفقه، بل في الإدارة التي كان خبيراً بها، ووضع عليه رقابة شديدة بحيث لا يستطيع أن يتلاعب بأموال المسلمين أو يظلمهم.

كما غير الخليفة جعدة بن هبيرة بعد أن ولأه على خراسان<sup>(٧٩)</sup>، وأرسل بدلاً

ويكفي أن نتعرف على هذا النظام الرقابي من خلال تقسيمه إلى مجموعة من الإجراءات التي اتبعتها الخليفة :

## ١. نظام العيون

أوضحنا فيما سبق الكيفية التي كان الإمام علي عليه السلام يختار بها عماله وولاته وذلك وفقاً لمعايير خاصة منها الأمانة والدين والخبرة وغيرها، إلا أنه لم يكتف بهذا الإجراء بل تعداده إلى وضع نظام متكامل يدقق على العمال أعمالهم، وجزء من هذا النظام كان العيون التي يستقي منها الخليفة معلوماته عن تصرفات هؤلاء الولاة والعمال في ولاياتهم البعيدة عن مركز الدولة، ويمكن أن نقول إن هذا النظام يشبه نظام الاستخبارات في وقتنا الحالي، لأن هؤلاء العيون لا يعرفهم سوى الخليفة، ويكتبون إليه مباشرة عن السلبيات والإيجابيات التي يرونها في مناطق عملهم، لذلك نرى أن الإمام علي عليه السلام كان يعلم بكل

الحالة النفسية لمقاتليه، على الرغم من ثقته بسعد وقدرته على الإدارة، والدليل على ذلك أنه ولأنه على أذريجان بعد عزله عن مصر<sup>(٨٥)</sup>.

وقد رافق شروط اختيار الولاة والعمال نظام رقابي شديد وضعه الإمام عليه السلام للحيلولة دون التجاوز على أموال المسلمين أو الإساءة إليهم، فلم تقتصر سياسة الإصلاح التي وضعها الإمام علي عليه السلام على حسن اختيار الموظفين من ولاء وعمال خراج وجزية وغيرهم، بل تعدى ذلك إلى وضع نظام رقابي شامل لمراقبة هؤلاء العمال.

وذلك لأن الرقابة الإدارية والمالية تمنع هؤلاء الموظفين من التلاعب بأموال المسلمين، حتى إنه كان يمارس الرقابة بنفسه في المناطق التي تخضع لسلطته مباشرة، ليس على أموال المسلمين فحسب بل حتى على معاملتهم الاقتصادية فيما بينهم<sup>(٨٦)</sup>.

السر لأمورهم حدوة لهم على استعمال الأمانة، والرفق بالرعاية، وتحفظ من الأعوان، فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة، اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك، اكتفيت بذلك شاهداً، فبسطت عليه العقوبة في بدنـه، وأخذته بما أصابـه من عملـه، ثم نصـبـته بـمقـامـ الذـلةـ، ووسـمـتهـ بالـخـيـانـةـ وـقـلـدـتهـ عـارـ التـهـمةـ»<sup>(٨٧)</sup>، وفي كتاب آخر لـعـمالـهـ: «وـاجـعـلـ عـلـيـهـمـ العـيـونـ فـيـ كـلـ نـاحـيـةـ مـنـ أـرـضـكـ...»<sup>(٨٨)</sup>.

وهـذاـ يـعـنيـ أنـ هـنـاكـ جـهاـزـينـ للـعيـونـ أحـدـهـماـ تـابـعـ لـلـخـلـيـفةـ يـراـقبـ الـولـاـةـ وـالـعـمـالـ، وـالـآـخـرـ تـابـعـ لـلـولـاـةـ يـراـقبـ عـمـالـ الخـرـاجـ وـالـجـزـيةـ، لـاسـيـماـ أـنـ الدـوـلـةـ إـلـسـلـامـيـةـ كـانـتـ مـتـرـامـيـةـ الأـطـرافـ، وـالـولـاـةـ مـسـؤـولـينـ عنـ مـجمـوعـةـ كـبـيرـةـ مـنـ المـدـنـ وـالـقـرـىـ التـابـعـةـ لـوـلـاـيـاتـهـمـ، الـتيـ كـانـتـ تـحـتـاجـ إـلـىـ مـجمـوعـةـ كـبـيرـةـ مـنـ العـمـالـ مـنـ أـجـلـ جـمـعـ أـموـالـ الخـرـاجـ وـالـجـزـيةـ وـالـعـشـورـ

الـأـشـيـاءـ الـتـيـ تـجـرـيـ فـيـ الـوـلـاـيـاتـ الـإـلـسـلـامـيـةـ، وـقـدـ أـدـىـ هـذـاـ النـظـامـ الرـقـابـيـ فـاعـلـيـتـهـ فـيـ مـرـاقـبـةـ تـصـرـفـاتـ الـمـوـظـفـينـ الـتـابـعـينـ لـلـدـوـلـةـ إـلـسـلـامـيـةـ، لـأـنـ الـوـلـاـةـ كـانـواـ حـذـرـيـنـ فـيـ التـعـالـمـ مـعـ أـمـوـالـ الـمـسـلـمـيـنـ، وـأـصـبـحـتـ لـدـيـهـمـ قـنـاعـةـ فـيـ أـنـهـمـ لـمـ يـكـوـنـواـ مـطـلـقـيـ الـيـدـ بـهـذـهـ الـأـمـوـالـ، وـلـيـسـ لـدـيـهـمـ أـيـ حـصـانـةـ إـذـاـ خـانـواـ الـأـمـانـةـ الـتـيـ فـيـ أـيـدـيـهـمـ، لـذـلـكـ كـانـواـ حـرـيـصـيـنـ عـلـىـ أـدـاءـ أـعـمـالـهـمـ بـصـورـةـ جـيـدةـ.

وـهـؤـلـاءـ الـوـلـاـةـ وـالـعـمـالـ كـانـواـ يـعـرـفـونـ أـنـ هـنـاكـ جـمـوعـةـ مـنـ الـأـشـخـاصـ تـابـعـينـ لـلـخـلـافـةـ يـراـقبـونـ تـصـرـفـاتـهـمـ وـيـكـتـبـونـ بـصـورـةـ مـسـتـمـرـةـ لـلـخـلـيـفـةـ، لـاسـيـماـ أـنـ الـخـلـيـفـةـ أـمـرـ الـوـلـاـةـ أـنـ يـسـتـعـيـنـواـ فـيـ عـلـمـهـمـ بـمـجـمـوعـةـ مـوـثـوقـةـ مـنـ الـأـشـخـاصـ وـيـجـعـلـوـهـمـ عـيـونـاـ لـهـمـ لـمـرـاقـبـةـ عـمـالـ الخـرـاجـ وـالـجـزـيةـ: «ثـمـ تـفـقـدـ أـعـمـالـهـمـ، وـأـبـعـثـ الـعـيـونـ مـنـ أـهـلـ الصـدـقـ وـالـوـفـاءـ عـلـيـهـمـ، فـإـنـ تـعـاهـدـكـ فـيـ

الأخطار التي تتعرض لها الولايات والمدن الإسلامية عبارة (قد بلغني) <sup>(٨٩)</sup>.

وفي هذا دلالة على أنَّ الذي أبلغ الإمام علي عليه السلام هي العيون التي وضعتها في كل أرجاء الدولة الإسلامية، وفي أحيان أخرى نراه يصرّح أنَّ مصدر معلوماته جاءت عن طريق عيونه، كما في الكتاب الذي وجَّهه إلى قشم بن عباس والي مكة، عندما وجَّه معاوية حملة على هذه المدينة، إذ قال له : «إِنَّ عَيْنِي بِالْمَغْرِبِ كُتُبٌ إِلَيْيِّ يُخْبِرُنِي...» <sup>(٩٠)</sup>، وتبيَّن كتب الخليفة إلى الولاة والعمال حجم المعلومات الاستخبارية (الاستخبارية) التي كانت تصل للخليفة عن تصرفات هؤلاء الولاة والعمال.

ويكُن لنا خلال قراءة هذه الكتب أن نعرف أنَّ الإمام علي عليه السلام كان لا يسمح بأي تصرف، ربما يؤدي في المستقبل إلى التلاعُب بأموال المسلمين، وقد وجَّه كتب شديدة اللهجة إلى مجموعة من الولاة بناءً على هذه

والصدقات وتوزيع العطاء على الموظفين وغيرهم والإنفاق على الخدمات العامة، وليس بمقدور الوالي مباشرة هذه الأعمال بنفسه ، لاسيما إذا عرفنا أنَّ السفر من مدينة إلى أخرى قد يستغرق عدة أيام ، وبالتالي يكون وجود نظام العيون ضروري جداً بالنسبة للوالي من أجل معرفة ما يجري في ولايته.

وعلى الرغم من أنَّ المصادر لا تذكر لنا أسماء العيون ، الذين كان يضعهم الخليفة في الولايات والمدن التابعة لها ، إلا أنَّ وجودهم كان أكيداً وغير قابل للشك ، لأنَّ الإجراءات التي اتخذها الإمام علي عليه السلام بحق بعض الولاة والعمال ، تبيَّن أنَّه كان يعتمد على العيون في معرفة الأخبار ، إذ جاء في أغلب الكتب التي وجَّهها لولاته وعماله الذين تجاوزوا على أموال المسلمين ، كذلك في

مدعو....، ألا وإنّ لكل مأموم إماماً  
يقتدي به ويستضيء بنور علمه، ألا وإنّ  
إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريره، ومن  
طعامه بقرصيه، ألا وإنّكم لا تقدرون  
على ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد،  
وعقة وسداد، فوالله ما كنّت من دنیاكم  
تبراً، ولا ادخلت من غنائمها وفراً، ولا  
أعددت لبالي ثوبی طمراً، بلی كانت في  
أيدينا فدك من كل ما أظلّته السماء،  
فشحّت عليها نفوس قوم وسخت عنها  
نفوس آخرين ونعم الحكم الله، وما  
أصنع بفديك وغير فدك والنفس مظانها  
إلى جدث، تقطع في ظلمته آثارها  
وتغيب أخبارها، وحفرة لوزيد في  
فسحتها وأوسعت يدا حافرها لأضغطها  
الحجر والمدر، وسد فرجها التراب  
المتراسك، وإنما هي نفسی أروضها  
باتقوى، لتتأتی آمنة يوم الخوف الأكبر،  
وتثبت على جوانب المزلق، ولو شئت  
لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل،

المعلومات، مع العلم أنّ قسم منهم كان  
من كبار الصحابة مثل عثمان بن حنيف  
وعبد الله بن عباس، لأنّه على الرغم من  
الثقة التي أعطاها لمؤلاه الولاة، كان  
يريد أن يحمي الناس من هؤلاء، إذا ما  
استعملوا صلاحياتهم بصورة غير  
شرعية، كذلك كان يريد أن يحميهم من  
أنفسهم أيضاً، ومن الأمثلة على  
المعلومات التي وصلت لل الخليفة عن  
الولاة، أنّ والي البصرة عثمان بن حنيف  
قيل دعوة أحد أغنياء البصرة لتناول  
وجبة طعام في بيته، فكتب له الخليفة  
كتاباً بهذا الشأن، وسوف نأخذ جزء من  
هذا الكتاب من أجل التعرف على رقابة  
ال الخليفة على ولاته وعماله : «أما بعد يا  
ابن حنيف فقد بلغني أنّ رجلاً من فتية  
أهل البصرة قد دعاك إلى مأدبة،  
فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان،  
وتتقل لك الجفان، وما ظننت أنك تجحّب  
إلى طعام قوم عائلتهم مجفو، وغنيهم

أخبار الوليمة التي حضرها الوالي ووصلت لل الخليفة من خلال جهاز العيون، ويتبين هذا الأمر من خلال عبارة (قد بلغني) التي ذكرها الخليفة في كتابه، كذلك كون الوالي عثمان بن حنيف من الصحابة لم يشفع له عند الخليفة، إذ لم يتواتي عن توجيه اللوم إليه، على الرغم من أنه لم يسرق الأموال، أو يخون الأمانة التي أوكلها له الخليفة، بل دُعي إلى وليمة من قبل أحد أشراف البصرة، وهي قضية طبيعية على اعتبار أنهم يريدون التعرف عليه، وتقوية علاقتهم به مادام يعيش معهم ويتولى أمرورهم، إلا أنَّ هذا الأمر اعترض عليه الخليفة بشدة، لأنَّ الوالي كان يمثل الدولة التي يقف على هرمتها علي بن أبي طالب عليه السلام، و تستند في حكمها على تشريعات جاء بها محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الله سبحانه وتعالى، وليس دولة قائمة على سلطة

ولباب هذا القمع وسائل الخز، ولكن هيئات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعى إلى تخير الأطعمة، ولعل أحدهم بالمحاجز أو الإمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع، أو أبيب مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حرى؟ أو أكون كما قال القائل: وحسبك داء أن تبيت بطنـة وحولك أكباد تحن إلى القدَّ أقفع من نفسي أن يقال أمير المؤمنين، ولا أشاركم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش، فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همَّا علفها، أو كالمرسلة شغلها تقمِّها تكترش من أعلافها وتلهمو عما يراد بها .....، فأنت الله يا ابن حنيف، ولتكفك أقراصك ليكون من النار خلاصك»<sup>(٩١)</sup>.

يمكن أن نلاحظ من خلال قراءة هذا الجزء من الكتاب عدة أمور، منها أنَّ

الصحابة ليجمع الزكاة، وعندما جاء هذا العامل أعطى الأموال للرسول صلى الله عليه وآلـه وسلم بعد أن عزل منها شيء زعم أنه هدية أهديت إليه، فصعد الرسول صلى الله عليه وآلـه وسلم المنبر وقال: «إنـي أستعملـ الرجلـ منـكمـ علىـ العملـ ماـ وـلـانـيـ اللهـ،ـ فـيـأـتـيـ فـيـقـوـلـ:ـ هـذـاـ مـالـكـ،ـ وـهـذـاـ هـدـيـةـ أـهـدـيـتـ لـيـ،ـ أـفـلاـ جـلـسـ فـيـ بـيـتـ أـبـيـهـ وـأـمـهـ حـتـىـ تـأـتـيـ هـدـيـتـهـ إـنـ كـانـ صـادـقاـ،ـ وـالـلـهـ لـاـ يـأـخـذـ أـحـدـ مـنـكـمـ شـيـئـاـ بـغـيرـ حـقـهـ،ـ إـلـاـ لـقـيـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ يـحـمـلـهـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ»<sup>(٩٢)</sup>.

وعلى الرغم من أن المعلومات التي بلغت الخليفة جاءت عن طريق العيون، لكن هذه العيون لم تكن معينة من قبله، بل تطوع من بعض المسلمين الذين يسكنون في هذه الولاية، مثل كتاب أبي الأسود الدؤلي الذي وجهه للخليفة حول تصرفات والي البصرة عبد الله بن عباس الذي أصبح والياً بعد عثمان بن

لا تكتثر كثيراً بالسلوك والعمل، بقدر ما يهمها تسير الأمور في مرحلة ما، إنـها دولة ت يريد أن تؤسس لحكم عادل، لذلك يمكن أن نقول إنـ اعتراض الخليفة كان سببه عدـةـ أمـورـ،ـ منهاـ أـنـ الـخـلـيـفـةـ عـنـدـمـاـ اـخـتـارـ هـذـاـ الـوـالـيـ وـضـعـ ثـقـتـهـ فـيـهـ فـأـمـنـهـ عـلـىـ الـأـنـفـسـ وـالـأـمـوـالـ،ـ لـذـلـكـ يـجـبـ أـنـ يـكـوـنـ بـمـسـتـوـىـ الـاخـتـيـارـ،ـ لـاسـيـماـ أـنـ هـؤـلـاءـ الـذـينـ دـعـوـهـ إـنـمـاـ دـعـوـهـ لـيـتـزـلـفـوـلـهـ،ـ وـلـمـ تـكـنـ دـعـوـتـهـمـ لـهـ لـوـجـهـ اللـهـ،ـ وـالـدـلـلـ أـنـ الـفـقـرـاءـ لـمـ يـكـوـنـواـ مـدـعـوـينـ فـيـهـ،ـ إـذـنـ كـانـتـ دـعـوـةـ قـائـمـةـ أـسـاسـهـاـ الـمـلـحـةـ،ـ وـلـيـسـ الـهـدـفـ مـنـهـاـ تـقوـيـةـ الـأـوـاصـرـ،ـ بـلـ كـانـواـ يـرـيدـونـ السـيـطـرـةـ عـلـيـهـ،ـ لـذـلـكـ اـعـتـرـضـ الـخـلـيـفـةـ لـأـنـهـ بـعـدـ ذـلـكـ لـاـ يـسـتـطـيـعـ تـطـبـيقـ الـإـصـلـاحـ وـالـتـغـيـيرـ،ـ الـذـيـ رـبـماـ يـمـسـ هـؤـلـاءـ الـأـغـنـيـاءـ الـذـينـ وـجـهـوـاـ إـلـيـهـ الدـعـوـةـ،ـ وـهـذـاـ الـأـمـرـ كـانـ مـطـابـقـاـ لـسـيـاسـةـ الرـسـوـلـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآـلـهـ وـسـلـمـ مـعـ عـمـالـهـ،ـ فـيـ روـاـيـةـ أـنـهـ أـرـسـلـ أـحـدـ



## منهج أمير المؤمنين عليه السلام في معالجة الفساد المالي.....طبعة

وتنكح النساء من مال اليتامى والمساكين والمؤمنين والمجاهدين الذين أفاء الله عليهم هذه الأموال، وأحرز بهم هذه البلاد، فاتق الله وأردد إلى هؤلاء أموالهم، فإنك إن لم تفعل ثم أمكنني الله منك، لا أغذرن إلى الله فيك، ولأضربك بسيفي الذي ما ضربت به أحدا إلا دخل النار، ووالله لو أن الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت ما كانت لهما عندي هوادة»<sup>(٩٥)</sup>.

وهذه الرواية ثبتت قضية أخرى في هذا الباب، هي أن العاجلة التي كان يقوم بها الخليفة للسلبيات التي يكتشفها نظام العيون، كانت بمستوى الخلل الذي قد يتتبّع إداره الدولة، إن لم تكن أكبر منه، فلم يكن الخليفة يترك شيئاً من المعلومات الواردة له إلا ودقق فيه، حتى يتثبت منه أنه كان حقاً أو لا، ولا يترك شيء للصدفة وكان يحاسب أي شخص مهما كان وزنه الاجتماعي أو الديني،

حنيف، إذ كتب له أن الوالي أخذ عشرة آلاف درهم من بيت المال، فكتب الخليفة للوالى يأمره برد هذه الأموال، وبالفعل أرجعت هذه الأموال إلى بيت المال<sup>(٩٦)</sup>. وكتب إلى أبي الأسود الدؤلي «أما بعد فقد فهمت كتابك، ومثلك نصح الإمام والأمة، ووالى على الحق، وفارق الجور، وقد كتبت إلى صاحبك، فيما كتبت فيه من أمره ولم أعلمك بكتابك فيه، فلا تدع إعلامي ما يكون بحضورتك، مما النظر فيه للأمة صلاح»<sup>(٩٧)</sup>.

ومن خلال قراءة هذا الرد نستنتج أنه عين أبو الأسود عيناً للدولة بصورة رسمية في تلك الولاية، لاسيما أن هذا الأمر لا يعلم به إلا الخليفة وأبا الأسود، وعلى أثر هذه المعلومات الواردة كتب الخليفة إلى عبد الله بن عباس : «أيها المعدود عندنا من ذوي الألباب ، كيف تسing شراباً وطعاماً وانت تعلم أنك تأكل حراماً وتشرب حراماً، وتبتاع الإماماء



الإمام علي عليه السلام وأمره برد تلك الأموال، وكتب إليه: «إن عملك ليس لك بطعمة، ولكن في عنقك أمانة، وفي يديك مال من مال الله، وأنت من خزان الله عليه حتى تسلمه إلي»<sup>(٩٧)</sup>، ولما امتنع الأشعث عن رد تلك الأموال، لأنّه أخذها عندما كان والياً لل الخليفة عثمان بن عفان، هدد الخليفة علي بن أبي طالب عليه السلام بالعقوبة الشديدة، ما لم يرجع تلك الأموال وقال له: «والله لئن لم تحضرها إلى بيت مال المسلمين، لأضر بنك بسيفي هذا أصاب منك ما أصاب»، فأرجعها إلى بيت المال.

وعلى الرغم من أنّ بعض الروايات تذكر أنّه أخذها بعلم عثمان بن عفان<sup>(٩٨)</sup>، لكنه عندما أعلن برنامجه وعد المسلمين بأنه سيرجع الأموال التي أخذت من بيت المال بغير حق، لذلك تتبع عمّال عثمان وأخذ منهم الأموال وأرجعها إلى بيت مال المسلمين<sup>(٩٩)</sup>.

والمثال الذي سقناه يدلل على هذا الأمر، لاسيما أنّ عبد الله بن عباس كان من أشد المقربين لل الخليفة.

وهذه الروايات المتقدمة تدل على أنّ الإمام علي عليه السلام كان لا يقبل بأقل التصرفات إساءة إلى أموال المسلمين أو إدارة الدولة، أو حتى التهاون أو العجز في إدارة هذه الأموال، ففي رواية أنّ العيون التي وضعها الخليفة في ولاية اصطخر، أبلغت الخليفة أنّ الوالي المنذر بن الجارود العبدي كان لا يهتم بعمله ويخرج للصيد ويلعب بالكلاب، فكتب له: «بلغني أنك تدع عملك كثيراً، وتخرج لاهياً بمنبرها، تطلب الصيد وتلعب بالكلاب»، ثم أرسل إليه الخليفة وعزله عن تلك الولاية<sup>(٩٦)</sup>، كما تذكر الروايات أنّ الخليفة عندما بلغه أنّ الوالي على أذريجان الأشعث بن قيس الكندي، أخذ بعض الأموال من ولاته في عهد الخليفة عثمان بن عفان، عزله

بحقهم إذ عزل قسماً منهم وعاقبهم، وهرب البعض الآخر والتحق بمعاوية، بعدما عرفوا أن الخليفة اكتشف أمرهم، كما اعتذر بعض منهم عن التصرفات التي بدرت منهم.

لكن على الرغم من الشدة التي أتصف بها الخليفة مع العمال المقصرين، إلا أننا في الوقت نفسه نلمس منه حرصه على عدم تصديق كل المعلومات التي ترد إليه، فقد كان يرسل إلى الولاة والعمال الذين ترد معلومات عنهم، ويتابع معهم مجموعة من الإجراءات لمعرفة حقيقة هذه الأعمال، ولا يعاقب أحد منهم إلا عندما يقرّ على نفسه بارتكاب الجناية، وعلى سبيل المثال عندما بلغه أن المنذر بن الجارود أخذ مبلغاً من المال من بيت مال المسلمين، كتب له كتاباً وعظه فيه وطلب منه أن يأتي إلى العاصمة: «أما بعد فإن صلاح أبيك غرني فيك، وظنت أنك تتبع هديه، وتسلك سبيله،

والملاحظ في جهاز العيون أنه كان يتقصّى كل السلبيات التي يتعرف عليها، ويوصلها إلى الخليفة بسرعة، على الرغم من المسافة الكبيرة التي تفصل العاصمة عن بعض الولايات مثل أذربيجان، كما تبيّن أنه كان يتتابع بدقة كل الأشياء التي تحدث في الولايات الإسلامية، وقد نتعرف على هذا الأمر إذاقرأنا الكتاب الذي وجّهه الخليفة إلى ولی المدينة سهل بن حنيف، والذي يشير إلى تسرب بعض أهل المدينة والتحاقهم بمعاوية، «فقد بلغني أن رجالاً من أهل المدينة خرجوا إلى معاوية»<sup>(١٠٠)</sup>.

وفي هذا دلالة على أن هذا النظام كان يعمل بدقة وفاعلية في كل أرجاء الدولة، ويعزز هذا الرأي معرفة الخليفة الدقيقة بكل التجاوزات التي قام بها بعض الولاة وعمال الخراج على أموال المسلمين، والإجراءات التي اتخذها

كذلك فقد وردت لل الخليفة معلومات تفيد بأنّ مصقلة بن هبيرة عامل أردشير خرة، يأخذ من أموال المسلمين ويفرقها على من أتاها من قومه، فكانت هذه المعلومة سبباً توجيه الخليفة كتاباً لهذا العامل، وهذا الكتاب كان يتضمن توبيخاً شديداً لهذا العامل، وفيه أيضاً تهديد بالعقوبة، لكن في الوقت نفسه كان الخليفة يعرف أنّ بعض المعلومات قد تكون كيدية أو مبالغ فيها، لذلك نلمس في هذا الكتاب أنه كان يؤكّد على أنّ المعلومات الواردة ليست بالضرورة أن تكون صحيحة، لذلك قال في هذا الكتاب : «فقد بلغني عنك أمر أكترت أن أصدقه، إنك تقسم في المسلمين في قومك ومن اعتراك من السائلة والأحزاب وأهل الكذب من الشعراء ، كما تقسم الجوز ، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، لأنفشن عن ذلك تفتيشاً شافياً ، فإن وجدته حقاً لتجدن بنفسك على هواناً ،

فإذا أنت فيما رقى إلي عنك لا تدع لمراك انقياداً ، وتبقى لأخرتك عتاداً ، تعمر دنياك بخراب آخرتك ، وتصل عشيرتك بقطيعة دينك ، ولئن كان ما بلغني عنك حقاً لجمل أهلك وشبع نعلك خير منك ، ومن كان بصفتك فليس بأهل أن يسد به ثغر ، أو ينفذ به الأمر ، أو يعلى له قدر أو يشرك في أمانة أو يؤمن على جبایة ، فأقبل إلى حين يصلك كتابي هذا إن شاء الله»<sup>(١٠١)</sup>.

وعندما جاء إلى العاصمة عزله الخليفة عن تلك الولاية ، ووضعه في السجن وقرر تغريمه ثلاثين ألف درهم ، إلا أنّ صعصعة بن صوحان أحد أصحاب الخليفة شفع له ، من أجل إخراجه من السجن فحلف أنّه لم يأخذ من الأموال شيئاً لذلك أطلق سراحه<sup>(١٠٢)</sup>.

لكنه لم يعد لتولي العمل في تلك الولاية ، نتيجة للسلبيات التي أثيرت عليه لاسيما عدم اهتمامه بعمله كما قدمنا.

وَجَدْنَا لَهُ شَيْئاً أَخْذَنَا، وَإِنْ لَمْ نُجْدِ لَهُ  
مَالاً تَرْكَنَاهُ<sup>(١٠٥)</sup>.

وَفِي الْحَالَاتِ الْتِي كَانَتْ فِيهَا  
الْمَعْلُومَاتُ الْوَارَدَةُ صَحِيحَةُ، فَإِنَّ الْخَلِيفَةَ  
كَانَ يَحْاسِبُ هُؤُلَاءِ الْمَقْصُرِينَ، وَأَوَّلُ  
هَذِهِ الْعَقُوبَاتِ هُوَ عَزْلُهُمْ عَنِ الْعَمَلِ فِي  
إِدَارَةِ الدُّولَةِ، وَاسْتِرْجَاعُ مَا أَخْذُوهُ مِنْ  
أَمْوَالِ بَالْنِسَبَةِ لِلْمُتَجَاوِزِينَ عَلَى أَمْوَالِ  
الْمُسْلِمِينَ، وَهَذَا وَاضْحَى مِنْ خَلَالِ  
الرَّوَايَةِ الَّتِي تَذَكَّرُ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ حَجَيْةَ  
وَالِّي الرِّيِّ، أَخْذَ مِنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ  
وَهُوَ يَظْنُ أَنَّ الْخَلِيفَةَ لَا يَعْلَمُ بِالْأَمْرِ،  
فَأُرْسَلَ إِلَيْهِ أَنْ يَقْدِمَ إِلَى الْعَاصِمَةِ فَلَمَّا  
وَصَلَ إِلَى تَفَاجَأَ بِأَنَّ الْخَلِيفَةَ يَعْلَمُ بِسُرْقَتِهِ  
لِأَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ، فَحَبَسَهُ الْخَلِيفَةُ إِلَّا أَنَّهُ  
أَسْتَطَعَ أَنْ يَهْرُبَ إِلَى الشَّامِ وَيَلْتَحِقَ  
بِعَاوِيَةَ<sup>(١٠٦)</sup>.

وَفِي هَذِهِ الرَّوَايَةِ إِشَارَةٌ وَاضْحَى إِلَى أَنَّ  
الْعَيْوَنَ هِيَ الَّتِي نَقَلَتْ هَذِهِ الْمَعْلُومَاتِ  
الْدِقِيقَةَ لِلْخَلِيفَةِ، كَذَلِكَ فَإِنَّ الْقَعْقَاعَ بْنَ

فَلَا تَكُونُنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ  
ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهُمْ  
يَحْسِبُونَ إِنَّهُمْ يَحْسِنُونَ صَنْعًا<sup>(١٠٣)</sup>.

وَبِالْفَعْلِ فَإِنَّ الْعَامِلَ كَتَبَ إِلَى الْخَلِيفَةِ  
أَنَّهُ لَمْ يَأْخُذْ أَيِّ شَيْءٍ مِنْ أَمْوَالِ  
الْمُسْلِمِينَ، وَأَنَّ الْمَعْلُومَاتُ الْوَارَدَةُ لَيْسَتْ  
صَحِيحَةُ، فَصَدَقَهُ الْخَلِيفَةُ وَلَمْ يَتَخَذْ أَيِّ  
إِجْرَاءَ تَجَاهِهِ<sup>(١٠٤)</sup>.

أَمَّا عَزْلُهِ فَقَدْ كَانَ سَبِيلَهُ أَنَّهُ لَمْ يَسْدِدْ  
مِبْالَغَ مِنِ الْمَالِ كَانَ بِذَمْتِهِ لَبِيتِ مَالِ  
الْمُسْلِمِينَ، إِذَا أَنَّهُ اشْتَرَى مَجْمُوعَةَ مِنِ  
الْأَسْرَى بِمَبْلَغٍ مِنِ الْمَالِ وَأَطْلَقَ سَرَاحَهُمْ،  
فَسَدَّ جُزْءٌ مِنْ هَذَا الْمَالِ، لَكِنَّهُ عَجَزَ عَنِ  
تَسْدِيدِ الْجُزْءِ الْمُتَبَقِّيِّ مِنْهُ، لِذَلِكَ هَرَبَ إِلَى  
مَعاُويَةَ فِي الشَّامِ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ لَوْ  
أَعْتَدَرَ عَنْ تَسْدِيدِ الْأَمْوَالِ لِأَمْهَلِهِ الْخَلِيفَةَ  
إِلَى حِينَ تَوْفِيرِ الْأَمْوَالِ لِدِيهِ، وَهَذَا وَاضْحَى

مِنْ قَوْلِهِ: «فَعْلَ فَعْلُ السَّيِّدِ، وَفَرِّ فَرَارُ  
الْعَيْدِ»، وَخَانَ خِيَانَةَ الْفَاجِرِ، أَمَّا أَنَّهُ لَوْ  
أَقَامَ فَعْجَزَ مَا زَدَنَا عَلَى حَبْسِهِ، فَإِنَّ

المشكلة سابقة لعهد الإمام علي عليه السلام وقد تطرقنا فيما سبق إلى بعض جوانب هذه المشكلة، لكن من المهم جداً القول أنّ السياسة الإدارية التي اتبعها عمر بن الخطاب كانت أحد الأسباب الرئيسية في هذه المشكلة، فعلى الرغم من أنه كان شديداً مع عماله، إلا أنه ولـي مجموعة من العمال وهم لا يستحقون أن يتولوا إدارة الدولة أو أموال المسلمين.

وعندما عرف أنهم سرقوا أموال المسلمين، كان الإجراء الذي اتخذه معهم لا يتناسب مع حجم الإساءة التي اقترفوها، كذلك الحال مع معاوية الذي أطلق الخليفة عمر يده في بلاد الشام ولم يحاسبه فاصبح مسيطراً على تلك المنطقة المهمة، وزادت هذه السيطرة بعد أن تولى الخلافة عثمان بن عفان وجمع الشام كله له، الأمر الذي مكنه من إنشاء مملكة مستقلة متمرة على الخلافة في تلك المنطقة.

شور هرب إلى معاوية، بعدما عرف الخليفة أنّه أصدق امرأة مائة ألف درهم، لأنّه عرف أنّ الخليفة سيعاقبه على هذا العمل، لاسيما إنّ هذه الأموال أخذها من بيت مال المسلمين<sup>(١٠٧)</sup>.

ومن المهم هنا أن نتحدث عن فرار العمال الذين سرقوا الأموال إلى الشام حيث يستطيعون التمتع بما سرقوه، وعلى الرغم من أنّ الإمام علي عليه السلام كان قد سيطر على الدولة المترامية الأطراف عن طريق العيون، التي كانت توصل الأخبار إليه بسرعة، والعقوبات التي نفذها بحق بعض من هؤلاء، وعزل البعض الآخر.

إلا أنّ وجود معاوية في بلاد الشام وإعلانه التمرد في تلك الولاية الكبيرة الغنية بالأموال، والتي يسكنها أعداد كبيرة من المسلمين مسيطر عليهم من قبل معاوية بشكل مطلق، كان بمثابة شوكه في جنب الدولة الإسلامية، وهذه



والمساواة بين المسلمين ، والثانية دولة معاوية القائمة على شراء الضمائر بالأموال ، ومعاوية لم يكن يهتم لصغار المسلمين وضعفائهم ، حتى يساوهم بزعماء القبائل والوجهاء ، أو يهتم بداعي الضرائب من أهل الجزية والخرج ، في مقابل توفير أموال لإدامة جهازه العسكري الذي يحارب به دولة علي بن أبي طالب ، لذلك كان الكثير من المتفذين والزعماء في العراق وغيره من المناطق ، والتي يحكمها الخليفة ينظرون بإعجاب إلى سياسة معاوية تجاه الزعماء في الشام<sup>(١١٠)</sup> .

فكان معاوية عندما يأتيه هؤلاء هاربين فيغدق عليهم الأموال ويقطعهم الأرضي ، وكان قسم من هؤلاء عندما يهربون إلى معاوية يرحل معهم الكثير من أفراد قبائلهم ، لأن أغلب هؤلاء كانوا من الزعماء ، وهذا يدلل على أن هؤلاء كانوا يتطلعون إلى تقسيم تفاضلي ، ولا

لذلك كان السرقة يجدون ملجاً آمناً عند معاوية بعد هربهم ، فأصبحت ولايته ملجاً للسرقة والخارجين على القانون ، فكانت الدولة في عهد الإمام علي عليه السلام كلما أرادت محاسبة أحد العمال سرق مال ولايته وهرب إلى معاوية ، الذي بدوره يستقبله ويكرمه على سرقته ويرفع مقامه<sup>(١٠٨)</sup> ، ليهياً لغيرة القيام بالعمل نفسه ، فهرب إلى معاوية كل من سرق أموال المسلمين ، والذين أنفوا من حكم الإسلام ، ليجدوا المال عند معاوية ويتبحرون بما سرقوه على الملا في الشام ، فاجتمع عند معاوية الكثير من قبائل العراق ووجوههم ، من لم يستطيع أن يعيش تحت ظل العدل الذي تميزت به دولة علي بن أبي طالب<sup>(١٠٩)</sup> ، لأن البلاد الإسلامية في تلك المدة قامت فيها دولتان ، الأولى دولة الإسلام دولة علي بن أبي طالب القائمة على العدل

طائفة من معك عن الحق إذ عموا به، واغتموا من العدل إذ صاروا فيه، وصارت صنائع معاوية عند أهل الغنى والشرف، فتاقت أنفس الناس إلى الدنيا، وقل من ليس للدنيا بصاحب، وأكثرهم يحتوي الحق ويشتري الباطل، ويؤثر الدنيا، فإن تبذل المال يا أمير المؤمنين تقل اليك أعناق الرجال، وتصف نصيحتهم وتستخلص ودهم) <sup>(١١٢)</sup>.

لكن الإمام عليه السلام رفض هذا الامر بشدة، ولم يكن يهمه هروب مجموعة من السراق والأشراف الذين كرهوا شرعة المساواة والعدل، فقال للأشتر: «وأما ما ذكرت من بذل الأموال واصطنان الرجال، فإنه لا يسعنا أن نؤتي امرأ من الفيء أكثر من حقه» <sup>(١١٣)</sup>.

لذلك فإن النظام الذي وضعه الخليفة من أجل السيطرة على إدارة الدولة، كان يواجه هذه المشكلة، إذ كلما عاقب الخليفة أحد هؤلاء المقصرين هرب إلى

يساويهم مع أضعف المسلمين، ويريدوا أن يحصلوا على أموال أكثر من غيرهم، وعندهما يأخذوا من الأموال لا يتعرضوا للحساب، وقد عبر مصقلة بن هبيرة عن هذا المعنى، عندما طالبه الخليفة بتسليد الأموال التي بدمته لبيت المال، فقال: (والله لو أن ابن هند ما يطالبني بها، أو ابن عفان لتركها لي، ألم تر إلى عثمان كيف أعطي الأشعث مائة ألف درهم من خراج أذربيجان في كل سنه) <sup>(١١٤)</sup>.

لذلك نرى أن بعض أصحاب الإمام علي عليه السلام على الرغم من معرفتهم بالمبادئ التي كان يعتنقها، اقترحوا عليه لما رأوا هروب الزعماء والوجهاء إلى معاوية، أن يعطي بعض الأموال لهؤلاء الزعماء ولا يساوياهم بعامة المسلمين، فقال له مالك بن الحارث الاشتري: (أنت تأخذ بالعدل وتعمل فيهم بالحق وتنصف الوضيع من الشريف، وليس للشريف عندك فضل منزلة على الوضيع، فضلت



هناك محاسبة لهؤلاء، فلم يضطر أحد من الولاية أو العمال أن يهرب بأموال المسلمين، مادام يتصرف كيفما يشاء ودون حساب، أما عهد علي بن أبي طالب فقد اختلفت الأمور، فهو لا يرضي بأي تصرف مهما كان بسيطاً، إذا لمس فيه إساءة للمسلمين أو لأموالهم، كما أن هؤلاء الذين عينهم من توافرت فيهم الصفات المطلوبة لإشغال هذه الوظائف، ولم تسجل عليهم ملاحظات قبل قيامهم بالعمل، والسلبيات التي ظهرت كانت بعد مباشرتهم في أعمالهم، لذلك لا يتحمل الخليفة الإساءات التي ظهرت منهم، لاسيما أنه لم يسمح لهم بالاستمرار في الإساءة فعزل قسم منهم وعاقب القسم الآخر. كما أن كثرة العقوبات التي قد يلام عليها الخليفة من قبل الذين يؤمنون بأن حكم الدولة يجب أن يراعي الواقع، فهو أمر مرفوض عند الإمام علي عليه

معاوية، الذي حول الشام إلى مركز لجتماع الخارجين عن القانون والنظام. لكن على كل حال فإن العيون التي وضعها الخليفة في أرجاء الدولة الإسلامية، كانت قد أدت المهمة التي أوكلت إليها، ولم يستطع أي من الولاية أو العمال التلاعب بأموال المسلمين، دون أن يعرف به الخليفة ويتخذ الاجراء المناسب بحقه.

وقبل أن نختتم هذا الموضوع لابد من الإشارة إلى نقطة مهمة جداً، وهي ظهور سلبيات على الولاية وعمال الخراج، مع أن الإمام عليه السلام كان يدقق في اختيار هؤلاء، ولا يعين أحد منهم إلا بعد توفر مجموعة من المميزات فيه كما ذكرنا سابقاً، ونحن نعتقد إن هذه المسألة كانت لل الخليفة علي بن أبي طالب أكثر من كونها عليه، لأن هذا السلبيات كانت موجودة بكثرة في المدة التي سبقت خلافته والمدة التي تلتها، لكن لم تكن

ومثالنا على ذلك والي البصرة الصحابي عثمان بن حنيف ، وهو من ساروا على خط علي بن أبي طالب ولم يتخاذهما عنه ، لم يتركه يتصرف على هواه ، بل شمله التدقير في عمله ، ونظام العيون لم يستثنه على اعتباره من الصحابة ، أو لقربه من الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، والأمثلة كثيرة في هذا الباب ذكرنا قسماً منها عند الحديث عن الولاة وعمال الخراج .

## ٢. التفتيش الإداري

يعد التفتيش الإداري الذي مارسه الإمام علي عليه السلام في الولايات الإسلامية ، الجزء الثاني المهم من الرقابة الإدارية على إدارة الولاة وعمال الخراج لأموال المسلمين ، والممارسات التي يقومون بها في مناطق عملهم ، سواء مع المسلمين أو غير المسلمين من أهل الخراج والجزرية ، أو مع الموظفين الذين يعملون بمعيتهم ، وكان هذا النظام يستند على

السلام ، لأنه كان يسعى في دولته إلى بناء الإنسان إذ لم يكن رجل حكم وسياسة فقط ، بل هو صاحب عقيدة قائمة على مبادئ إلهية ، منسجمة مع رؤية حضارية تميز بها الإمام علي عليه السلام ، وهو لا يحكم وفق سلطة زمنية يراعي فيها الواقع وما يفرضه عليه ، حتى لو كان هذا الواقع يخالف مبادئه ، بل كان مصداقاً للتمثيل الحقيقي للدعوة الإسلامية ، إذ كان لا يهتم كثيراً بالمنافع الآنية ، بقدر اهتمامه بالقضايا الاستراتيجية العليا التي أراد الإسلام بناءها .

لذلك سعى إلى بناء نظام تربوي لمؤلفة الولاة ، فلم يولهم محاباة ولم يختارهم قربة إلى نفسه ، بقدر ما اختارهم سفراء لدولة الإسلام ، وواجهه لها أمام الناس فكان حريصاً على أن يعكسوا هذه الصورة ، وإذا لم يستطيعوا تحمل هذه المسؤولية فالخليفة في غنى عنهم ، ليأتي أحد غيرهم يتولى ما عجزوا عن تحقيقه ،

والتي يمكن أن نلخصها بأنه طلب منه أن يبر جمع قرى السواد من دون استثناء، من أجل سؤال الناس الذين يسكنون في هذه المناطق عن رأيهم بالعمال الذين يتولون جبائية الخراج والجزية وغيرها من الضرائب، وعن مدى أمانة هؤلاء العمال مع أموال المسلمين، كما أمره أن يتعرف على سيرة هؤلاء العمال بين الناس، وكيف يتعاملون معهم<sup>(١٤)</sup>.

وهنا يمكن القول إن الخليفة اعتمد في معلوماته على عدة قنوات، من أجل أن تكون عنده صورة كاملة لإدارة الدولة، فهو يستقي جزء من معلوماته من العيون التي وضعتها في الولايات والمدن، ثم يرسل بعض الأشخاص من أجل التدقيق في عمل الولاية وعمال الخراج والجزية، وهؤلاء يقومون بنقل تصرفات هؤلاء العمال بأمانة للخليفة، يقومون أيضاً بمهمة أخرى هي حمل حصة العاصمة من أموال تلك الولايات، فتذكرة

محورين مهمين، أولهما إرسال مفتشين إلى المناطق، أو استدعاء الخليفة لهؤلاء الولاة ومراجعة حساباتهم المالية والتدقيق على تصرفاتهم.

وهؤلاء المفتشون لم يحدد لهم الخليفة وقت من أجل القيام بهذا العمل، بل يرسلهم حسب الحاجة إلى هذا الإجراء، كما أنه لا يوجد موظفين خاصين ل القيام بهذه المهمة، بل كان الخليفة يرسل من يشق به من أجل القيام بهذه المهمة، ومن النصوص الواردة لنا عن هذا الإجراء هو تكليف الخليفة مالك بن كعب الأرببي عامل عين التمر، بالقيام بمهمة التفتيش في أراضي السواد، وقد أمره الخليفة بأن يختار أحد الأشخاص لتولي عمله، ثم يخرج بمجموعة من ثقات أصحابه، ليقوموا بمهمة التفتيش في هذه المنطقة الواسعة، والمهمة جداً لأنها كانت أغنى المناطق الزراعية في الدولة الإسلامية، وقد حدد له المهمة التي يجب القيام بها،

بِاللَّهِ أَنْكَ لَكَاذِبُ وَلَئِنْ لَمْ تَبْعَثْ بِخَرَاجَكَ  
لِأَشَدِنَ عَلَيْكَ شَدَهُ؟ تَجْعَلُكَ قَلِيلَ  
الْوَفَرِ<sup>(١١٥)</sup>، ثَقِيلَ الظَّهَرِ<sup>(١١٦)</sup>، إِلَّا أَنْ  
تَكُونَ لَمَا كَسَرْتَ مِنَ الْخَرَاجِ  
مُحْتَمِلاً<sup>(١١٧)</sup>.

كَمَا أَرْسَلَ الْخَلِيفَةُ أَحَدَ مَوَالِيهِ  
وَيُسَمِّي سَعْدَ مِنْ أَجْلِ جَلْبِ بَعْضِ  
الْأَمْوَالِ الْفَائِضَةِ فِي وِلَايَةِ الْبَصَرَةِ، وَكَمَا  
قَدَّمَا فَإِنْ هَذَا الْمَبْعُوتُ كَانَ مَهْمَتَهُ  
تَضَمَّنَ التَّفْتِيشَ فِي تِلْكَ الْوِلَايَةِ أَيْضًا،  
وَنَقْلَ الْأَخْبَارِ إِلَى الْخَلِيفَةِ، وَبِالْفَعْلِ فَقَدْ  
نَقْلَ هَذَا الْمَوْظِفَ إِلَى الْخَلِيفَةِ، أَنْ  
مَسْؤُلُ بَيْتِ الْمَالِ فِي وِلَايَةِ الْبَصَرَةِ زَيَادُ  
بْنُ أَيْهَ، كَانَ يَتَكَبَّرُ عَلَى النَّاسِ وَقَدْ  
أَهَانَ هَذَا الْمَوْظِفَ، وَكَانَ لَا يَقْتَصِدُ  
بِإِنْفَاقِ الْأَمْوَالِ.

لِذَلِكَ كَتَبَ لِهِ الْخَلِيفَةُ مِنْ أَجْلِ  
اسْتِيَاضِهِ هَذِهِ الْمَعْلُومَاتِ الْوَارَدَةِ لَهُ،  
لَاسِيمًا أَنْ زَيَادًا كَانَ مِنَ الْمَوْظِفِينَ  
الْكَفُورِيْنَ فِي خَلَافَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ،

الرَّوَايَاتُ أَنَّ الْخَلِيفَةَ أَرْسَلَ أَحَدَ الْمَوْظِفِينَ  
إِلَى وِلَايَةِ فَارَسَ، وَهُنَاكَ التَّقَى بِالْوَالِيِّ  
زَيَادَ بْنَ أَيْهَ، لَكِنَّ هَذَا الْمَوْظِفَ اكْتَشَفَ  
أَنَّ الْأَمْوَالَ نَاقِصَةٌ، وَعِنْدَمَا سَأَلَ الْوَالِيِّ  
عَنْ سَبِّبِ النَّقْصِ، بَرَرَ الْأَخِيرُ الْأَمْرَ بِأَنَّ  
مَجْمُوعَةً مِنَ الْأَكْرَادِ السَّاكِنِينَ فِي تِلْكَ  
الْمَنْطَقَةِ، لَمْ يَدْفَعُوا مَا عَلَيْهِمْ مِنْ أَمْوَالٍ،  
وَطَلَبَ مِنْ هَذَا الْمَوْظِفِ عَدْمَ إِخْبَارِ  
الْخَلِيفَةِ بِالْأَمْرِ، بِدُورِهِ لَمْ يَتَشَلَّ لِهَذَا  
الْطَّلَبِ لِأَنَّ مَهْمَتَهُ كَانَ تَفْتِيشِيَّةً بِالدَّرْجَةِ  
الْأُولَى، لَاسِيمًا إِذَا عَرَفْنَا إِنَّ كُلَّ  
الْوِلَايَاتِ إِسْلَامِيَّةٌ هِيَ الَّتِي تَبْعَثُ  
الْأَمْوَالَ إِلَى الْعَاصِمَةِ، وَلَا تَوَجُّدُ حَاجَةً إِلَى  
إِرْسَالِ مَوْظِفٍ مِنْ أَجْلِ اسْتِلامِهَا، إِلَّا  
إِذَا عَرَفْنَا أَنَّ هَذَا الْمَوْظِفَ قَدْ أَرْسَلَ مِنْ  
أَجْلِ التَّدْقِيقِ.

وَبِالْفَعْلِ نَقْلَ هَذَا الْمَوْظِفَ هَذِهِ  
السَّلِبِيَّاتِ لِلْخَلِيفَةِ، فَوَجَهَ الْخَلِيفَةُ كِتَابًا إِلَى  
هَذَا الْوَالِيِّ مِنْ أَجْلِ مَعَالِجَةِ الْمُشَكَّلَةِ أَوْ  
تَحْمِيلِ النَّقْصِ فِي الْأَمْوَالِ : «يَا زَيَادًا، اقْسِمْ

دقيقة لل الخليفة، نتيجة لسوء التفاهم الذي حدث بينهما<sup>(١١٨)</sup>.

ومن هذه الرواية نستنتج شيئاً مهماً أن الرقابة كانت مستمرة على الموظفين فلا يستطيع أحد منهم أن يتجاوز على الأموال أو الناس.

كذلك فإن الخليفة لا يأخذ كل المعلومات الواردة له دون تدقيق، بل يتثبت من هذه المعلومات قبل إصدار أي حكم، وهذا نلمسه من الرواية السابقة ففي الكتاب كان يسأل زياد عن هذه المعلومات ولم ترد رواية تدل على أنه اخذ أي إجراء ضده.

أما الجانب الآخر من التفتيش فهو إرسال الخليفة للعمال والولاة من أجل الحضور إلى العاصمة وتدقيق حساباتهم وأعمالهم، وهذا الإجراء كان مكملاً لإرسال الموظفين إلى الولايات. ويمكن أن نلمس من خلال الرواية التي تذكر أن الخليفة أرسل إلى والي

الذين ولاهم مجموعة من الأعمال الإدارية والمالية فنجح فيها بدرجة كبيرة، فكان الكتاب الموجه إليه يحتوي على تحذير شديد من عواقب هذه الأعمال إذا كانت صحيحة: «إِنَّكَ شَتَمْتَ رَسُولَنَا وَزَجْرَتْهُ، وَبِلْغَنِي أَنَّكَ تَبْخُرُ وَتَكْثُرُ مِنَ الْأَدْهَانِ وَالْأَوْلَانِ الطَّعَامِ، وَتَتَكَلَّمُ عَلَى الْمِنْبَرِ بِكَلَامِ الصَّدِيقِيْنَ، وَتَفْعَلُ إِذَا نَزَّلْتَ أَفْعَالَ الْمُحْلِّيْنَ، إِنَّمَا يَكْنِي ذَلِكَ كَذَلِكَ فَفْسَكَ ضَرَرَتْ وَأَدَبَيْ تَعْرَضَتْ....، وَمَا حَمَلْتَ أَنْ تَشَهِّدَ النَّاسَ عَلَيْكَ بِخَلْافِ مَا تَقُولُ، ثُمَّ عَلَى الْمِنْبَرِ حِيثَ يَكْثُرُ عَلَيْكَ الشَّاهِدُ، وَيَعْظُمُ مَقْتُ اللَّهِ لَكَ، بَلْ كَيْفَ تَرْجُو وَأَنْتَ مَتَهُوْعٌ فِي النَّعِيمِ جَمِيعَهُ مِنَ الْأَرْمَلَةِ وَالْيَتَمِّ، أَنْ يَوْجِبَ اللَّهُ لَكَ أَجْرَ الصَّالِحِيْنَ».

فأنكر زياد أنه كان يتكبر أو يسرف في الإنفاق، وأن الموظف الذي أرسله الخليفة إلى ولايته نقل معلومات غير

عن العاصمة ، وهي بمثابة رايد آخر للرقابة المالية والإدارية من أجل السيطرة الكاملة على الإدارة في كل أنحاء الدولة الإسلامية.

لذلك اتبع الإمام علي عليه السلام مجموعة من الوسائل ، من أجل تفعيل هذه الرقابة الإدارية ، ومن هذه الوسائل التي اعتمدها الخليفة ، المخاطبة المباشرة للناس عندما يعين أحد الأشخاص في عمل ما ، وهذه المخاطبة على نوعين أما إلقاء كلمة يجعل فيها الرعية رقيبة على الوالي أو العامل ، أو إلزام هؤلاء بقراءة كتب التعيين على الناس عندما يتولوا أعمالهم كما سيأتي ، ويمكن التعرف على النوع الأول من الخطاب الموجه من الخليفة للناس ، عندما ولى عبد الله بن عباس على البصرة بعد معركة الجمل ، إذ خطب الناس في المسجد وقال لهم : «يا عشر الناس قد استخلفت عليكم عبد الله بن العباس ، فأسمعوا له وأطيعوا

اذريجان الأشعث بن قيس من أجل الحضور إلى العاصمة<sup>(١١٩)</sup>.

بعد أن بلغه أن هذا الوالي أخذ بعض الأموال من ولايته ، فلما حضر إلى العاصمة ألزمته بإرجاع الأموال إلى بيت المال<sup>(١٢٠)</sup>.

### ٣. الرقابة الشعبية على الولاة والعمال:

جعل الإمام علي عليه السلام الناس الذين يسكنون في الولايات الإسلامية ، سواء كانوا مسلمين أو من أهل الذمة يراقبون تصرفات الولاة والعمال ، ويشخصون الأخطاء التي تحصل من هؤلاء ، وأمرهم بإيصال أي سلبية يرونها في ولاياتهم إليه مباشرة ، أما عن طريق الكتابة له ، أو عن طريق الجيء إلى العاصمة وتقديم الشكاوى.

وهذه الطريقة في تشخيص الأخطاء جعلها الإمام علي عليه السلام حاكمة على تصرفات الولاة في المناطق البعيدة

العدل المطلق لهم، وهذا الأمر ليس من باب كسب ودهم، أو سعيه لاستقرار الأمور في دولته الناشئة، بل هو جزء من عقيدته التي نرى فيها تطبيق مبدأ العدالة المطلقة مع رعايا الدولة، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين موالي له أو لا، وبالفعل فقد كتبت قبيلة تميم إحدى القبائل التي كانت تسكن البصرة للخليفة أن الوالي عبد الله بن عباس كان يستعمل الشدة في معاملتهم، نتيجة لمساندتهم للمتمردين في معركة الجمل، فأرسل الخليفة للولي كتاباً يلومه فيه على هذا التصرف الغير المقبول بحق الناس، لاسيما أن الخليفة أصدر عفواً عاماً عن كل المشتركيين بتلك المعركة، ولم يستخدم وسائل انتقامية مع أعدائه، فكتب له : «وقد بلغني تمرك لبني تميم، وغلاظتك عليهم وأن بني تميم لم يغب لهم نجم إلا طلع لهم آخر، وأنهم لم يسبقوا بوعم في جاهلية أو إسلام، وإن لهم بنا رحم

أمره ما أطاع الله ورسوله، فإن أحذر فيكم أو زاغ عن الحق فأعلموني أعزله عنكم، فإني أرجو أن أجده عفيفاً تقيناً ورعاً، وإنني لم أbole عليكم إلا وأنا أظن ذلك به غفر الله لنا ولكم»<sup>(١٢١)</sup>.

وهذا يعني أن أمر بقاء الوالي أو عزله مرتبط بطاعة الله والرسول صلى الله عليه وآله وسلم أولاً، والعمل بمبادئ الإسلام التي تقوم على العدل والمساواة، ثم جعل الناس مصدر الرقابة على الوالي، فهو باق في عمله مادام يعمل بالحق، فإذا زاغ عن هذا المنهج فإن الخليفة خول الناس بالكتابة له، من أجل معالجة هذا الموضوع، ومن اللافت للنظر في هذا الكتاب، أن الخليفة أعطى هذا الحق للناس في الكتابة له إذا رأوا أي إساءة من الوالي لهم، مع أن أكثرهم اشتراك في معركة الجمل، وحاربوه مع طلحة والزبير وعائشة، إلا أنه لم يتأثر بهذا الأمر، وأعتبرهم رعايا للدولة يجب أن يتحقق

.....أ.د. حسين علي الشرهانى

ورحمة واسعة ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته<sup>(١٢٣)</sup> .

وهذا معناه أن الخليفة عرف الرعية بحقوقهم، بحيث لا يستطيع أي والي أن يتجاوز على حقوقهم على الرغم من ثقة الخليفة بقيس وبسيرته.

كذلك كتاب تعيين محمد بن أبي بكر الذي ولاه الخليفة على مصر بعد عزل قيس بن سعد، إذ قرأه الوالي الجديد على أهل مصر عندما وصل إليها، وفي هذا الكتاب توصيات وتشديد على الوالي في الحفاظ على حقوق الرعية، ونلمس تعريف الناس بحقوقهم وواجباتهم التي حددها الخليفة لهذا الوالي، والتي عرفها الناس من خلال قراءة هذا الكتاب عليهم، لذلك لا يستطيع أن يتلاعب بالأموال أو يظلم أحداً، وسنذكر جزء من هذا الكتاب: «هذا ما عهد به أمير المؤمنين إلى محمد بن أبي بكر حين ولاه مصر، أمره بتقوى الله

ماسة ، وقرابة خاصة ، نحن مأجورون على صلتها ، ومؤذرون على قطيعتها ، فأربع أبو العباس رحمك الله فيما جرى على يدك ولسانك من خير أو شر ، فإننا شريكان في ذلك ، وكن عند صالح ظني بك ، ولا يفعلن رأيي فيك»<sup>(١٢٤)</sup> .

أما قراءة كتب تعيين الولاية والعمال على الناس ، فقد كان الهدف منه أن يكون هؤلاء الساكن في تلك المناطق مراقبين لأداء هذا الوالي أو العامل ، وي يكن أن تأخذ مثلا على ذلك كتاب تعيين سعد بن قيس بن عبادة عندما ولاه على مصر ، إذ كتب لأهل مصر: «وقد بعثت إليكم قيس بن سعد الأنصاري أميرا فوازروه وأعينوه على الحق ، وقد أمرته بالإحسان إلى محسنكم ، والشدة على مريئكم والرفق بعوامكم وخواصكم ، وهو من أرضى هديه وأرجو صلاحه ونصيحته ، نسأل الله لنا ولكم عملا زاكيا وثوابا جزيلا

والطاعة له في السر والعلانية، وخوف الله في المغيب والمشهد، وأمره باللين لل المسلم وبالغلظة على الفاجر، وبالعدل على أهل الذمة، وبالإنصاف للمظلوم، وبالشدة على الظالم، وبالعفو على الناس، وبالإحسان ما أستطاع، والله يجزي المحسنين، ويعدب المجرمين، وأمره أن يدعو من قلبه إلى الطاعة والجماعة،... وأمره أن يجبي خراج الأرض على ما كانت تجبي عليه من قبل ولا ينتقص ولا يتبدع ثم يقسمه بين أهله كما كانوا يقسمونه عليه من قبل»<sup>(١٢٤)</sup>.

كذلك فإن الخليفة أعطى الحق للناس بالكتابة إليه مباشرة في حال ظلمهم الوالي أو تجاوز على الأموال، لأن الوالي يعد أعلى سلطة في الولاية، فتكون الشكوى مقدمة إلى من هو أعلى منه في هرم السلطة وهو الخليفة، وقد رأينا ذلك في كتابة قبيلة قيم لل الخليفة عن تجاوز الوالي عليهم، لكن هذا الأمر سبقه توجيهات للولاة

وعمال الخراج، في تلقي الشكاوى المباشرة من الناس، سواء كانت هذه الشكاوى على العمال الذين يعينهم الوالي في الإدارة المالية، أو الذين يعملون في جباية الضرائب من الناس، وي يكن أن نعرف هذا الأمر عندما نقرأ بعض فقرات الكتاب الذي أعطاه الخليفة مالك بن الحارث الاشتراط لولاه على مصر: «أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ، ومن خاصة أهلك، ومن لك فيه هوى من رعيتك ، فإنك لا تفعل تظلم ، ومن ظلم عباد الله ، كان الله خصمك دون عباده ، ومن خاصمه الله أدحض حجته ، وكان الله حربا حتى ينزع أو يتوب ، وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيز نعمته ، من إقامة على ظالم فإن الله سميح دعوة المضطهدين ، وهو للظالمين بالمرصاد»<sup>(١٢٥)</sup>.

وي يكن القول إن مثل هذا التوصيات لم تكن موجهة مالك الأشتر فقط ، بل هي تعليمات ي العمل عليها جميع الولاة

وفي كتاب آخر وجهه إلى قيس بن سعد: «فَأَلْنَ حِجَابَكَ، وَأَفْتَحْ بَابَكَ، وَأَعْمَدْ إِلَى الْحَقِّ»<sup>(١٢٧)</sup>، وفي بعض الحالات التي يقع الظلم على الرعية من الوالي نفسه، ولا يجدون في ولاياتهم من ينصفهم منه، يكتبون إلى الخليفة مباشرة، وهذه الكتابة لم تقتصر على المسلمين فقط، بل تعدت ذلك إلى غير المسلمين، لأن رعايا الدولة لم يكونوا من المسلمين فقط، بل كان هناك مجتمع كبيرة تعيش في ظل الدولة من الفلاحين والصناع والتجار من غير المسلمين، ففي رواية أن الدهاقين في ولاية أصفهان كتبوا إلى الخليفة، أن عامل الخراج عمرو بن سلمة الأرجبي كان لا يعاملهم باحترام، ويقسوا عليهم ويحتقرهم، لذلك كتب إليه الخليفة كتاباً يأمره بتغيير هذا السلوك، مع هؤلاء الفلاحين الذين هم الركيزة الأساسية لاقتصاد الدولة، ونموذج التعايش بين المسلمين وغيرهم،

والعمال في أرجاء الدولة الإسلامية، وجميع أوامر التعيين التي أصدرها الخليفة لهؤلاء الموظفين كانت تتضمن تعليمات قريبة من هذا النص، ولا يخفى إن الهدف من هذا النص، هو إن الوالي يجب أن يستشعر هموم الناس البسطاء، ويعالج أي ظلم يقع عليهم، وهذه هي المرحلة الأولى التي أرادها الخليفة من الولاة والعمال، لذلك أوصاهم بضرورة أن تكون أبوابهم مفتوحة لاستقبال الناس في ولاياتهم، بدون أن يكون هناك حجاب يفصلهم عن رعاياهم، أو وجود مجموعة من الأشخاص يشكلون حاجزاً بين الوالي أو العامل وبين الناس، فكتب بعض الكتب لهؤلاء في المعنى المتقدم، إذ تذكر الروايات أنه كتب لمالك الاشت: «وَمَا بَعْدَ فَلَا طُولَنْ احْتِجَابَكَ عَنْ رِعْيَتِكَ، إِنْ احْتِجَابَ الْوِلَاةَ عَنِ الرِّعْيَةِ شَعْبَةٌ مِّنَ الصَّيْقِ، وَقَلَةٌ عِلْمٌ بِالْأُمُورِ»<sup>(١٢٨)</sup>.

وفي بعض الحالات كان الناس يفدون إلى الخليفة من أجل تقديم الشكاوى ضد الولاية والعمال، إذ تذكر الروايات أن سودة بنت عمارة ومجموعة من قومها، قدموا إلى العاصمة لتقديم شكاوى ضد عامل الصدقات في المنطقة التي يسكنون فيها.

لأنه كان لا يلتزم بالأوامر التي أصدرها الخليفة، والمتعلقة في كيفية جباية هذه الصدقات، مما نتج عنه ظلم في الجباية والتوزيع، وكانت هذه المرأة هي التي تحدثت مع الخليفة عن الأمر لذلك عندما سمع الخليفة هذه الشكاوى تأثر كثيرا نتيجة للإساءة التي صدرت من هذا العامل، وبكى لأن الظلم وقع على رعايا دولته، ثم رفع يديه إلى السماء وقال: «اللهم أني لم أمرهم بظلم خلقك ولا ترك حرقك». ثم كتب كتابا إلى العامل يأمره بحفظ الأموال التي بحوزته، لحين تعين شخص آخر يتولى المهمة بدلا منه: «بسم الله

وعليه فإن عدم دخولهم للإسلام يجب أن لا يكون مذعوة لاحتقارهم، «أما بعد فإن دهاقين بذلك شكوا منك غلظة وقسوة، واحتقارا وجفوة، ونظرت فلم أرهم أهلا لأن يدنوا لشركهم، ولا يقصوا ويجهروا لعهدهم»<sup>(١٢٨)</sup>.

وعندما تحدث خيانة من أحد العمال كان الناس الذين يسكنون في تلك الولاية، أحد المصادر التي يعتمد عليها نظام الرقابة، من أجل تأكيد أو نفي التهمة عن شخص الوالي أو العامل، ومن الأمثلة على ذلك الشكاوى التي قدمها بعض المسلمين، الذين كانوا يسكنون في إصطخر ضد عامل هذه المدينة المنذر بن الجارود العبدى<sup>(١٢٩)</sup>، ومفاد هذه الشكاوى أن هذا العامل سرق بعض الأموال من تلك المدينة، لذلك عندما وردت للخليفة هذه المعلومات نفسها من جهاز العيون أحضر هذا العامل وعاقبه وعزله عن تلك الولاية.

المجتمع إلى طبقتين طبقة لا تجد قوت يومها، وطبقة لا تعرف كيف تنفق الأموال، وكل هذا في ظل دولة تعتنق الدين الإسلامي الذي يعد العدالة أهم مبادئه، وزاد الأمر سوءاً أن الكثير من المقربين من الخليفة استطاعوا السيطرة على بعض أراضي وأموال الدولة، فعمل الخليفة على إلغاء الطبقية التي بدأت في الظهور في المجتمع الإسلامي، من خلال توزيع أموال الدولة على المسلمين بالتساوي، ثم أرجع الأموال والأراضي التي أخذت من الدولة، لذلك يمكن القول بأن الخليفة استطاع أن يواجه كل الصعوبات التي شهدتها خلافته، بحيث شعر المسلمون لاسيما الفقراء منهم بأنهم يعيشون في ظل دولة توفر لهم العدل والمساواة مع غيرهم. فاستطاع إيجاد تنظيم دقيق لمسألة جمع الضرائب وتوزيعها، ففي مجال الجباية أو جد الخليفة آلية تقوم على الرفق واللين عند جباية الضرائب،

الرحمن الرحيم قد جاءتكم بينه من ربكم فأوفوا الكيل والموازين بالقسط ولا تخسوا الناس أشياءهم، ولا تعشو في الأرض مفسدين بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بمحظٍ ، إذا أتاك كتابي هذا فاحفظ بما في يديك ، حتى يأتي من يقبضه منك **والسلام**<sup>(١٣٠)</sup> . لكن هذا الإجراء الذي اخذه الخليفة تبعه بالتأكيد تدقيق في صحة الشكوى المقدمة من الأهالي ضده ، إذ ليس من المعقول أن يعاقبه بدون تدقيق ، وربما الشخص الذي سيقبض الأموال منه كان هو الذي يدقق في هذه الشكوى.

### الخاتمة

بعد أن انتهينا من بحثنا يمكننا القول إن الإمام علي عليه السلام عندما استلم الخلافة وجد الدولة الإسلامية تعاني من اقتصاد مستغل ، قائم على تمنع مجموعتين من المسلمين بالأموال وهم أسرة الخليفة عثمان والصحابة الأوائل ، إذ توزع

منهج أمير المؤمنين عليه السلام في معالجة الفساد المالي .....  
..... طبیعته

ورفض أي عمل يؤدي إلى الإضرار بداعيها، وفي مجال توزيع الأموال أو جد الخليفة آلية تقوم على التوزيع السريع لهذه الأموال وتجنب خزنها، انطلاقاً من حاجة المسلمين إلى هذه الأموال، وبذلك يكون قد غير السياسة التي كانت سائدة قبله، والتي كانت قائمة على خزن الأموال وإيقاعها لمدة طويلة في بيت المال.

فوضع الإمام علي عليه السلام نظاماً إدارياً متكاملاً من أجل إدارة أموال الدولة الإسلامية، وذلك من خلال تغيير الكادر الإداري الذي شكى منه المسلمين في عهد الخليفة عثمان، وإيجاد ضوابط مشددة في اختيار الولاية والعمال من أجل الحفاظ على الأموال، ثم وضع آلية لمراقبة أداء هؤلاء الموظفين مثل التفتيش الإداري، ونظام العيون وغيرها، فأسهمت هذه الآليات في منع الموظفين من التجاوز على الأموال، كما أنه ربط الولايات والمدن الإسلامية بالعاصمة

وفق نظام لامركزي، مع إبقاء رقابة الخليفة على أداء الولاية، أي إنه أعطى الولاية صلاحيات واسعة من أجل إدارة الولايات بصورة أفضل، لكن هذه الصلاحيات كانت تجمد حالماً يكون هناك تجاوز على الأموال.

وكانت أهم نتيجة خلص إليها البحث هي أن العدل الذي تمسك به الإمام علي عليه السلام وطبقه في دولته أستمر بالبقاء إلى يومنا هذا، بينما الظلم والجور الذي وقع على المسلمين من الحكام الظلمة انتهى بصفحات سوداء كتبها المؤرخون عن هؤلاء الحكام، فعلى الرغم من أن الدولة التي أسسها الإمام علي (عليه السلام) كانت مدتها قليلة، لكن الناس رأوا فيها ثمار العدالة، فعاشوا منعمين لا يخافون الظلم من السلطة، التي شعروا بأنها حامية لهم ولصالحهم، أما عدم الاستقرار التي مرت به دولته، فقد كان سببه عدم رضى المنتفعين والأثرياء عن

- (٨) العقوبي، تاريخ العقوبي، ١٥٧/٢ ، المجلسي، بحار الانوار، ٣٠٣/٣٠ .
- (٩) المجلسي، بحار الانوار، ٣٠٣/٣٠ .
- (١٠) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ١١٢/٥٩ .
- (١١) قيم الداري .
- (١٢) ابن حزم، المحلي، ٢٧٤/٢ ، الهشمي، مجمع الزوائد، ٢٢٢/٢ .
- (١٣) النعمان المغربي، دعائم الاسلام، ١٦٤/٢ ، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ١١٥/٥٩ ، الذهبي، سير اعلام النبلاء، ١٣٤/٣ .
- (١٤) لمزيد من التفاصيل ينظر: الشرهاني، التغير في السياسة المالية، ص ٩٣-١٨٧ .
- (١٥) بخت، عصر الخلفاء الراشدين، ص ٢٤٦ .
- (١٦) العقوبي، تاريخ العقوبي، ١٨٠/٢ .
- (١٧) الصناعي، المصنف، ٤٥٦/٥ ، ابن شبة النميري، تاريخ المدينة، ٨٣٧/٣ ، الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ٣٣٩/٣ ، ابن عساكر، تاريخ دمشق،

هذه الدولة التي ساوتهم بالبساطة، لذلك وقف هؤلاء ووحدوا صفوفهم على الرغم من اختلاف توجهاتهم من أجل إسقاط هذه الدولة، لكنهم فشلوا في هذا الأمر ولم ينجدهم سوى اغتيال الإمام علي عليه السلام.

- (١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٢٩ - ٢٣٠ ، ابن حجر، الاصابة، ٥٥٣/٦ .
- (٢) اعطى خالد بن الوليد مبلغ عشرة آلاف درهم للأشعث بن قيس الكندي .
- (٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٢٦٦/١٦ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ٩٣/٧ ، نجمان ياسين، الأوضاع الاقتصادية، ص ٢٣٤ .
- (٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٤٩/٣ ، المتقي الهندي، كنز العمال، ٤٧٧/٤ .
- (٥) ابو عبيد، الأموال، ص ٢٦٨ ، العقوبي، تاريخ العقوبي، ١٥٧/٢ ، ابن شعبة الحرانى، تحف العقول، ص ١٩٤ .
- (٦) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٤٥/١ .
- (٧) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٣٤ .

- العقول، ص ١٣٧ ، المجلسي، بحار الأنوار، ٢٥٣/٧٤ . ٤٨٦ - ٤٨٥ / ٤
- (٢٣) شمس الدين، دراسات في نهج البلاغة، ص ٦٨ - ٦٩ . ٤٧٤ / ٤٧
- (٢٤) العيساوي، النظم الإدارية والمالية، ص ٨٦ . ٣٧١/٣ ، ابن الأثير، أسد الغابة، ٣٧١/٣
- (٢٥) ابن الأثير، أسد الغابة، حجر، الإصابة، ٣٧٢/٤ . ٣٧٢/٤
- (٢٦) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٤٧١/٣ ، ابن الأثير، أسد الغابة، ٢٦٥-٢٦٤/٣ ، ابن حجر، الإصابة، ١٦٦/٣ . ٤٧١/٣
- (٢٧) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٤٨٤/٣ ، ابن حجر، الإصابة، ٢٠٠/٢ . ٤٨٤/٣
- (٢٨) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٧٤/١ ، ابن الأثير، أسد الغابة، ٣٩١/١ . ٣٩١/١
- (٢٩) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ١٠٥ ، ابن الأثير، أسد الغابة، ٣٩١/١ . ٣٩١/١
- (٣٠) النسائي، السنن الكبرى، ٥١/٥ ، ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٤ - ١٩٢/٣ . ١٩٤ - ١٩٢/٣
- ، أسد الغابة، ٤٥٦/٥ ، الصناعي، المصنف، ٤٥٦/٥
- البخاري، التاريخ الصغير، ٧٣/١ ، البلاذري، فتوح البلدان، ص ١١٤ ، الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ٣٣٩/٣ ، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٢٥٢/٣٩ . ٢٥٢/٣٩
- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ١٧٥/٢ ، الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ٤٠٢/٣ ، ابن أثيم، الفتوح، ٤١٦/٢ . ٤١٧
- الصناعي، المصنف، ٤٥٦/٥ ، البخاري، التاريخ الصغير، ٧٣/١ ، البلاذري، فتوح البلدان، ص ١١٤ ، الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ٣٣٩/٣ ، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٢٥٢/٣٩ . ٢٥٢/٣٩
- اليوزبكي، النظم الإسلامية، ص ٥٥ . ٥٥
- النعمان المغربي، دعائم الإسلام، ٣٦١/١ ، ابن شعبة الحراني، تحف

- أ. د. حسين علي الشرهانی ..... أ. د. حسين علي الشرهانی
- الذهبی ، سیر اعلام النبلاء ، ۳۳۱/۳ - ۳۵/۶
- البخاری ، التاریخ الكبير ، ۵۲/۸ ، ابن الأثیر ، أسد الغابة ، ۳۳۹/۴ . ۳۳۲
- (۳۷) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ۳۷
- (۳۸) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ۲۹۲/۴ ، ابن الأثیر ، أسد الغابة ، ۳۵۱/۲ . ۳۴۰
- (۳۹) البلاذری ، فتوح البلدان ، ص ۲۴۴ ، ابن الأثیر ، أسد الغابة ، ۲۷۸/۳ ، ابن حجر ، الإصابة ، ۲۳۸/۴ . ۳۴۵/۹
- (۴۰) ابن الأثیر ، أسد الغابة ، ۲۷۸/۳ ، ابن حجر ، الإصابة ، ۲۳۸/۴ ، البیشمی ، مجمع الزوائد ، ۶۹/۲ . ۴۵۴.۴۴۹/۲
- (۴۱) شمس الدین ، دراسات في نهج البلاغة ، ص ۶۹ . ۴۵۴.۴۴۹/۲
- (۴۲) العیساوی ، النظم الإدارية والمالية ، ص ۸۳ . ۴۵۴.۴۴۹/۲
- (۴۳) ابن الأثیر ، أسد الغابة ، ۲۸۳/۲ ، ابن حجر ، الإصابة ، ۵۵/۳ . ۴۵۴.۴۴۹/۲
- (۴۴) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ۶۱۳/۳ ، ابن حجر ، الإصابة ، ۵۵/۳ . ۱۳۳-۱۳۱/۴
- (۴۵) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ۶۱۳/۳ ، ابن الأثیر ، أسد الغابة ، ۲۸۳/۲ ، ابن ابی
- سعد ، الطبقات الكبرى ، ۶۱۳/۳ . ۴۸۷/۴
- (۳۱) الصناعی ، المصنف ، ۶۴/۱۱ ، ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ۴۰۶/۴۹
- (۳۲) ابن عساکر ، تاریخ دمشق ، ۲۱۶-۲۱۵ ، البیشمی ، مجمع الزوائد ، ۳۲۷/۱ . ۳۴۵/۹
- (۳۳) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ۱۵/۶ ، ابن الأثیر ، أسد الغابة ، ۱۵۰/۲
- الذهبی ، سیر اعلام النبلاء ، ۲۴۰
- (۳۴) البلاذری ، فتوح البلدان ، ص ۱۹۲ ، ابن الأثیر ، أسد الغابة ، ۲۰۲/۴ . ۲۲۹/۳
- (۳۵) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ۲۴۰ ، الذهبی ، سیر اعلام النبلاء ، ۱۵۰/۱
- ابن حجر ، الإصابة ، ۱۳۳-۱۳۱/۴
- (۳۶) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ۸۷/۸ ، ابن حجر ، الإصابة ، ۴۸۷/۴ . ۴۸۷/۴

- (٥١) ابن الأثير، أسد الغابة، ٢٦/٥ ، ابن الحميد، شرح نهج البلاغة، ٦٥/٦ ، ابن حجر، الإصابة، ٥٥/٣ .
- (٤٦) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٧٥/١ - ٩٢ ، ابن حبيب، المنمق، ٤٢ — ٦٨ ، العقوبي، تاريخ العقوبي، ١ / ٢٤٣ - ٢٥٣ ، الطبرى، تاريخ الأمم والملوک، ٢٠٠/١٥ - ٢٣٥ ، ابن أبي الحميد، شرح نهج البلاغة، ٨ / ١٤ .
- (٥٢) ابن الأثير، أسد الغابة، ٢٦/٥ ، ابن الحميد، شرح نهج البلاغة، ١٧٤/١٦ .
- (٥٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٦٧٠/٦ ، الشربيني، مغني الحاج، ٣٧٤/١ .
- (٥٤) أبو نعيم الأصبهاني، ذكر أخبار أصبهان، ٣٤٣/٢ ، الجلسي، بحار الأنوار، ٣٥٧/٣٢ .
- (٥٥) البلاذري، انساب الأشراف، ص ١٦٥ ، الثقفي، الغارات، ٤٤٧/٢ ، ابن أبي الحميد، شرح نهج البلاغة، ٣٠٢/٢ .
- (٥٦) البلاذري، انساب الأشراف، ص ١٦١ ، العقوبي، تاريخ العقوبي، ٢٠٣/٢ .
- (٥٧) العقوبي، تاريخ العقوبي، ٢٠٣/٢ ، الطبرى، تاريخ الأمم والملوک، ١٧٤/١٦ .
- (٤٧) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٢٠١/١ - ٢١١ ، العقوبي، تاريخ العقوبي، ٣١/٢ - ٣٢ ، الطبرى، تاريخ الأمم والملوک، ٦٢ / ٢ - ٨٠ .
- (٤٨) ابن أبي الحميد، شرح نهج البلاغة، ٥٤/١٨ ، الجلسي، بحار الأنوار، ٥٠٦/٣٣ .
- (٤٩) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٥٥٩/٥ - ٥٦٠ ، ابن أبي الحميد، شرح نهج البلاغة، ٥٥/١٨ .
- (٥٠) البلاذري، انساب الأشراف، ص ١٥٩ ، ابن أبي الحميد، شرح نهج البلاغة، ١٧٤/١٦ .

- ص ١٣٣ ، ابن الأثير، اسد الغابة ، ٢٩٠/٢ .٢١٢
- (٦٣) ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ،  
ص ١٣٤ ، البلاذري ، فتوح البلدان ،  
ص ٢٤١ ، ابن أبي الحميد ، شرح نهج  
البلاغة ، ١٤/١٣ .٢١٦/٢ ، ابن
- (٦٤) ابن الأثير، أسد الغابة، ٢١٦/٢، ابن  
حجر، الإصابة، ٥٢٨/٢ .٢٥٧/٣٢
- (٦٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٧/٦  
الحافظ الحاكم النيسابوري، المستدرك  
على الصحيحين، ١٠٢/١ .٢٠٥/١٦
- (٦٦) ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ،  
ص ٦٢ ، ابن الأثير، اسد الغابة ،  
.٢٠٢/٤
- (٦٧) ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ،  
ص ١١٦ ، الطبرى ، تاريخ الامم  
والملوك ، ٣٠٨/٣ ، ابن الأثير، اسد  
الغابة ، ١٨٣/٣ ، ابن حجر، الإصابة ،  
.١١٠ - ١٠٩/٤ .٥٢٨/٢
- (٦٨) العيساوي ، النظم الإدارية والمالية ،  
ص ١٢٢ .٩٩/٧
- (٦٩) الشافعى ، كتاب الأم ، ١٥٩/١ ، ابن  
سعد ، الطبقات الكبرى ، ٣٤٠/١ .١٩٢/٤
- (٧٠) الطبرى ، تاريخ الامم والملوك ،  
٣٤١ ، المجلسى ، بحار الأنوار ،  
٢٩٠/٢ .٣٣/٢ ، ابن أبي
- (٧١) الحذيفى ، شرح نهج البلاغة ، ١٠٥/١  
ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ١٠٥/١ .١٧٠/١٩
- (٧٢) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ،  
١٠٦ ، ابن حجر ، الإصابة ،  
.١٢٩/٤
- (٧٣) ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ،  
ص ١٤٤ ، الطبرى ، تاريخ الأمم  
والملوك ، ١٠٥/٤ ، ابن عبد ربه ، العقد  
الفرید ، ٤٣/٤ ، ابن الأثير، اسد  
الغابة ، ٢١٦/٢ ، ابن حجر، الإصابة ،  
.٥٢٨/٢
- (٧٤) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٩٩/٧  
ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ،

- (٦٩) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ١٤٤ ، الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ٤/١٠٥ ، ابن الأثير، أسد الغابة، ٣٦٥/٢
- (٧٠) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ٤/١٠٥ ، ابن الأثير، أسد الغابة، ٢/٢١٦ ، ابن حجر، الإصابة، ٥٢٨/٢
- (٧١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٩٩/٧ ، ابن الأثير، أسد الغابة، ٢١٥/٢ ، ابن حجر، الإصابة، ٥٢٧/٢ - ٥٢٨/٢
- (٧٢) ابن الأثير، أسد الغابة، ٢١٥/٢ ، ابن حجر، الإصابة، ٥٢٧/٢
- (٧٣) الثقفي، الغارات، ص ١٩٢
- (٧٤) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ٤/١٣١ - ١٣٠
- (٧٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٩٩/٧ ، ابن أبي الحميد، شرح نهج البلاغة، ١٦/١٧٩ - ١٨١ ، ابن حجر، فتح الباري، ٣/٤٣٥
- (٧٦) يعقوبى، تاريخ يعقوبى، ٢١٨/٢ ، ابن ابي النوى، الجموع، ١٨/٩٠ ، الحميد، شرح نهج البلاغة، ١/١٧٣
- (٧٧) الطبرى، الاحتجاج، ٢/١٧ ، ابن أبي الحميد، شرح نهج البلاغة، ١١/٤٤ ، المجلسى، بحار الأنوار، ٣٩٢/٣٢١
- (٧٨) ابن أبي الحميد، شرح نهج البلاغة، ١٦/١٨٢
- (٧٩) الحكم النيسابورى، المستدرك، ٣/١٩٠ ، ابن الأثير، أسد الغابة، ١/٢٨٥ ، ابن أبي الحميد، شرح نهج البلاغة، ١٠/٧٧
- (٨٠) ابن الأثير، أسد الغابة، ١/٢٨٥ ، ابن حجر، الإصابة، ١/٦٢٩ - ٦٢٨
- (٨١) ابن الأثير، أسد الغابة، ١/٢٨٥
- (٨٢) البلاذرى، فتوح البلدان، ص ٢٤٤ ، يعقوبى، تاريخ يعقوبى، ٢/١٨٣ - ١٨٤
- (٨٣) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص ١٥١ ، الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، ٤/٤٦ ، المجلسى، بحار الأنوار، ٣٢/٣٥٧

- أ. د. حسين علي الشرهاني ..... أ. د. حسين علي الشرهاني
- (٨٤) الطبرى، تاريخ الامم والملوك، ٥٤٩/٣
- (٩٢) البخارى، صحيح البخارى، ٦٦ / ٨  
مسلم، صحيح مسلم، ١٢ - ١١/٦
- (٩٣) اليعقوبى، تاريخ اليعقوبى، ٢٠٥/٢  
ابن اعثم، الفتوح، ٢٤١/٤
- الطبرسى، مكارم الأخلاق، ١١٤  
المجلسى، بحار الانوار، ٣١٢/٧٦
- (٩٤) البلاذرى، انساب الاشراف، ٦٣  
ص ١٧٠ ، ابن اعثم، الفتوح، ٢٤١/٤
- (٩٥) ابن ابي الحميد، شرح نهج البلاغة، ٣٦١/١  
١٦٧/١٦ - ١٦٨ ، المجلسى، بحار  
الأنوار، ص ٥٠٠ / ٣٣
- (٩٦) البلاذرى، انساب الاشراف، ٤٩١/٣  
ص ١٦٣ ، اليعقوبى، تاريخ اليعقوبى، ٢٠٣/٢
- (٩٧) المنقري، وقعة صفين، ص ٢٠  
النعمان المغربي، دعائم الاسلام، ٣٩٦/١  
١٣٦، ابن ابي الحميد، شرح نهج  
البلاغة، ٣٣/١٤
- (٩٨) الثقفى، الغارات، ٣٦٥/١ ، النعمان  
المغربي، دعائم الاسلام، ٣٩٦/١ ، ابن  
عساكر، تاريخ دمشق، ٢٧٢/٥٨ ، ابن
- (٨٥) اليعقوبى، تاريخ اليعقوبى، ٢٠٢/٢  
الطبري، تاريخ الامم والملوك، ٥٥٢/٣  
٥٥٦ -
- (٨٦) الكوفى، مناقب امير المؤمنين، ٦٠/٢  
٦٣ ، المفید، الامالى، ص ١٩٧ .
- (٨٧) النعمان المغربي، دعائم الاسلام،  
١٣٧ ، ابن شعبة الحرانى، تحف  
العقول، ص ١٣٧ ، ابن ابي الحميد،  
شرح نهج البلاغة، ٦٩/١٧ .
- (٨٨) الطبرى، تاريخ الامم والملوك، ٤٩٠/٣  
٨٩/٤ ، ابن ابي الحميد، شرح نهج  
البلاغة، ١٣٠/٣ .
- (٨٩) اليعقوبى، تاريخ اليعقوبى، ٢٠١/٢  
الكليني، الكافي، ٥/٥ .
- (٩٠) الثقفى، الغارات، ٥٠٩/٢ ، المجلسى،  
بحار الانوار، ٤٩١/٣ .
- (٩١) ابن ابي الحميد، شرح نهج البلاغة،  
٢٠٥ / ٢٠٨ - ٢٠٥ ، المجلسى، بحار  
الأنوار، ٤٧٤/٣٣ .

- ابي الحميد، شرح نهج البلاغة، ..... .١٤٥/٣
- (١٠٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢٠٢/٢ ، المحمودي، نهج السعادة، ..... .١٥٤/٥
- (٩٩) النعمان المغربي، دعائم الاسلام، ..... .٣٩٦/١
- (١٠٥) الثقفي، الغارات، ٣٦٦/١ ، الطبرى، تاريخ الامم والملوك، ..... .٢٠١/٢
- ٤/١٠٠ ، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ..... .٥٢/١٨
- ٣/١٤٥ - ١٤٧ ، ابن ابى الحميد، شرح نهج البلاغة، ..... .١٤٥/٣
- (١٠٦) الثقفي، الغارات، ٥٢٥/٢ - ٥٢٦ ، ابن حبان، الثقات، ..... .٢٩٨/٢
- (١٠٧) الثقفي، الغارات، ٥٣٢/٢ - ٥٣٣ ، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ..... .١٣/٣
- (١٠٨) الثقفي، الغارات، ٥٢١/٢ وما بعدها. ..... .٢٠٤/٢
- (١٠٩) النعمان المغربي، شرح الأخبار، ٢ .٩٧-٩٥
- (١١٠) شمس الدين، دراسات في نهج البلاغة، ص ٢١٤ ..... .١٧٥/١٦
- (١١١) الثقفي، الغارات، ٣٦٥/١ ، الطبرى، تاريخ الامم والملوك، ..... .٥١٦/٣٣

- ٤/١٠٠ ، ابن ابي الحميد ، شرح نهج البلاغة ، ١٤٥/٣ .
- (١١٢) الثقفي ، الغارات ، ٧٣/١ ، ٧٤ - ابن ابي الحميد ، شرح نهج البلاغة ، ١٩٨/٢ .
- (١١٣) الثقفي ، الغارات ، ٧٣/١ ، ابن ابي الحميد ، شرح نهج البلاغة ، ١٩٨/٢ ، المجلسي ، بحار الانوار ، ٤٩٥/٢٩ .
- (١١٤) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ٢٠٤/٢ ، محمودي ، نهج السعادة ، ٤٠٩/١ . ٢٥/٥
- (١١٥) قليل الاحترام .
- (١١٦) لا تستطيع إعالة أهلك .
- (١١٧) البلاذري ، انساب الاشراف ، ص ١٦٢ ، اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ٢٠٤/٢ ، ابن أبي الحميد ، شرح نهج البلاغة ، ١٣٩/١٥ .
- (١١٨) البلاذري ، انساب الاشراف ، ص ١٦٥ ، اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ٢٠٢/٢ .
- (١١٩) المنقري ، وقعة صفين ، ص ٢١ - ٢٢ ، اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ٢٠٠/٢ .
- (١٢٠) البلاذري ، انساب الاشراف ، ص ١٦٣ ، اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ٢٠٣-٢٠٤ ، ابن ابي الحميد ، شرح نهج البلاغة ، ٥٤/١٨ .
- (١٢١) المفید ، الجمل ، ص ٢٢٤ ، محمودی ، نهج السعادة ، ٤٠٩/١ .
- (١٢٢) ابن ابي الحميد ، شرح نهج البلاغة ، ١٢٥/١٥ ، المجلسی ، بحار الانوار ، ٤٩٢/٣٣ .
- (١٢٣) الثقفي ، الغارات ، ٢١١/١ ، ابن ابي الحميد ، شرح نهج البلاغة ، ٥٩/٦ ، المجلسی ، بحار الانوار ، ٥٣٥/٣٣ .
- (١٢٤) الثقفي ، الغارات ، ٢٢٤/١ ، ابن شعبه الحراني ، تحف العقول ، ص ١٧٦ ، ابن ابي الحميد ، شرح نهج البلاغة ، ٦٥/٦ .

## مصادر البحث ومراجعه

### أولاً: المصادر

- ابن الأثير، عز الدين علي بن أبي الكرم الشيباني، (ت ٦٣٠ هـ) / اسد الغابة، مطبعة اسماعيليان، طهران د ت.
- ابن أعثم، احمد بن أعثم الكوفي(ت ٣١٤ هـ) / كتاب الفتوح، تحقيق علي شيري ، دار الأضواء، بيروت ١٩٩١.
- البخاري ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت ٢٥٦ هـ) / التاريخ الصغير، تحقيق محمود إبراهيم زايد ، دار المعرفة ، بيروت ١٤٠٦ هـ.
- البلاذري ، احمد بن يحيى (ت ٢٧٩ هـ) / انساب الأشراف ، تحقيق محمد حميد الله ، دار المعارف ، مصر ١٩٥٩ م.
- البلاذري ، احمد بن يحيى (ت ٢٧٩ هـ) / انساب الأشراف ، تحقيق محمد

- (١٢٥) ابن شعبة الحراني ، تحف العقول ، ص ١٢٧-١٢٨ ، ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١٧ / ٣٤ ، المجلسي ، بحار الانوار ، ٦٠١/٣٣ .
- (١٢٦) ابن شعبة الحراني ، تحف العقول ، ص ١٤٤ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٩/٨ ، المجلسي ، بحار الانوار ، ٦٠٩/٣٣ .
- (١٢٧) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ٢٠٢/٢ ، الاميني ، الغدير ، ٧١/٢
- (١٢٨) البلاذري ، انساب الاشراف ، ص ١٦١ ، اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ٢٠٣/٢ ، ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١٣٧/١٥ .
- (١٢٩) البلاذري ، انساب الاشراف ، ص ١٦٣ .
- (١٣٠) ابن طيفور ، بلاغات النساء ، ص ٣٠ ، ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ١٠٢ / ٢ - ١٠٣ ، المجلسي ، بحار الانوار ، ١١٩/٤١ .

باقر محمودي ، مؤسسة الاعلمي ،  
الموجود وآخر ، دار الكتب العلمية ،  
بيروت ١٤١٥ .

- ابن أبي الحميد ، عز الدين بن  
هبة الله (ت ٦٥٦ هـ) / شرح نهج  
البلاغة ، تحقيق محمد أبو الفضل  
إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ،  
بيروت د.ت.

- ابن حزم ، علي بن احمد  
(ت ٤٥٦ هـ) / المخلوي ، تحقيق احمد محمد  
شاكر ، دار الفكر ، بيروت ، د.ت.

- الخطيب البغدادي ، احمد بن  
علي (ت ٤٦٣ هـ) / تاريخ بغداد ، تحقيق  
مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب  
العلمية ، بيروت ١٩٩٧ م.

- ابن خياط ، خليفة بن خياط  
العصفري (ت ٢٤٠ هـ) / تاريخ خليفة  
بن خياط ، تحقيق سهيل زكار ، دار  
الفكر ، بيروت ١٩٩٣ م.

بيروت ١٣٩٤ .

- البلاذري ، احمد بن يحيى بن  
جابر (ت ٢٧٩ هـ) / فتوح البلدان ، دار  
الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٠ .

- الثقفي ، إبراهيم بن محمد الثقفي  
(ت ٢٨٣ هـ) / الغارات ، تحقيق جلال  
الدين المحدث ، مطبعة بهمن ، إيران  
١٣٩٥ هـ.

- الحاكم النيسابوري ، محمد بن  
محمد (ت ٤٠٥ هـ) / المستدرك على  
الصحيحين ، تحقيق يوسف المرعشلي ،  
دار المعرفة ، بيروت ١٤٠٦ .

- ابن حبان ، محمد بن حبان بن  
احمد البستي (ت ٣٥٤ هـ) / كتاب  
الثقة ، مطبعة مجلس دائرة المعارف  
العثمانية ، حيدر آباد الدكن ١٩٧٣ .

- ابن حجر ، احمد بن علي  
العسقلاني (ت ٨٥٢) / الإصابة في تمييز  
الصحابة ، تحقيق عادل احمد عبد

- الذهبي، محمد بن احمد ت(٧٤٨هـ) / سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٣ م.
- ابن سعد، محمد (ت ٢٣٠ هـ) / الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت د.ت.
- الشافعي، محمد بن إدريس (ت ٢٠٤ هـ) / كتاب الأم، ط ٣، دار الفكر، بيروت ١٩٨٣ م.
- ابن شبة السنميري، عمر (ت ٢٦٢هـ) / تاريخ المدينة المنورة، تحقيق فهيم محمد شلتوت، دار الفكر، قم د.ت.
- الشربيني، محمد (ت ٩٧٧ هـ) / مغني المحتاج، دار إحياء التراث العربي، مصر ١٩٥٨ م.
- ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي (ت بعد ٤٠٠ هـ) / تحف العقول عن آل الرسول، تحقيق علي أكبر الرضوية، طهران ١٣٨٧ هـ.
- الطوسي، محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ) / المبسوط في فقه الإمامية، تعليق محمد تقى الكشفي، المكتبة الرضوية، طهران ١٣٨٧ هـ.
- الطبرسي، الحسن بن الفضل (ت ٥٤٨هـ) / مكارم الأخلاق، إيران ١٩٧٢ م.
- الطبرسي، محمد بن جرير (ت ٣١٥هـ) / اريخ الأمم والملوك، تحقيق مجموعة باحثين، مؤسسة العلمي، بيروت.
- الغفارى، طه بن احمد (ت ١٤٠٤ هـ) / كتاب الصناعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٩٢ م.
- الصنعاني، عبد الرزاق بن همام (ت ٢١١هـ) / المصنف، تحقيق حبيب الرحمن الاعظمي، دم ١٣٩٢.
- الطبرسي، احمد بن علي (ت ٥٦٠هـ) / الاحتجاج، تحقيق محمد باقر الخرسان، دار النعمان، النجف ١٩٦٦.

في التاريخ، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث، بيروت ١٩٨٨ م.

- الكليني، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٨ هـ) / الكافي، دار الكتب الإسلامية، طهران ١٣٨٨ .

- الكوفي، محمد بن سليمان (ت بعد ٣٠٠ هـ) / مناقب الإمام أمير المؤمنين، تحقيق محمد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم ١٤١٢ .

- المتقي الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين (ت ٩٧٥ هـ) / كنز العمال، تحقيق بكري حياني وآخر، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٩ .

- الجلسي، محمد باقر (ت ١١١١ هـ) / بحار الأنوار، ط ٢، مؤسسة الوفاء، بيروت ١٩٨٣ م.

- مسلم، مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١ هـ) / صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت د.ت.

- ابن طيفور، أبو الفضل بن أبي طاهر (٣٨٠ هـ) / بلاغات النساء، مكتبة بصيري، قم، د.ت.

- ابن عبد ربه، احمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ) / العقد الفريد، تصحيح محمد أمين، القاهرة ١٩٤٩ .

- أبو عبيد، القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) / الأموال، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٥٣ .

- ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت ٥٧١ هـ) / تاريخ دمشق، تحقيق علي شيري، دار الفكر، بيروت ١٩٩٥ .

- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ) / الإمامة والسياسة، تحقيق علي شيري، مطبعة أمير، قم ١٤١٣ هـ.

- ابن كثير، إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) / البداية والنهاية

- النووي، محى الدين (ت ٦٧٦هـ) / المجموع، دار الفكر، بيروت دت.
- الهيثمي، علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧هـ) / مجمع الزوائد، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨.
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت ٢٨٤هـ) / تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت.

### **ثانياً: المراجع**

- بخيت، عبد الحميد / عصر الخلفاء الراشدين، دار المعارف، مصر ١٩٦٥.
- الشرهاني، حسين علي / التغيير في السياسة المالية للدولة الإسلامية في خلافة الإمام علي عليه السلام، دار توز، دمشق ٢٠١٣م.
- شمس الدين، محمد مهدي / دراسات في نهج البلاغة، ط٢، دار الزهراء، بيروت ١٩٧٢.

- المفيد، محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣هـ) / الامالي ، تحقيق علي اكبر الغفاری ، نشر جماعة المدرسين ، قم ١٤٠٣.
- المنقري، نصر بن مزاحم المنقري (ت ٢١٢هـ) / وقعة صفين ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط٢ ، المؤسسة العربية الحديثة ، مصر ١٩٦٢.

- النسائي، احمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ) / السنن الكبرى ، تحقيق عبد الغفار سليمان وآخر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩١.

- النعمان المغربي ، النعمان بن محمد التميمي (ت ٣٦٣هـ) / دعائيم الإسلام ، تحقيق اصف بن علي اصغر فيضي ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٣.

- أبو نعيم الأصبهاني ، احمد بن عبد الله (ت ٤٣٠هـ) / ذكر أخبار اصحابهان ، مطبعة بربيل ، إيران ١٩٣٤ .

- العيساوي، علاء كامل صالح /  
النظم الإدارية والمالية في عهد الإمام  
علي (عليه السلام) ٣٥٠-٤٠٦ هـ - ٦٥٦ .  
، رسالة دكتوراه غير منشورة ،  
جامعة البصرة ٢٠٠٥ . ٦٦٠ م)

- نجمان ياسين / تطور الأوضاع  
الاقتصادية في عهد الرسالة والخلفاء  
الراشدين، الموصل ١٩٨٨ .

- اليوزبكي، توفيق / النظم العربية  
الإسلامية، ط ٣ ، بغداد ١٩٨٨ .



إِنَّ الدِّنَّا قَدْ أَكَبَرَ هُوَ لَذَّتٌ يَوْمَ الْحِجَّةِ  
وَ إِنَّ الْأَخْرَجَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ هُوَ شَرْفٌ يَوْمَ الْأَعْدَى



نهج البلاغة - تحقيق صبحي الصالح ص ٧١

## دلالة التشكیص

### في خطب نهج البلاغة

أ. م. د. أسيل متّعب الجنابي

جامعة واسط / كلية الآداب

الحمد لله الذي جعل القرآن منهاجاً للصالحين، وجعل نبينا  
محمدًا صلّى الله عليه وآلـه وسلـم هادياً للعالمين، وجعل الأئمة  
عليهم السلام سفن النجاة من النار، ومصابيح الهدى والأنوار،  
وأهل البلاغة والأسرار، تميّزوا بالعقل والتفكير، وبالرشاد والتدبر  
تركوا لنا إرثاً عظيماً من أقوالهم وحكمهم وتأثير بلاغتهم  
وفصاحتهم، ومن أبرز ما تركه أمير المؤمنين عليه السلام خطبه  
ورسائله وحكمه، التي جمعها الشريف الرضي في كتاب

(نهج البلاغة)

## المقدمة

الحمد لله الذي جعل القرآن منهاجاً للصالحين، وجعل نبينا محمداً صلّى الله عليه وآله وسلم هادياً للعالمين، وجعل الأئمة عليهم السلام سفن النجاة من النار، ومصابيح الهدى والأنوار، وأهل البلاغة والأسرار، تميّزوا بالعقل والتفكير، وبالرشاد والتدبّر تركوا لنا إرثاً عظيماً من أقوالهم وحكمهم وتأثير بلاغتهم وفضاحتهم.

ومن أبرز ما تركه أمير المؤمنين عليه السلام خطبه ورسائله وحكمه، التي جمعها الشريف الرضي في كتاب (نهج البلاغة)، فكان اسمه خير منبه عن مضمونه، فهو حقاً نهج للبلاغة، وقد اغترف من منهله طلاب العلم، وحاولوا أن يسبروا أغواره ويكتشفوا أسراره كل وفقاً لاتجاهاته واحتصاصه؛ فأحببت أن أكون من هؤلاء فأقف على جانب من جوانب الإبداع الذي تميّز به الفكر

العلوي، فوقع اختياري على (دلالة التشخيص في خطب نهج البلاغة) لسبعين: الأول: لأنّه لم يطرق - حسب علمي - من قبل ولم تكتب فيه دراسات سابقة، والثاني: لأنّي أردت من خلال هذه الدراسة أنْ يطلع القارئ على أحد الأساليب التي استعملها أمير المؤمنين في خطاباته، وهو: أسلوب التشخيص، فيمضي الحياة ملأ حياة فيه فيصفه بصفات بشرية من أجل تحقيق أغراض دلالية؛ وقد اقتضت طبيعة البحث أنْ يقسم على ثلاث فقرات، يسبقها تمهيد تناولت فيه التشخيص لغة واصطلاحاً.

وقد تضمنت الفقرة الأولى الحديث عن التشخيص في الزمن الذي يعبر عنه بالفاظ كالزمان والدهر واليوم؛ وكان الحديث في الفقرة الثانية عن التشخيص في الطبيعة؛ أما الفقرة الثالثة فقد اقتصر الكلام فيها على التشخيص في المعنويات؛

إثبات الذات ، فاستغير لها لفظ  
الشخص<sup>(٢)</sup> .

٢. السير والذهب : الشخص :  
السير من بلد إلى بلد وقد شخصَ  
يشخصُ سُخُوصاً ، أي : ذهب<sup>(٣)</sup> .

٤. الورم : شخص بالشيءِ  
يشخصُ سُخُوصاً انتبر ، وشخصَ  
الجُرُحُ : ورم<sup>(٤)</sup> .

٥. الارتفاع والعلو : شخص يبصره  
إلى السماء : ارتفع ، وشخص بالفتح  
سُخُوصاً ، أي : ارتفع ، وشخصت  
الكلمةُ في الفم ، إذا لم يقدر على خفض  
صوته بها ، والشخصُ : ضد الهبوط ،  
وشخصَ السهم يشخصُ سُخُوصاً ، فهو  
شخصٌ : علا الهدف<sup>(٥)</sup> .

٦. السيادة والعظم : الشخص :  
العظيم الشخص ، بين الشخصية ،  
وقيل : شخصٌ : إذا كان سيداً ذا  
شخص وخلق عظيم ، وأشخصت هذا  
على هذا إذا أعلىته عليه<sup>(٦)</sup> .

وختمت البحث بأهم ما تفرد به أمير  
المؤمنين في استعماله لأسلوب التشخيص .  
وختاماً أرجو أن أكون قد قدمت دراسة  
مفيدة في مكتبة نهج البلاغة فإن كان قد  
حصل ما تمنيت فيها ونعمت ، وإن لم يكن  
فحسبى أنني حاولت جاهدة أن أنفعَ  
القارئ ؛ والله ولي التوفيق .

### **التمهيد**

## **التشخيص لغة واصطلاحاً**

### **التشخيص لغةً**

إن المتبوع لعادة (شخص) يجد أنَّ  
اللغويين ذكروا فيها معاني عدة أهمها :  
١. سواد الإنسان وجسمانه :  
الشخصُ سواد الإنسان إذا رأيته من  
بعيد ، وكل شيء رأيت جسمانه فقد  
رأيت شخصه ، وجمعه : الشخصُ  
والأشخاص<sup>(١)</sup> .

٢. إثبات الذات للجسم : الشخص :  
كل جسم له ارتفاع وظهور ، والمراد به

وراءَهَا، فَالْبَصِيرُ مِنْهَا شَاخِصٌ،  
وَالْأَعْمَى إِلَيْهَا شَاخِصٌ»<sup>(٩)</sup>.

فالشخص الأول: الراحل، والشخص الثاني: من شخص بصره بالفتح إذا فتح عينه، نحو: الشيء مقابلًا له، وجعل لا يطرف<sup>(١٠)</sup>.

### التشخيص اصطلاحاً

فلم يتعد عن المعنى اللغويّ، بل مأخوذ منه؛ لأنّ التعريفات جمِيعاً تشتراك بأمر معين، وهو إبراز صورة الإنسان أو جسمه، فالشخص عند التهانوي هو (الفرد المشخص المعين، والشخصية هي القضية المخصوصة) والتشخيص هو التعيين، وهو يطلق بالاشتراك على معنيين: الأول: كون الشيء بحيث يمتنع فرض اشتراكه بين كثيرين، وحاصله امتناع الاشتراك بين كثيرين)<sup>(١١)</sup>.

وقد تكون صورة الكائن الحي في جماد، أو مجرداً من الحياة، جاء في المعجم الأدبي أن التشخيص (إس ragazzi الحياة

والملحوظ اللافت أنَّ هذه الدلالات لا تخرج عن شيئاً:

أولهما: الدلالة على جسم الإنسان المتصف بالارتفاع والظهور.  
والثاني : الدلالة على بروز الشيء وظهوره حتى يكون واضحاً مشاهداً للعيان، أو يحسّه الإنسان بإذنه.

نحو: ورم الجرح، ارتفاع البصر، ارتفاع الصوت، السهم العالي الهدف وقد استعمل الإمام علي عليه السلام عدداً من الألفاظ المشتقة من هذه المادة، ولم تخرج هذه الألفاظ عن إحدى الدلالات اللغوية المذكورة، ففي قوله: «أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحذركم الدنيا، فإنها دار شحوص»<sup>(٧)</sup>.  
ودار شحوص هي دار رحلة شخص عن البلد: رحل عنه<sup>(٨)</sup>.

وكذلك في قوله: «وإنما الدنيا متنه بصر الأعمى، لا يُبصِرُ ممّا وراءَها شيئاً، وبالبصير ينفذُها بصره، ويعلمُ أن الدار

التخخيص في خلع الحياة على المحسوسات الجامدة والظواهر الطبيعية الصامتة، حتى انّها لتخاطب مخاطبة الذي يعقل ويفهم، وتخلع عليها صفات المخلوقات النابضة بالحياة) <sup>(١٥)</sup>.

### التخخيص في الزمان

الزمان: هو المقياس الذي ابتدعه الإنسان في تصور كمي، وهندسي، ينظم به حياته. والملاحظ أنّ من خصائص هذا الزمان الكمي، أو الموضوعي أنّه من نتاج ظواهر الطبيعة، فهو ليس نابعاً من خبرات ذاتية للإنسان؛ إذ إنّ مفهوم الزمان عنده يرجع في المقام الأول إلى إدراكه للظواهر الطبيعية التي تكرر نفسها في دورات زمانية <sup>(١٦)</sup>.

ولا شكّ في أنّ العرب كانوا أكثر الأقوام عناء بالزمان، وتقبلاته، وأحواله، وما تجري فيه من أحداث. قال المرزوقي: (اعلم أنّ العرب أحفظ الأمم لما أدت إليه تجاربهم من

الإنسانية على ما لا حياة له كالأشياء الجامدة والكائنات المادية غير الحية) <sup>(١٧)</sup>. و قريب من هذا ما ذهب إليه سيد قطب، إذ يرى أنّ التخخيص (طريقة من طرق التصوير، تردّ الصورة حية، وتنج الجوامد والخواطر شخصية آدمية أوقع في الحسّ، وأجمل في النفس) <sup>(١٨)</sup>.

وكذلك يتمثل التخخيص في (خلع الحياة على المواد الجامدة والظواهر الطبيعية والانفعالات الوجدانية، هذه الحياة التي قد ترتفقى فتصبح حياة إنسانية، تشمل المواد والظواهر والانفعالات، وتهب لهذه الأشياء كلها عواصف آدمية، وخلجات إنسانية، تشارك بها الآدميين وتأخذ منهم وتعطى) <sup>(١٩)</sup>.

فالشخصية الآدمية كانت حاضرة في كل التعريفات سواء أكانت في الأمور الحسية أم المعنوية، وقد تكون بالظواهر الطبيعية الصامتة كما ذهب إلى ذلك الدكتور كاصد الريدي، إذ قال: (ويتمثل

طال عليه الزمان، وأزمن بالمكان، أي :  
أقام به وقتاً<sup>(١٩)</sup>.

ومن المافت أنَّ هذا اللفظ قد يخرج عن أصل استعماله، وهو الدلالة على الوقت إلى تصويره على هيئة رجل يُوجَد ويُخْرِجُ . وذلك في قول الإمام علي عليه السلام : «ولقد شَهَدْنَا في عسْكُرَنَا هَذَا قَوْمٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ، سَيْرَعْفُ بِهِمُ الْزَّمَانُ، وَيَقُولُ بِهِمُ الْإِيمَانُ»<sup>(٢٠)</sup>.

فقوله : يرَعِفُ بِهِمُ الْزَّمَانُ ، المراد به : يوجدهم ويخرجهم ، كما يرَعِفُ الإنسان بالدم الذي يخرجه من أنفه ، قال الشاعر :

وَمَا رَعَفَ الزَّمَانُ بِمُثْلِ  
وَلَا تَلَدُ النِّسَاءُ لَهُ ضَرِيبًا<sup>(٢١)</sup>

فقد شبَّ الإمام الزمان بالإنسان ، ونسب وجودهم إلى الزمان لأنَّه من الأسباب المعدَّة لقوابـل وجودهم<sup>(٢٢)</sup> ، وقد أراد الإمام بهذا التشخيص أنْ يبيـن

أحوال الزمان وتعاقب الشهور والأيام واختلاف الفصول والأيام ، وبما يتجدد فيها من الأحداث ، فهم على اختلاف ديارهم ، وتبادر أوطانهم ، وتفاوت هممهم ، يراعون من هبوب الرياح ، وطلع الكواكب ، وتبدل الأوقات ، ما لا يراعيه غيرهم من سكان المدر والوبر ، وقطان البدو . وليس ذلك مستحدثاً فيهم وإنما هو عادة منهم يتوارثونه الخلف عن السلف ، والغابر عن الماضي ومقاييس طول الدرية ودوام التفقد<sup>(١٧)</sup>.

وقد ترتب على اهتمام العرب بالزمان أنْ يربطوه بالأحداث والواقع الاجتماعيـة التي يمارسونها في كل وقت من الأوقات ، وقد تصورـ العـربـ الزـمانـ من خلال تجاربـهمـ وـمعـتقدـاتـهمـ ، وـعـبرـواـ عنهـ بـعـدـ منـ الأـلـفـاظـ الزـمانـيـةـ منهاـ<sup>(١٨)</sup> :

## الزمان

هو لفظ استعمل للقليل من الوقت وكثيرـهـ ، من ذلك قولهـمـ : أزمنـ الشـيءـ

عليهم القرآن<sup>(٢٥)</sup> بقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا  
مَا هِيَ إِلَّا حَيَاشَا الْدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا  
يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ  
عِلْمٍ إِنَّهُمْ إِلَّا يَظْلَمُونَ ﴾<sup>(٢٦)</sup>.

فقد بيّن الزمخشري أنّ كلامهم هذا لم يكن عن علم ويقين، بل كان عن ظن وتخمين، فقد كانوا يزعمون أنّ مرور الأيام والليالي هو المؤثر في هلاك الأنفس، وينكرون ملك الموت وقبضته الأرواح بأمر الله، وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث إلى الدهر والزمان ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : « لا تسُبُوا الدهر ، فإنّ الله هو الدهر »<sup>(٢٧)</sup> ومعنى الحديث : (أنّ الله فاعل ما يضاف إلى الدهر من الخير والشر والمسرة والمساءة ، فإذا سببتم الذي تعتقدون أنه فاعل ذلك فقد سببتموه تعالى عن ذلك)<sup>(٢٨)</sup>.

ولا شك في أنّ الإمام يترفع في خطابه ، فلا يسبّ الدهر ، ولكنّه ينسب

للمخاطب صورة الزمن وهو يخرج هؤلاء القوم خروجاً ميسراً لا مشقة فيه فتؤثر تلك الصورة بالمخاطب لقدرته على تخيلها في ذهنه.

## الدهر

الدهر في الأصل اسم ملدة العالم من مبدأ وجوده إلى انقضائه ، ثم يُعبر به عن كل مدة كبيرة ، ودهرٌ فلان مُدة حياته ، واستعير للعادة الباقية مدة الحياة.

فقيل : ما دهري بكذا ، ويقال : دهرٌ فلان نائبٌ له رأي نزلت به<sup>(٢٩)</sup>.

وقد ذكر ابن الأثير سنن العرب في ذم الدهر ؛ إذ قال : (كان من شأن العرب أن تذم الدهر وتسبّه عند النوازل والحوادث التي تنزل بهم من موت أو هرم فيقولون : أصابتهم قوارع الدهر وحوادثه ، وأبادهم الدهر فيجعلون الدهر الذي يفعل ذلك فيذمونه)<sup>(٣٠)</sup>.

فالعرب قد نسبوا للدهر كل شيء ؛ لأنّه يسيطر على كل شيء ، لذلك رد

قوله : «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنْدَهُ، وَزَمْنٌ شَدِيدٌ، يُعْدُ فِيهِ الْخَيْرَ مُسِيئًا، وَيُزَدَّادُ الظَّالِمُ فِيهِ عَتُواً، لَا نَتَفَعُ بِمَا عَلِمْنَا، وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا جَهَلْنَا، وَلَا نَتَخَوَّفُ قَارِعَةً حَتَّى تَحْلَّ بِنَا»<sup>(٣٣)</sup>.

فوصف الدهر بالعنود وهو الجائر عن الطريق ، والزمن بالشديد وهو البخيل<sup>(٣٤)</sup>.

وذلك تمهيداً لذكر أوصاف مذمومة ، قال البحرياني : (ذم للزمان بوصفه الجور والشدة لـما أعدّ له ما عدد فيه من الأوصاف المعدودة شرّاً بالقياس إلى نظام العالم وبقائه)<sup>(٣٥)</sup>.

ففي التشخيص إظهار وبيان لقوة ارتباط الدهر والزمن بالناس فإذا كانا مذمومين كان الناس كذلك ، فاتصاف الناس بهذه الأوصاف متأتٍ من رضى الدهر عليها ؛ لأنّها قد حدثت فيه ، وفي هذا التعبير دلالة على المبالغة في ذم الدهر والزمن .

إليه المصائب والنوازل على عادة الأولياء الصالحين أنْ لا ينسبوا إلى الله ما يحدث لهم من سوء ، بل ينسبونه إلى الدهر ، ففي قوله : «الْحَمْدُ لِلَّهِ وَإِنْ أَتَى الدَّهْرُ بِالْخَطْبِ الْفَادِحِ، وَالْحَدَثِ الْجَلِيلِ»<sup>(٢٩)</sup>.

صور الإمام الدهر فأضفى له الحياة والحركة ، فشخصه بصورة إنسان يحمل على كاهله الخطب الفادح - والخطب هو (الأمر العظيم الذي يكثّر فيه التخاطب)<sup>(٣٠)</sup> ، والفادح هو الثقيل<sup>(٣١)</sup> - وقد أقبل عليه ومع هذا فهو لا يبالي بهذا الإتيان ؛ لأنّه قد وكل أمره إلى الله ، ومن يوكل أمره إلى الله فيجب أنْ يحمده في كل حال ، قال البحرياني : (قد عرفت نسبة الخير والشر إلى الدهر على أي وجه هي ، ومراده أَحَمَّ اللَّهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ مِّنِ السَّرَّاءِ وَالضَّرَاءِ)<sup>(٣٢)</sup>.

وقد يجمع الإمام علي عليه السلام الدهر والزمن في تركيب واحد ويصفهما بأوصاف خاصة بالإنسان وذلك في

وكذلك استعار لفظ الجراح لنوائب الدهر لاشتراكهما في الإيلام، واستعار له لفظ الأكل والشارب عديي الشعب، ووجه المشابهة لكونه يأتي على الخلق فيفنيهم كما يأتي الأكل والشارب المذكوران على الطعام والشراب فيفنياهما<sup>(٣٧)</sup>.

## اليوم

لم يقتصر هذا اللفظ كغيره من ألفاظ الزمان على مفهوم الوقت المحدد أو غير المحدد من الزمان، ولكنّه ارتبط بالشدة والهلاك، يشير المعجم إلى أنّهم قالوا: يوم ذو أيام، ويوم ذو أيام لطول شره على أهله، وقالوا يوم لنا ويوم علينا أي يوم يسرّنا ويوم يحزننا واليوم يومك، يريدون التشنيع، ولكل قوم يوم، أي عقاب وجزاء وقالوا في الدعاء: لا أراني الله يومك، أي: يوم موتك<sup>(٣٨)</sup>.

وارتباط الأيام بالحزن كان حاضراً في ذهن الإمام علي عليه السلام حينما قال: «إنّما الأيام بينكم وبينهم بواء

وقد يُظهر الإمام عليه السلام الدهر بمظهر العدو الشرس وذلك في قوله: «ثم إنَّ الدنيا دارٌ فناءٌ وعناءٌ، وغيرٌ وعبرٌ، فمن الفناء أنَّ الدهر موته قوسه، لا تُخطئُ سهامه، ولا تؤسى جراحه، يرمي الحيَّ بالموت، والصحيح بالسقم، والناجي بالعطَّب، آكلٌ لا يشبعُ وشاربٌ لا ينقعُ»<sup>(٣٩)</sup>.

إذ رسم لنا الإمام صورة حسية ل العدو وترقوسه ووجه سهامه للإنسان، وهذه السهام لا تُخطئ أحداً، فهي دقيقة في إصابة الهدف يرمي الحيَّ بالموت، والصحيح بالسقم، والناجي بالعطَّب، وهو آكل لا يشبع، وشارب لا ينقع، وقد وجه البحرياني هذه الصورة توجيهًا بلاغيًّا، فقد استعار الإمام لفظ الإيتاء لإيتاء الدهر، ورشح بذكر القوس.

ووجه الاستعارة أنَّ الدهر يرمي بمحاصيه المستندة إلى القضاء الإلهي الذي لا يتغيّر كما يرمي الرامي الذي لا يُخطئ.

أبحث عن كيفية قتلي ، وأي وقت يكون  
بعينه ، وفي أي أرض يكون ، يوماً يوماً ،  
إذا لم أجده في اليوم أطربته واستقبلت  
غده ، فأبحث فيه أيضاً فلا أعلم فأبعده  
وأطربه ، وأستأنف يوماً آخر ، هكذا  
حتى وقع المقدور<sup>(٤٣)</sup> .

ولاشك في أن إظهار المعنى عن  
طريق التشخيص أبلغ وأدل على إيصال  
ما يريد الإمام للمخاطب ، لما فيه من  
إضافء الحياة والحركة لتلك الأيام التي  
يطاردتها واحدة تلو الأخرى ، ليعلم بتلك  
المطاردة كيف يقع قتلها ، ولو قال عليه  
السلام ما زلت أبحث عن قاتلي وغيرها  
من الأساليب لما أثرت في نفس المخاطب  
ذلك التأثير الذي يحدّثه التشخيص.

### التشخيص في الطبيعة

الطبيعة بفهمها العام الشامل  
تنقسم إلى عناصر وظواهر ، فالعناصر  
تشمل هذا الكون المحسوس من شمس  
وسماء وجبار ونحوها ، والظواهر هي ما

ونوائح عليكم<sup>(٣٩)</sup> ؛ إذ جعل الأيام  
تبكي وتتوح كأنّها امرأة (تشيع رائحاً إلى  
المقابر وتبكي وتتوح على الباقيين الذين  
سيلحقون به عن قريب)<sup>(٤٠)</sup> .

غير أن هذه المرأة ليست غريبة عن  
هؤلاء ؛ لأنّها لو كانت كذلك لما بكت  
ولا ناحت ، فكأنّها أم فارقت  
أولادها ، وهذا ما تنبه إليه البحرياني  
بقوله : ( واستعار لفظ البوادي  
والنوائح لأيام الحياة ملاحظة لشبهها  
في مفارقتهم لها بالأمهات التي فارقت  
أولادها بالموت)<sup>(٤١)</sup> .

وقد يصور الإمام الأيام على هيئة  
أشخاص مطاردين وذلك في قوله : « كم  
أطربت الأيام أبحثُها عن مكنونِ هذا  
الأمر ، فأبى اللهُ إلَّا إخفاءه ، هيئاتٌ علمُ  
مخزونٍ »<sup>(٤٢)</sup> . فقد استعمل أطربت ؛ لأنّها  
أدلة على العز والقهر من طردت ، فكأنّه  
عليه السلام جعل الأيام أشخاصاً يأمر  
بإخراجهم وإبعادهم عنه أي ما زلت

## ١. الدلالة على اثبات الخالق وعظمته

اقتفى الإمام عليه السلام أثر القرآن وسار على منهجه في استنطاق الطبيعة، واتخاذها كشاهد حي دال على قدرة الله تعالى وعظمته في خطبه، وذلك؛ لأنّ (الطبيعة شاهدة بعظمّة الله خالقها وقدرتها، ولكن الإنسان قد ينسيه ذلك طول التكرار وتغفله الألفة عن استشعاره، والقرآن يجدد هذه الحقيقة في النفس الإنسانية، ويردها حية ناطقة، تحرك الأحاسيس و تستجيش الوجدانات، وتبعث على التأمل من جديد في ما خلق الله في الطبيعة، من آيات دلالت على عظمته وقدرتها سبحانه) <sup>(٤٥)</sup>.

ومن ذلك قوله: «لم يطلع العقول على تحديد صفتة، ولم يحجبها عن واجب معرفته، فهو الذي تشهد له أعلام الوجود، على إقرار قلب ذي

يرتبط بذلك العناصر ارتباطاً سببياً: كالليل والنهار، فإنّهما متسببان عن حركة الشمس ودوران الأرض حولها، وغيرها من الظواهر.

و ثمة تقسيم آخر للطبيعة بعناصرها وظواهرها، يجعلها قسمين رئيسين، وهما: (الطبيعة الحية)، و(الطبيعة الصامتة) فالأخلي: ما اشتغلت عليه من مختلف الحيوان والطير، ولا يدخل في ذلك الإنسان.

والثانية: عناصرها وظواهرها المتعددة، من أرض، وسماء، وبحار، وأنهار وينابيع، وجنات، ورعد، وبرق ونحوها <sup>(٤٤)</sup>.

وقد اتّخذ الإمام عليه السلام من الطبيعة وسيلة لتحقيق مقاصد دلالات معينة، فيبثّ الحياة في عدد من عناصرها ليتيقظ المخاطب، وينظر إلى هذه الطبيعة على أنها كائن حي فيه حياة وروح، ومن أهم هذه الدلالات:

جحده بان جحده له ، إنما هو رأي اتبع فيه وهمه مع إقرار قلبه بالتصديق به وشهادة آيات الصنع وشواهد الآثار على صحة ذلك الإقرار<sup>(٤٩)</sup>.

ومثله قوله عليه السلام : «الذى ابتدعَ الخلقَ على غير مثالِ امثُلَهُ ولا مِقدارٌ احتدَى عليه من خالقٍ مُعْبودٍ كَانَ قَبْلَهُ، وأرَانَا مِنْ ملَكُوتِ قدرتِهِ، وعجائبٍ ما نطقَتْ به آثارُ حكمتِهِ»<sup>(٥٠)</sup>.

إذْ جعل الإمام عليه السلام لآثار الحكمة لساناً ناطقاً وهي ما صدر عنها من الأفعال والأحكام وانتقاد كل ناقص إلى كماله ؛ لأنها مفصحة عن كمال الحكمة المعجبة بتمام النظم وحسن الترتيب ، وإنما جاز ذلك لما اشتراك فيه النطق وحال مصنوعاته من ذلك الإفصاح والبيان<sup>(٥١)</sup>.

ونظير ذلك قوله : «وانقادتْ له الدّنيا والآخرة بأزمنتها ، وقدفتُ إليه السمواتُ والأرضُون مقاليدَها ، وسجدَتْ له

الجُحُود ، تعالى الله عما يقوله المشبهونَ به والجادون له علواً كبيراً!»<sup>(٤٦)</sup>.

فقوله : «تشهد له أعلام الوجود» تشخيص ظاهر لأعلام الوجود فالاعلام (جمع علم وهو المنار يهتدي به ، ثم جعل لكل ما دل على شيء)<sup>(٤٧)</sup>.

وعلى هذا تكون الإعلام دالة على وجود الخالق البارئ عن طريق شهادتها ، والشهادة هي الحضور مع المشاهدة إما بالبصر وإما بال بصيرة ، لكن الشهود بالحضور المجرد أولى والشهادة مع المشاهدة أولى<sup>(٤٨)</sup>.

ولا شك في أنَّ هذا لا يكون إلَى للعقل المميز فإذا صدرت الشهادة من أعلام الوجود أي : (الأدلة الموجدة) في هذا الكون الفسيح فإنَّها ستكون حجة على قلب الجاحد المنكر ؛ لأنَّها ستنطق بالاعتبار وإنْ لم يكن لها لسان تنطق بها ، قال البحرياني : ( فهو الذي تشهد له أعلام الوجود على إقرار قلب كل من

ولا لخِيرٍ تَرْجُوْنَهُ مِنْكُمْ، وَلَكُنْ أَمْرًا  
بِمَنَافِعِكُمْ فَأَطْاعَتَا وَأَقْيَمَتَا عَلَى حَدُودِ  
مَصَالِحِكُمْ فَقَامَتَا<sup>(٥٥)</sup>.

فَقَدْ رَسِّمَ لَنَا صُورَةً فَنِيَّةً لِلأَرْضِ  
وَالسَّمَاءِ وَكَانَهَا كَائِنَاتٌ حَيَّةٌ مُتَصَفَّةٌ بِصَفَاتٍ  
لَا تَكُونُ إِلَّا مَنْ يَعْقُلُ فَالْأَرْضُ بِمَثَابَةِ الْأَمِّ  
لِلنَّبَاتِ وَالْزَرْعِ، وَالسَّمَاءُ بِمَثَابَةِ الْأَبِّ،  
وَكَلَّاهُمَا فِي حَالَةٍ طَاعَةٌ دَائِمَةٌ لِرَبِّيهِمَا، وَمَا  
تَقْوِيمَانِ بِهِ مِنْ مَنَافِعٍ لَيْسَ الْغَرْضُ مِنْهَا  
التَّوْجِعُ لِلنَّاسِ، أَوِ التَّقْرِبُ إِلَيْهِمْ، أَوِ  
الرَّحْمَةُ بِهِمْ، أَوْ لَخِيرٍ تَرْجُوْنَهُ بِلِلْمَرَادِ هُوَ  
الْإِقْرَارُ فِي النُّفُوسِ عَظَمَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَأَنَّ  
الْأَرْزَاقَ وَأَسْبَابَهَا مَنْسُوبَةٌ إِلَيْهِ<sup>(٥٦)</sup>.

فَالسَّمَاءُ وَالْأَرْضُ جَمَادَاتٌ (وَالْجَمَادُ  
لَا يُؤْمِرُ، وَالْمَعْنَى أَنَّ الْكُلُّ مَسْخَرٌ تَحْتَ  
الْقُدْرَةِ الإِلَهِيَّةِ)<sup>(٥٧)</sup>؛ وَقَدْ تَنبَّهَ الْجَاحِظُ إِلَى  
الدَّلَالَةِ الَّتِي تَنْطِقُ بِهَا السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ  
وَالْأَشْجَارُ عِنْدَ حَدِيثِهِ عَنِ النَّصْبَةِ فَهُوَ  
(الْحَالُ النَّاطِقَةُ بِغَيْرِ اللفْظِ)، وَالْمُشِيرَةُ بِغَيْرِ  
الْيَدِ، وَذَلِكَ ظَاهِرٌ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ

بِالْغُدُوِّ وَالْأَصَالِ الْأَشْجَارُ النَّاضِرَةُ،  
وَقَدْ حَدَّتْ لَهُ مِنْ قَضْبَانِهَا النَّيْرَانُ الْمُضِيَّةُ  
وَأَتَتْ أَكْلَاهَا بِكَلْمَاتِ الشَّمَارِ الْيَانِعَةِ<sup>(٥٨)</sup>.

فَفِي قَوْلِهِ: «سَجَدَ لَهُ بِالْغُدُوِّ  
وَالْأَصَالِ الْأَشْجَارِ النَّاضِرَةِ» نَسَبَ  
السَّجُودُ لِلْأَشْجَارِ وَجَعَلَهَا كَائِنَةً حَيَّةً تَحْسَّ  
وَتَعْيَ وَتَؤْمِنُ بِخَالِقَهَا فَهُوَ تَتَصَرَّفُ  
(حَسْبُ إِرَادَتِهِ وَكَوْنُهَا مَسْخَرَةً لِهِ مُحَكُومًاً  
عَلَيْهَا بِنَفْوِ ذَرْتَهُ فِيهَا، فَجَعَلَ عَلَيْهِ  
السَّلَامُ ذَلِكَ خَضْوَعًا مِنْهَا لِمُشَيْئَتِهِ وَاسْتَعْتَارَ  
لَهَا مَا هُوَ أَدْلُّ عَلَى خَضْوَعِ الْإِنْسَانِ مِنْ  
جَمْعِ أَفْعَالِهِ وَهُوَ السَّاجِدُ<sup>(٥٩)</sup>.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: «وَأَتَتْ أَكْلَاهَا بِكَلْمَاتِهِ  
الشَّمَارِ الْيَانِعَةِ» فَالشَّمَارُ لَا تَأْتِي، وَإِنَّمَا  
الْمَرَادُ بِالْإِتِيَانِ دُخُولَهَا طَوعًا فِي  
الْوُجُودِ<sup>(٥٤)</sup>، وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا قَوْلُهُ عَلَيْهِ  
السَّلَامُ: «أَلَا وَإِنَّ الْأَرْضَ الَّتِي  
تَحْمِلُكُمْ، وَالسَّمَاءَ الَّتِي تُظْلِكُمْ مَطْيَعَتَانِ  
لِرَبِّكُمْ، وَمَا أَصْبَحَتْ تَجْوِيدَنَ لَكُمْ  
بِبِرِّكِتِهِمَا تَوَجَّعَا لَكُمْ، وَلَا زُلْفَةً إِلَيْكُمْ،

فلو طُلب النطق من عرصات الديار  
الخاوية لقالت بلسان حالها ذهبا في  
الأرض هالكين، وذهبتم بعدهم  
جاهلين بأحوالهم<sup>(٦٠)</sup>.

### ٣. الدلالة على الالتباس وعدم تمييز الحق

قد يستعين الإمام عليه السلام  
بالتخسيص في عرض الأمور المختلطة  
غير الواضحة لكي يتخيّلها المخاطب،  
كأنّها إنسان غير أنَّ هذا الإنسان أعمى لا  
يهتدي لمطالبته، هذا غاية في دقة  
الوصف، قال عليه السلام : «أَمَا وَاللهُ  
لَقَدْ تَقْمِصَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ  
أَنَّ مَحْلَّيْهَا مَحْلُّ الْقُطُبِ مِنَ الرَّحَاءِ  
يَنْحِدِرُ عَنِ السَّيْلِ، وَلَا يَرْقِي إِلَى الطَّيْرِ،  
فَسَدَّلَتُ دُونَهَا ثُوبًا، وَطَوَيْتُ عَنْهَا  
كَشْحَاءً، وَطَفَقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدِ  
حَذَاءَ، أَوْ أَصْبَرَ عَلَى طَخِيَّةِ عَمِيَّاءَ، يَهْرُمُ  
فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ،  
وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رِبِّهِ»<sup>(٦١)</sup>.

والأرض، وفي كل صامت وناطق  
وجامد ونام، ومقيم وظاعن وزائد  
وناقص فالدلالة في الموات الجامد،  
كالدلالة في الحيوان الناطق، فالصامت  
ناطق من جهة الدلالة، والعمماء معربة  
من جهة البرهان.

ولذلك قال الأول : سل الأرض،  
فقل : من شق أنهارك وغرس أشجارك،  
وجنى ثارك، فإن لم تجبك حواراً  
أجابتكم اعتباراً<sup>(٥٨)</sup>.

### ٤. الدلالة على الاعتبار والاتعاظ

أجاز الإمام عليه السلام استنطاق  
عرصات الديار وبعث الحياة فيها  
وكأنها كائن حي يتكلم ويتحدث عن  
أحوال من ذهبوا في الأرض، وذلك  
عبرة للناس وموعظة لهم، وذلك في  
قوله : «ولو استنطقوا عنهم عرصاتِ  
تلك الديار الخاويةِ والربُوعِ الحاليةِ  
لقالت : ذهُبُوا في الأرض ضُلَالاً،  
وذهبتم في أعقابهم جُهَالاً»<sup>(٥٩)</sup>.

تصورنا الإنسان إِلَّا أَنْ ترسم منه صورة في العقل بها يمتاز عن غيره عند العقل كما ثبتت صورة الشيء في المرأة، إِلَّا أَنَّ المرأة لا يثبت فيها إِلَّا مثل المحسوسات<sup>(٦٤)</sup>.

وعلى هذا المعنى الجرد أحياناً لا يبلغ المخاطب، ولا يفهمه إِلَّا إذا تمثل بصورة حسية شاذة، وهذا ما يفسّر لنا اتخاذ القرآن التصوير كأدلة، إِذْ (يعبر بالصورة الحسنة المتخيلة عن المعنى الذهني والظاهرة النفسية، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية، كما يعبر بها عن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، ثم يرتقي بالصورة التي رسمها في منحها الحياة الشاذة أو الحركة المتتجدة، فإذا المعنى الذهني هيئه أو حرّكة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي)<sup>(٦٥)</sup>.

وهذا ما نلمسه أيضاً في خطابات أمير المؤمنين عليه السلام فنراه يبيّن الحياة والحركة في المعاني ف تكون كائناً حياً ماثلاً

فقوله : «أَصْبَرْ عَلَى طُخْيَةِ عَمِيَاء» الطخية : قطعة من الغيم والسحب وصفتها بالعمياء تأكيداً لظلم الحال واسوداده<sup>(٦٦)</sup>.

وهذا تصوير بلغ للتباس الأمور واختلاطها، فكأنّها إنسان أعمى لا يهتدى للأمور، فهو يعيش في ظلام، وخير من عبر عن هذا المعنى البحرياني، إذ ذكر أنّ الظلمة كما لا يهتدى فيها للمطلوب كذلك اختلاط الأمور في هذه الخطبة لا يهتدى معها لتمييز الحق وكيفية السلوك إلى الله، إذ وصف الطخية بالأعمى على وجه الاستعارة فإنّ الأعمى لما لم يكن ليهتدى لطالبه كذلك هذه الظلمة لا يهتدى فيها للحق ولزومه<sup>(٦٧)</sup>.

### التشخيص في المعنويات

ثمة علاقة بين الصور الذهنية وهي المعاني، والأمور الخارجية، أو ما في الأعيان، وإنّ هذه العلاقة بين المعنى والأشياء الخارجية تشبه أحياناً بالعلاقة بين الشيء وصورته في المرأة، فليس معنى

هذه الحياة التي نحيها قبل الموت. أما تعبير (الحياة الدنيا) فيرد عندما يريد الله عز وجل أن يصور استغراق الإنسان في هذه الحياة، وعدم اهتمامه بما بعدها، واعتباره بأهواءها وشهواتها، كأنما يريد الله عز وجل أن يقول أن هذا الإنسان يظن أن هذه هي الحياة، ولكنه لا يعلم أنها الحياة الدنيا، لا الحياة العليا، ولا الحياة الفضلى السامية<sup>(٦٧)</sup>.

وهذا المعنى وقف عنده أمير المؤمنين عليه السلام وشخصه على هيئة إنسان، فالدنيا بمثابة شخص يودعه؛ لأنها لا بقاء لها والآخرة بمثابة شخص يستقبله ويشرف بالاطلاع وذلك قوله: «أَمَّا بَعْدُ فِيَنَ الدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرْتُ وَآذَنْتُ بُوْدَاعَ، وَأَنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَأَشْرَفْتُ بِالْأَطْلَاعِ»<sup>(٦٨)</sup>.

فقد بين لنا الإمام علاقـة الإنسان بالدنيـا وارتبـاطـه بها وكـأنـها صـديـقـ أـعرضـ عنـه وأـعلـمه بـوـداعـه (فـانـ التـقضـيـ

أمامـنا فيـصـفـها بـصـفـاتـ منـ يـعـقـلـ لـتـقـرـبـ منـ أـذـهـانـ المـخـاطـبـينـ فـضـلـاًـ عـنـ اـبـلـاغـ المـخـاطـبـ دـلـالـةـ مـعـيـنـةـ يـنـبـغـيـ الـوقـوفـ عـنـدـهـاـ،ـ وـمـنـ أـهـمـ تـلـكـ الدـلـالـاتـ:

### ١. تعظيم الآخرة وتحقير الدنيا

الآخرة اسم يجمع كل ما يكون بعد هذه الحياة الدنيا، وهي تبدأ منذ قيام الساعة، وتستمر في خلود لا يعلم مداره إلى الله، وقد جاءت وصفاً لكلمة الدار في آيات قرآنية بينما لم يرد تعبير (الدار الدنيا) في القرآن أبداً، ومرد ذلك أن الدار تعني الاستقرار والدوم والآخرة دار الدوم والاستقرار والخلود، والدنيا ليست كذلك<sup>(٦٩)</sup>.

أما الدنيا حينما ترد وحدها في القرآن فإنها تقابل (الآخرة) وتـردـعـنـدـهاـ يـكـونـ الحديث عن الدنيا فقط، ولا يـعـتـرـضـ السـيـاقـ الـقـرـآنـيـ لـعـمـلـ الإـنـسـانـ وـصـفـاتـهـ وـآـشـارـهـ وـنـتـاجـهـ،ـ وـهـذـاـ يـدـلـ عـلـىـ أـنـ (الـدـنـيـاـ)ـ بـهـذـاـ الـاسـتـعـمـالـ هـيـ عـلـمـ عـلـىـ

وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ، وَلِكُلِّ مِنْهَا بُنُونٌ  
فَكُوِّنُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ وَلَا تَكُونُوا مِنْ  
أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ كُلَّاً وَلِدٍ سَيُّلْحَقُ بِامْهِ  
يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٧١)</sup>.

فكلام الإمام في هذه الخطبة شبيه بما قبلها إلّا أنَّ الدنيا والآخرة كانتا أكثر تشخيصاً فهما بمثابة الأب، وهذا متأتٍ من شدة تعلق الإنسان وميله إلى مراده سواء كان من أبناء الدنيا أم الآخرة، قال البحرياني : (إِنَّ الابنَ لِمَا  
كانَ مِنْ شَأْنِهِ الْمِيلُ إِلَى وَالدَّهِ أَمَا مِيلًا  
طَبِيعيًّا ، أَوْ بحسبِ تصورِ المُنْفَعَةِ مِنْهُ ،  
وَكَانَ الْخَلْقُ مِنْهُمْ مَنْ يَرِيدُ الدُّنْيَا ،  
وَمِنْهُمْ مَنْ يَرِيدُ الْآخِرَةَ ، وَمِيلُ كُلِّ  
مِنْهُمَا إِلَى مِرَادِهِ مَعَ مَا يَحْصُلُ مِنْ طَرْفِ  
الْدُّنْيَا لِلرَّاغِبِينَ فِيهَا مَا يَتَوَهَّمُونَهُ لِذَهَّا  
وَخَيْرًا ، وَمَا يَحْصُلُ مِنْ طَرْفِ الْآخِرَةِ  
لِلرَّاغِبِينَ فِيهَا مِنَ اللَّذَّةِ وَالسَّعَادَةِ أَشَبَهُ  
كُلَّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا رَغَبَ فِيهِ وَاسْتَفَادَ  
مِنْهُ خَيْرُ الْابْنِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الأَبِ) <sup>(٧٢)</sup>.

لِمَا اسْتَلَزَمَ الْمُفارِقَةَ وَكَانَتْ مُفارِقَةُ الدُّنْيَا  
مُسْتَلَزَمَةً لِأَسْفِ الْإِنْسَانِ عَلَيْهَا وَوَجْدَهُ  
لِهَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مَا يَفْعَلُهُ الْإِنْسَانُ فِي حَقِّ  
صَدِيقِهِ الْمُرْتَحِلِ عَنْهُ فِي وَدَاعِهِ لِهِ مِنْ  
الْآسَفِ عَلَى فَرَاقِهِ وَالْحَزَنِ وَالْبَكَاءِ  
وَنَحْوِهِ ، فَاسْتَعِيرُ اسْمَ الْوَدَاعِ لَهُ ، وَكَنْتِي  
بِاعْلَامِهَا بِذَلِكَ عَنِ الشَّعُورِ الْحاَصِلِ  
بِمُفارِقَتِهَا مِنْ تَقْضِيَّهَا شَيْئًا فَشَيْئًا ، أَوْ هُوَ  
اعْلَامُ بِلِسَانِ الْحَالِ) <sup>(٦٩)</sup>.

أَمَّا الْآخِرَةُ فَهِيَ بِمَثَابَةِ شَخْصٍ مُقْبَلٍ  
يُنْبَغِي الْاسْتَعْدَادُ لَهُ ، وَهُوَ رَفِيعُ الْمُنْزَلَةِ ،  
إِذْ نَزَّلَهَا الْإِمَامُ (لِشَرْفِهَا عَلَى الدُّنْيَا فِي  
حَالٍ إِقْبَالِهِ مِنْزَلَةً عَالَ عَنْدَ سَافَلِ ،  
فَاسْنَدَ إِلَيْهَا لِفَظِ الْإِشْرَافِ ، وَلِأَجْلِ  
إِحْصَاءِ الْأَعْمَالِ الدُّنْيَوِيَّةِ فِيهَا مِنْزَلَةُ عَالَمٍ  
مَطْلَعٍ ، فَأَطْلَقَ عَلَيْهَا لِفَظِ الْإِطْلَاعِ) <sup>(٧٠)</sup>.  
وَتَأكِيدًا عَلَى تَعْظِيمِ الْآخِرَةِ وَتَصْغِيرِ  
شَانِ الدُّنْيَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : «أَلَا وَإِنَّ  
الْدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَذَاءَ ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا  
صُبَابَةٌ كَصَبَابَةِ الْإِنْاءِ ، اصْطَبَبَهَا صَابُهَا. إِلَّا

لخداع الرجال عن أنفسهم وأموالهم  
تارة أخرى.

فمن ذلك قوله عليه السلام : «أَمَا  
بَعْدُ، إِنِّي أَحذِرُكُمُ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا حُلُوَّةٌ  
خَضِرَةٌ، حُقُّتْ بِالشَّهْوَاتِ وَتَحْبَيْتْ  
بِالْعَاجِلَةِ، وَرَاقَتْ بِالقليلِ، وَتَحَلَّتْ  
بِالآمَالِ وَتَزَينَتْ بِالغُرُورِ... لَا يَنالُ امْرُؤٌ  
مِّنْ غُضَارَتِهِ رَغْبَةً إِلَّا أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوَائِبِهَا  
تَعْبًاً، وَلَا يُمْسِي مِنْهَا فِي جَنَاحِ أَمِّ إِلَّا  
أَصْبَحَ عَلَى قَوَادِمِ خَوْفٍ»<sup>(٧٤)</sup>.

فقوله : (تحبب بالعاجلة) أي :  
اللذات الحاضرة التي مالت القلوب إلى  
الحياة الدنيا بسببيها فأشبهت المرأة المحببة  
بمالها وجمالها وقوله : (لا ينال امرؤ من  
غضارتها رغبًا إلّا أرهقته من نوائبها تعباً)  
اسند إلى الدنيا أفعال الأحياء ملاحظة  
تشبهها بالمرأة المتزينة لخداع الرجال عن  
أنفسهم وأموالهم<sup>(٧٥)</sup>.

ولأنّ الدنيا موصوفة بهذه الصفات  
المذمومة لطالما يصورها على أنّها عدوّ له ،

ثم يحيث عليه السلام الناس على أن  
يكونوا من أبناء الآخرة تعظيمًا لشأنها ،  
فكُل ولد سُلْحُق بآمه يوم القيمة ، فلهم  
فيها ما تشتهي أنفسهم ولهم ما يدعون ،  
فهم في حضانة أبيهم ونعميه ، وقد زال  
عنهم بؤس الغربة وشقاء اليتم وسوء  
الحسن ، لذا يجب على الإنسان أن يكون  
بارًا بوالده متوصلاً إليه بأقوى الأسباب  
وأمتنتها ، أمّا أبناء الدنيا فلن نفوسم لما  
كانت مستغرقة في محبتها وناسيّة لطرف  
الآخرة فلتتعلقها بمحبة الدنيا بمنزلة ولد لا  
تعلق له ولا مسكة إلّا بوالده ، ثم حيل  
بينه وبينه مع شدة تعلقه به وسوقه إليه  
واخذ إلى أضيق الأسجون ، وببدل بالعز  
الهوان فهو في أشد وَلَه وَيُتَمْ وَأَعْظَم  
حسرة وغم<sup>(٧٦)</sup>.

وزيادة في تحcir الدنيا وتصغير  
شأنها والتحذير منها ، ومن إغوائها ،  
يصورها الإمام بصورة المرأة المحببة  
بمالها وجمالها تارة ، وبالمرأة المتزينة

وَخَصَّتْ بِلَيْتَهَا، وَأَصَابَ الْبَلَاءُ مِنْ أَبْصَرٍ  
فِيهَا، وَأَخْطَأَ الْبَلَاءُ مِنْ عَمَيَّ عَنْهَا»<sup>(٧٨)</sup>.

فالفتنة لم تجر على قانون الحق،  
لذلك وصفها بالعمياء، كالأعمى  
المتصرف في حركاته في غير جادة، أو  
لكونها لا يسلك فيها سبيل الحق كما  
لا يهتدي بالعين العمياء، وكذلك لفظ  
المظلمة<sup>(٧٩)</sup>.

### ٣. الدلالة على وجوب الاعتبار

قد يضفي الإمام عليه السلام الحياة  
ما ليس من شأنه الحياة من المعاني فالعبر  
والقوى هي معانٍ محضة تنقض  
شخوصاً فيكون لها القدرة على كشف  
الحقائق أمام النفس وهذا ما تفعله العبر،  
والحجز عن ت quam الشبهات وهذا ما  
تفعله القوى، وذلك في قوله: «ذَمَّتِي  
بِمَا أَقُولُ رَهِينَةً، وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ، إِنَّ مِنْ  
صَرَّحَتْ لِهِ الْعِبَرُ عَمَّا بَيْنَ يَدِيهِ مِنْ  
الْمَسْلَاتِ، حَجَزَتْهُ التَّقْوَى عَنْ تَقْحُمِ  
الشُّهَدَاتِ»<sup>(٨٠)</sup>.

فمن ذلك قوله: (أَنَا كَابُ الدُّنْيَا لِوجْهِهَا  
وَقَادِرُهَا بِقَدْرِهَا، وَنَاظِرُهَا بِعِينِهَا)<sup>(٧٦)</sup>.

فقد بيّن الإمام عليه السلام مكانة  
الدنيا في نفسه، فهي عدوة له زاهد فيها،  
لذا كبها على وجهها، إشارة إلى زهده  
فيها وتركه لها وعدم الالتفات إليها،  
وعاملها بمقدارها؛ ولأن مقدارها حقير  
عنه كأن التفاته إليها بحسب ضرورة  
البقاء فيها، وكذلك هو ناظرها بعينها :  
أي معتبرها بالعين التي ينبغي أن تعتبر بها  
الدنيا من كونها غداراً غرّارة حائلة إلى  
غير ذلك من أوصافها<sup>(٧٧)</sup>.

### ٤. الدلالة على الباطل

قد بيّث الإمام علي عليه السلام  
الحياة في الفتنة وهي أمر معنوي ليبيّن  
للمخاطب بشاعتها، فيصورها بصورة  
رجل أعمى لا يتبيّن طريق الحق فيسلك  
طريق الباطل، إذ قال: «أَلَا وَإِنَّ أَخْوَفَ  
الْفَتْنَةِ عَنِّي عَلَيْكُمْ فَتْنَةُ بَنِي أَمِيَّةَ، فَإِنَّهَا  
فَتْنَةُ عَمِيَّةٍ مَظْلَمَةٍ عَمِّتْ خَطْطَهَا»

فلا بدّ من أنْ يفيض الله على قلبه خشيته وتقواه فستلزم تلك الخشية توقفه وامتناعه عن أنْ يلقي نفسه في تلك الأمور الزائلة والشبهات الباطلة لإشراق نور الحق الواضح على لوح نفسه بالاعتبار، فالقوى اللازم له هو الحاجز عن ذلك التحريم<sup>(٨٣)</sup>.

### الخاتمة

تَيِّز الإمام علي عليه السلام في استعماله لأسلوب التشخيص بالخصوصية في التعبير، فقد تفرد في نسبة بعض الأفعال التي تخص الإنسان إلى الزمان أو الطبيعة أو الأمور المعنوية، يتجلّى هذا التفرد فيما يأتي :

١ . ففي قوله : «سیرعف بهم الزمان» شبه الزمان بالإنسان ونسب وجودهم إلى الزمان ، لأنّه من الأسباب المعدّة لقوابيل وجودهم، وقد أراد الإمام بهذا التشخيص أنْ يبيّن صورة الزمان وهو يخرج هؤلاء القوم خروجاً ميسراً لا مشقة

فقوله : «صرحت له العبر عما بين يديه من المثلات»، أُسند الفعل (صرح) الذي لا يُسند إلّا للعاقل ، يقال : (صرح فلان بما في نفسه وقيل : عاد تعريضك تصريحاً)<sup>(٨١)</sup> ، إلى العبر، وال عبر معاني مجردة فهي (جمع عبرة ، وهي الموعظة ، والمثلات : العقوبات)<sup>(٨٢)</sup>.

وهذا الإسناد يراد به تشخيص الموعظة وجعلها بمثابة الرجل الناصح الذي يفضي إلى القوى التي تمنع من تقدم الشبهات ، وقد أشار البحرياني إلى الارتباط المعنوي بين قوله : «من صرحت له العبر عما بين يديه من المثلات» وقوله «حجزته القوى عن تقدم الشبهات» وذلك بقوله : (إنّ من أخذت العناية بزمام عقله فأعدّت نور بصيرته لمشاهد ما صرحت به آفات الدنيا وكشفت عنها من تبدل حالاتها وتغييراتها على من أوقف عليها همّه واتخذها دار الإقامة فشاهد أنّ كل ذلك أمور باطلة وأطلال زائلة).

واختلاطها، فكأنها إنسان أعمى لا يهتدي للأمور، فهو يعيش في ظلام، فإن الأعمى لما لم يكن ليهتدي لطلبة كذلك هذه الظلمة لا يهتدي فيها للحق ولزومه.

٤. ومن أروع التصوير والتشخيص في المعنيات ما أمر به من أن يكون من أبناء الآخرة ، ولا يكونوا من أبناء الدنيا بقوله : «**فَكُنُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ كُلَّ وَلَدٍ سُيلُحُقُّ بِأَمْهٖ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.**».

فالابن لما كان من شأنه الميل إلى والده ، وكان الخلق منهم من يريد الدنيا ومنهم من يريد الآخرة ، ويميل كل منهما إلى مراده مع ما يحصل من طرف الدنيا للراغبين فيها مما يتوهمنه لذة وخيراً، وما يحصل من طرف الآخرة للراغبين فيها من اللذة والسعادة أشبه كل بالنسبة إلى ما رغب فيه واستفاد منه الخير الابن بالنسبة إلى الأب.

فيه فتوثّر تلك الصورة بالمخاطب لقدرته على تخيلها في ذهنه.

٢. قد يصور الأيام على هيئة أشخاص مطاردين وذلك في قوله : «**كَمْ أَطْرَدَتِ الْأَيَّامِ أَبْجَحَهَا عَنْ مَكْنُونِهَا الْأَمْرِ، فَأَبْيَى اللَّهُ إِلَّا إِخْفَاءَهُ**» فقد استعمل (أطربت)؛ لأنّها أدلّ على العزّ والقهر من طربت ، فكأنه جعل الأيام أشخاصاً يأمر بإخراجهم وإبعادهم عنه ، أي : ما زلت أبحث عن كيفية قتلي ، وأي وقت يكون بيئي ، وفي أي أرض يكون يوماً يوماً ، فإذا لم أجده في اليوم أطربته واستقبلت غده ، فأبحث فيه أيضاً فلا أعلم ما بعده وأطربده.

٣. ومن التفرد في الاستعمال أيضاً قوله : «**وَظَفَقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدِ حَذَاءَ، وَأَصْبَرَ عَلَى طَخِيَّةِ عَمِيَّاءِ يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ**» فالطخية قطعة من الغيم والسحب وصفتها بالعمياء لؤكد التباس الأمور

- (٧) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحميد / ١٠ . ١٣٨
- (٨) م.ن .
- (٩) م.ن / ٨ . ٢١٠
- (١٠) م.ن .
- (١١) كشاف اصطلاحات الفنون ٤٨٨/٢ - ٤٨٩
- (١٢) المعجم الأدبي ٦٧ .
- (١٣) مشاهد القيامة في القرآن ١٧٨ .
- (١٤) التصوير الفني في القرآن ٦٣ - ٦٤ .
- (١٥) الطبيعة في القرآن ٤٦٠ .
- (١٦) ينظر : الزمان الدلالي ٤٦ - ٥٦ .
- (١٧) الأرمنة والأمكانة ١٧٩/٢ .
- (١٨) ينظر : الزمان الدلالي ٨٧ - ٩٠ .
- (١٩) ينظر : لسان العرب مادة (زمن) ٤٠٨/٤ .
- (٢٠) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحميد . ٢٣٢/١
- (٢١) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحميد ١/٢٣٢ . ومنهاج البراعة ١٥٩/٣
- (٢٢) ينظر : شرح نهج البلاغة للبحرياني . ٤٧٤/١

٥. قد يبيث الإمام علي عليه السلام الحياة في الفتنة وهي أمر معنوي ليبين للمخاطب بشاعتها في صورها بصورة رجل أعمى إذ قال: «آلا وأن أخوف الفتنة عندي عليكم فتنةبني أمية فإنها فتنة عمياً مظلمة»؛ فالفتنة لم تجر على قانون الحق لذلك وصفها بالعمياً كالأعمى المتصرف في حركاته في غير جادة، أو لكونها لا يسلك فيها سبيل الحق كما لا يهتدي بالعين العمياً.

- 
- (١) ينظر : العين مادة (شخص) ١٦٥/٤ ولسان العرب ٥ / ٥٠ .
  - (٢) ينظر : لسان العرب ٥ / ٥٠ .
  - (٣) ينظر : العين مادة (شخص) ١٦٥/٤ ولسان العرب ٥ / ٥٠ .
  - (٤) ينظر : العين مادة (شخص) ١٦٥/٤ ولسان العرب ٥ / ٥٠ .
  - (٥) ينظر : العين مادة (شخص) ١٦٥/٤ ولسان العرب ٥ / ٥٠ .
  - (٦) ينظر : العين مادة (شخص) ١٦٥/٤ ولسان العرب ٥ / ٥٠ .

- .....أ.م.د. أسيل متعب الجنابي
- (٢٢) ينظر : المفردات في غريب القرآن ١٧٩ . والعين : مادة دهر ٤/٢٣.
- (٣٨) ينظر : الزمان الدلالي ٩٦ ، ولسان العرب(يوم) ١١٢/١١ .
- (٣٩) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحميد . ١٤٤/٢ .
- (٤٠) م.ن ١١/١١٤ .
- (٤١) شرح نهج البلاغة ٧٢/٤ .
- (٤٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحميد . ٩٠/٩ .
- (٤٣) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحميد ٩٠ - ٩١ ، وشرح نهج البلاغة للبحرياني ٢٦٤/٣ .
- (٤٤) ينظر : الطبيعة في القرآن الكريم ٨ - ٩ .
- (٤٥) الطبيعة في القرآن الكريم ٢٩٣ .
- (٤٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحميد . ١٦٩/٣ .
- (٤٧) شرح نهج البلاغة ١٦٩/٣ .
- (٤٨) ينظر : المفردات في غريب القرآن . ٢٧١ .
- (٤٩) شرح نهج البلاغة ١٨٠/٢ .
- (٥٠) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحميد . ٣١٨/٦ .
- (٥١) ينظر : شرح نهج البلاغة للبحرياني . ٤٥١/٢ .
- (٢٣) ينظر : المفردات في غريب القرآن ١٧٩ .
- (٢٤) النهاية في غريب الحديث . ١٤٤/٢ .
- (٢٥) ينظر : الزمان الدلالي ٩٢ .
- (٢٦) الجاثية : ٢٤ .
- (٢٧) ينظر : الكشاف ٤/٢٩٤ ، والعين . ٢٣/٤ .
- (٢٨) المفردات في غريب القرآن ١٧٩ .
- (٢٩) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحميد . ١٦٣/٢ .
- (٣٠) المفردات في غريب القرآن ١٥٧ .
- (٣١) ينظر : شرح نهج البلاغة لابن أبي الحميد . ١٦٣/٢ .
- (٣٢) شرح نهج البلاغة ١١٨/٢ .
- (٣٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحميد . ١٣٨/٢ .
- (٣٤) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحميد . ١٣٩/٢ .
- (٣٥) شرح نهج البلاغة ٩٣/٢ .
- (٣٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحميد . ١٩٥/٧ .
- (٣٧) ينظر : شرح نهج البلاغة ١٢٩/٣ - ١٣٠ .

- (٥٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد .٢٠٨/٨  
 ينظر : التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم ٣٧٠
- (٥٣) م.ن.  
 (٦٧) ينظر : التطور الدلالي ٣٤٩ - ٣٥٠
- (٦٨) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد .١٩٦/٣  
 ينظر : شرح نهج البلاغة للحراني
- (٦٩) شرح نهج البلاغة للحراني ٦١/٢  
 (٧٠) المصدر نفسه .٦٢/٢
- (٧١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد .٢٣٤/٣  
 ينظر : شرح نهج البلاغة للحراني
- (٧٢) شرح نهج البلاغة ١٤٨/٢  
 (٧٣) ينظر : شرح نهج البلاغة ، الحراني .٦٢/٩  
 ١٤٩ - ١٤٨/٢
- (٧٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد .١١٢/١١  
 ينظر : شرح نهج البلاغة للحراني
- (٧٥) ينظر : شرح نهج البلاغة ، الحراني .٧٢/٤  
 ١١٣/٣ - ١١٥ - ١١٣/٣
- (٧٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد .١٥٤/١  
 ينظر : شرح نهج البلاغة ، الحراني .٦٢) المصدر نفسه .
- (٧٧) ينظر : شرح نهج البلاغة ، الحراني .٤٢٧/١ - ٤٢٧/٣  
 ١٧٧/٣
- (٧٨) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد .٤٢٨  
 ينظر : المعنى والتوافق ١٥ .٣٥/٧
- (٦٥) التصوير الفني في القرآن .٦٢

خليل أبو عودة، مكتبة المنار، الزرقاء،  
الأردن، ط١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

- الزمان الدلالي : د. كريم زكي  
حسام الدين ، دار غريب ، القاهرة ،  
ط٢ .

- شرح نهج البلاغة : ابن أبي  
الحديد ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ،  
دار الكتاب العربي ، - بغداد ، ط١ ،  
١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

- شرح نهج البلاغة : كمال الدين  
ميثم بن علي البحرياني (ت ٦٧٩ هـ) ،  
أنوار المدى ، إيران ، قم ، ط١ ،  
١٤٢٧ هـ.

- الطبيعة في القرآن الكريم : د.  
كاصد ياسر الزيدى ، المركز العربي  
للطباعة ، بيروت.

- العين : أبو عبد الرحمن الخليل بن  
أحمد الفراهيدي ، تحقيق : د. مهدي  
المخزومي ود. إبراهيم السامرائي ، دار  
الهلال ، ط٢ ، ١٩٨٦ م.

(٧٩) ينظر : شرح نهج البلاغة ، البحرياني  
. ٥٢٠ / ٢

(٨٠) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحميد  
. ٢٥٣ / ١

(٨١) المفردات في غريب القرآن ٢٨٢ - ٢٨٣ .  
(٨٢) ينظر : شرح نهج البلاغة لابن أبي  
الحميد ٢٥٣ / ١ ، وينظر : منهاج البراعة  
. ١٩٤ / ٣

(٨٣) شرح نهج البلاغة ، البحرياني ٤٨٨ / ١

## المصادر والمراجع

- الأزمنة والأمكنة : أبو علي  
احمد بن محمد المرزوقي ، ط حيدر آباد  
١٣٣٢ هـ.

- البيان والتبيين : أبو عثمان عمرو  
بن بحر الجاحظ ، المطبعة التجارية  
الكبرى ، ط١ ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م.

- التصوير الفني في القرآن : سيد  
قطب ، دار المعارف ١٩٦٣ م.

- التطور الدلالي بين لغة الشعر  
الجاهلي ولغة القرآن الكريم : عودة



- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : أبو القاسم الزمخشري ، تحقيق: عبد الرزاق المهدى ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان.
- كشاف اصطلاحات الفنون: محمد علي بن علي التهانوى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ٢٠٠٦ م - ١٤٢٧ هـ.
- لسان العرب: ابن منظور ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
- مشاهد القيامة في القرآن: سيد قطب ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٩.
- المعنى والتوافق: د. محمد غليم الحاج ، عالم الكتب الحديث ، إربد - الأردن ، ط١ ، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
- المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصلباني ، راجعه وقدم له
- وائل أحمد عبد الرحمن ، المكتبة التوفيقية ، مصر.
- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: الميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي ، تحقيق: علي عاشور ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- النهاية في غريب الحديث: أبو السعادات ابن الأثير ، تحقيق: د. محمود الطناحي وطاهر الزاوي ، بيروت ، ١٩٦٥ م.

# الإمام علي عليه السلام

## في مجالس السيد المرتضى

أ.م. د. عباس علي الفحام

جامعة الكوفة/ كلية التربية الأساسية

الحمد لله رب العالمين وأتم الصلوة والتسليم على النبي الأمين وعلى آل بيته الطاهرين صلوات الله عليهم اجمعين وبعد: فقد تحدد البحث بعنوان (الإمام علي عليه السلام في مجالس السيد المرتضى)، وهي دراسة في أثر علمي مميز اسمه الشائع أكاديمياً «أمالی المرتضی» للشريف المرتضی علم المهدی علي بن الحسين الموسوی المتوفی سنة (٤٣٦ھ). والأمالی جمع إملاء وهو أسلوب شاع في عصر الشريف المرتضی وما قبله، يقصد به ما يميله الشيخ على طلبه من محاضرات أو مجالس، أو ما يميله هو بخط يده.

ضمّاً من مجالس ثمانون مجلساً، توزع ذكر أمير المؤمنين عليه السلام في كثير منها، لذلك صنفنا هذا الذكر الجميل النافع ببحثين هما: الأول: اختص بـ(المجالس القرآنية)، وشملت مطلبين هما الوقفات التفسيرية للإمام عليه السلام والثاني ما روي عنه من قراءات. أما المبحث الثاني فقد عُقد للمجالس بـ(المجالس الأدبية واللغوية)، واشتمل على عدة تفصيلات هي: أدب التوحيد، وأدب الإيجاز والجوابات المسكتة للإمام عليه السلام، والإمام في الشعر، وغريب كلام الإمام.

وقد حاول البحث الكشف عن الطبيعة العلمية التي تميز بها السيد المرتضى من تقبل الآراء الأخرى لسابقيه من مختلف المشارب، حتى أولئك الذين يختلفون معه في المذهب والرأي، فهو يقلب آراءهم ويستعرضها من دون قبح أو ضيق، فيقبل ذلك

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين وأتم الصلوة والتسليم على النبي الأمين وعلى آل بيته الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين وبعد:

فقد تحدد البحث بعنوان (الإمام علي عليه السلام في مجالس السيد المرتضى)، وهي دراسة في أثر علمي مميز اسمه الشائع أكاديمياً «أمالى المرتضى» للشريف المرتضى علم الهدى علي بن الحسين الموسوي المتوفى سنة (٤٣٦هـ).

والأمالى جمع إملاء وهو أسلوب شاع في عصر الشريف المرتضى وما قبله، يقصد به ما يملئه الشيخ على طلبه من محاضرات أو مجالس، أو ما يليه هو بخط يده.

والاسم الذي وضعه السيد المرتضى لأماليه هو «غرر الفوائد ودرر القلائد»، ووقع في جزأين، مجموع ما

أمير المؤمنين عليه السلام وآرائه اللغوية، وستحاول دراستها على وفق ذكرها من محورين هما: تفسير القرآن الكريم، والقراءات.

### **أولاً: تفسير القرآن الكريم**

١. قوله تعالى: **﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّثْوِرُ﴾** <sup>(١)</sup>.

يشير السيد بدءاً الأذهان بأسلوب الاستفهام منهاً ومشوقاً ومثيراً فضول السامعين والقارئين معاً، فهي سمة تتكرر لديه في مجالسه كلها، فيقول: (إن سأله سائل عن قوله تعالى: **﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّثْوِرُ﴾**).

الجواب: قلنا: أما التنور فقد ذكر في معناه وجوه:

#### **أولها**

أنه تعالى أراد بالتنور وجه الأرض، وأن الماء نبع وظهر على وجه الأرض وفار.

ويبعد هذا بنحو هادئ وعلمي، وكثيراً ما يعرض رأياً جديداً خاصاً به في اللغة أو الفقه أو البلاغة.

وتعددت مصادر البحث لتعدد الموضوعات في مجالس السيد المرتضى، فكانت المصادر اللغوية والنقدية والتاريخية والتفسيرية عدة الدراسة وسندتها في الكشف والرصد والتحليل والاستنتاج الذي انتهى إلى خلاصة ملتمت الموضوعات المختلفة في نقاط محددة يسررت للقارئ استخلاص الخاتمة المفيدة.

يبقى أملنا دائماً هو الدعاء بال توفيق بتقبل أعمالنا التي لا يتاح الكمال لها أبداً، لأن ذلك من شأن الله تعالى وحده، والحمد لله رب العالمين.

### **المبحث الأول: الإمام علي عليه السلام في المجالس القرآنية**

استند السيد المرتضى في كثير من مجالسه في تفسير القرآن الكريم إلى كلام

التنور كان في دار نوح عليه السلام  
بعين وردة من أرض الشام.. وقال  
آخرون: بل كان التنور في ناحية  
الكوفة، والذي روى عنه أن التنور هو  
تنور الخيز الحقيقي ابن عباس والحسن  
ومجاهد وغيرهم.

### خامسها

أن يكون معنى ذلك اشتد غضب  
الله تعالى عليهم وحل وقوع نقمته  
بهم، وذكر تعالى التنور مثلاً لحضور  
العذاب، كما تقول العرب قد فارت  
قدر القوم، إذا اشتد الحرب وعظم  
الخطب. والوطيس هو التنور، وتقول  
العرب أيضاً: قد حمي الوطيس، إذا  
اشتد بالقوم حربهم.. ومن ذلك  
الحديث المروي عنه عليه الصلاة  
والسلام: أنه نهى عن البول في الماء  
ال دائم؛ يعني الساكن.

ويقال: قد دوم الطائر في الهواء،  
إذا بسط جناحيه وسكنهما ولم يخفق

هذا قول عكرمة. وقال ابن عباس  
رضي الله عنهما مثله. والعرب تسمى  
وجه الأرض تنوراً.

### ثانية

أن يكون المراد أن الماء نبع من أعلى  
الأرض وفار من الأماكن المرتفعة منها.  
وهذا قول قتادة. وروى عنه في قوله  
تعالى: ﴿وَفَارَ الشَّوْرُ﴾ قال: ذكر لنا  
أنه أرفع الأرض وأشرفها.

### ثالثها

أن يكون المراد بـ ﴿وَفَارَ الشَّوْرُ﴾  
أي برز النور وظهر الضوء وتكاثف  
حرارة دخول النهار وتقضي الليل،  
وهذا القول يروى عن أمير المؤمنين  
علي رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>.

### رابعها

أن يكون المراد بالتنور الذي يختبر  
فيه على الحقيقة، وأنه تنور كان لأدم  
عليه السلام أبي البشر، وقال قوم: إن

السلام، وأنه يدل على نزول العذاب  
بقومه لينجو بنفسه وبالمؤمنين)<sup>(٣)</sup>.

وفوران التنور على المعنى الحقيقي  
يعني اندفاع شدة الماء نحو الأعلى<sup>(٤)</sup>،  
(وكان فوران الماء من التنور المسجور  
بالنار، معجزة لنوح عليه السلام  
ودلالة على صدقه، وأكثر المفسرين  
على أنها التنور التي يخرب فيها)<sup>(٥)</sup>،  
وعن المفضل بن عمر عن الصادق عليه  
السلام قال :

«كان التنور في بيت عجوز مؤمنة،  
في دير قبلة ميمنة مسجد الكوفة»، قال  
قلت : فكيف كان بدء خروج الماء من  
ذلك التنور؟ قال : «نعم إن الله أحب  
أن يري قوم نوح آية، ثم إن الله سبحانه  
أرسل عليهم المطر يفيض فيضاً،  
وفاض الفرات فيضاً، وفاضت العيون  
كلها فيضاً، فغرقهم الله، وأنجى نوحًا  
ومن معه في السفينة»<sup>(٦)</sup>.

بهما، و(نفثتها) معناه نسكنها. يقال :  
فثأت غضبه عنى وفثأت الحار بالبارد  
إذا كسرته به.

## سادسها

أن يكون التنور الباب الذي يجتمع  
فيه ماء السفينة، فجعل فوران الماء منه  
والسفينة على الأرض علمًا على ما  
أنذر به من إهلاك قومه. وهذا القول  
يروى عن الحسن. وأولى الأقوال  
بالصواب قول من حمل الكلام على  
التنور الحقيقي، لأن الحقيقة، وما سواه  
مجاز، ولأن الروايات الظاهرة تشهد له.  
وأضعفها وأبعدها من شهادة الأثر  
قول من حمل ذلك على شدة الغضب  
واحتداد الأمر تمشيلاً وتشبيهاً، لأن  
حمل الكلام على الحقيقة التي تعضدها  
الرواية أولى من حمله على المجاز  
والتوسيع مع فقد الرواية.

وأي المعاني أريد بالتنور فان الله  
تعالى جعل فوران الماء علمًا لنبيه عليه

قال المرتضى من بها بأسلوبيه الاستفهمي : (إن سأله سائل عن قوله تعالى : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنَ ﴾).

فقال : ما تأويل هذه الآية ؟ وما معنى ما تضمنته ؟.. الجواب قلنا : أما ابتداء الآية فتذكير بنعم الله تعالى عليهم وما أزاح به علتهم في تكاليفهم ، وما تفضل به عليهم من الآلات التي يتوصلون بها إلى منافعهم ويدفعون بها المضار عنهم ، لأن الحاجة إلى أكثر المنافع الدينية والدنيوية ماسة ، فالحاجة إلى العينين للرؤى واللسان للنطق والشفتين لحبس الطعام والشراب وإمساكهما في الفم والنطق أيضا .. فاما (النجد) في لغة العرب فهو الموضع المرتفع من الأرض ، والغور الهاباط منها . وإنما سمي الموضع المرتفع من أرض العرب نجداً لارتفاعه . واختلف أهل التأويل في المراد بـ(النجدين) ، فذهب قوم إلى أن المراد بهما طریقا

وتؤكد الروايات فوران التنور من مسجد الكوفة - مثلما نقل ذلك الرازى في تفسيره عن الإمام علي عليه السلام<sup>(٧)</sup> - فهو ذو فضل عظيم لقدمه وارتباطه بالأنبياء إذ هو مصلاهم عليهم السلام « ولقد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين أسرى به إلى السماء ، قال له جبرائيل عليه السلام : يا محمد ! هذا مسجد أبيك آدم ، ومصلى الأنبياء ، فانزل فصل فيه ، فنزل فصل في فيه ، ثم إن جبرائيل عليه السلام عرج به إلى السماء »<sup>(٨)</sup> .

ولتواتر الروايات التي أكدت ذلك أقر السيد رجحان كفة المعنى الحقيقى للتنور على المجازى على الرغم مما روی عن أمير المؤمنين - محل الشاهد - عن أن المقصود بفوران التنور طلوع الفجر.

٢. قوله تعالى : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنَ ﴾<sup>(٩)</sup> .

ويجوز أن يكون سُمّي طريق الشر نجداً من حيث يحصل في اجتناب سلوكه الرفعة والشرف، كما يحصل ذلك في طريق الخير. وقيل أيضاً إنه على عادة العرب في تثنية الأمررين إذا اتفقا على بعض الوجوه، فيجري لفظ أحدهما على الآخر، كقولهم القمرین في الشمس والقمر<sup>(١٣)</sup>، وعلى أي معنى يحمل اللفظان فالقاسم فيهما هو الظهور.

### ثانياً: القراءات

١. قوله تعالى: ﴿فَإِنْهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾<sup>(١٤)</sup>.

وقف المرتضى على تأويل الآية الكريمة فقال: (إن سأله سائل عن قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيَخْرُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنْهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾).

الخير والشر، وهذا الوجه روى عن علي بن أبي طالب عليه السلام وابن مسعود والحسن وجماعة من المفسرين. وروي أنه قيل لأمير المؤمنين علي عليه السلام: إن أنساً يقولون في قوله: ﴿وَهَدَيْنَاهُ التَّجَدَّدُنَ﴾.

إنهما الثديان، فقال عليه السلام: «لا، إنهما الخير والشر»<sup>(١٥)</sup>.

فكأن المعنى الذي أراده الإمام هو تشبيه طريق الخير والشر بالطريقين العاليين لظهوره فيهما<sup>(١٦)</sup>، وهو يوحيان بالكد وبذل الجهد من الإنسان في سلوكهما بسبب ارتفاعهما مثلما هو ظاهر من المعنى اللغوي<sup>(١٧)</sup>.

وفي هذا الشأن أثار الشيخ الطبرسي شبهة طريفة وأجاب عنها بقوله ( ولو قيل: كيف يكون نجد الشر مرتفعاً كنجد الخير، ومعلوم أنه لا رفعة في الشر؟ ) (والجواب): إن الطريقين جميعاً ظاهران باديان للمكلفين، فسمى سبحانه كليهما نجداً لظهوره وبروزه.

وما يشهد لهذا الوجه من طريق الرواية ما رواه سلام بن مسكين عن أبي يزيد المدنى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقي أبا جهل فصافحه أبو جهل فقيل له : يا أبا الحكم أتصافق هذا الصابئ ! فقال : والله إنى لأعلم أنهنبي ، ولكن متى كنا تبعاً لبني عبد مناف ! فأنزل الله الآية .. وفي خبر آخر إن الأخنس بن شريق خلا بأبي جهل فقال له : يا أبا الحكم ، أخبرني عن محمد صلى الله عليه وآله وسلم أصادق هو أم كاذب ؟ فإنه ليس هنا من قريش أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا .

قال له أبو جهل : ويحك ، والله إن محمداً صادقاً وما كذب محمد قط ، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والحجابة والسكنية والندوة والنبوة فماذا يكون لسائل قريش ؟

وعلى الوجه الأول يكون معنى **﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكَنْبُونَكَ﴾** أي لا

قال : كيف يخبر تعالى أنهم لا يكذبون نبيه عليه الصلاة والسلام ومعلوم منهم إظهار التكذيب والعدول عن الاستجابة والتصديق ! كيف ينفي عنهم التكذيب ثم يقول إنهم بآيات الله يجحدون ! وهل الجهد بآيات الله إلا تكذيب نبيه عليه الصلاة والسلام ! الجواب قلنا : قد ذكر في هذه الآية وجوه .

### الوجه الأول

أن يكون إنما نفي تكذيبهم بقلوبهم تدinya واعتقادا ، وإن كانوا مظهرين بأفواههم التكذيب ، لأننا نعلم أنه كان في المخالفين له عليه الصلاة والسلام من يعلم صدقه ولا ينكر بقلبه حقه ، وهو مع ذلك معاند فيظهر خلاف ما يبطن . وقال تعالى : **﴿وَإِنْ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾** .

## الوجه الثاني

أن يكون معنى الآية أنهم لا يصدقونك ولا يلفونك متقولاً ، كما يقولون قاتلته فما أجبته أي لم أجده جباناً ، وحادثته فما أكدبته أي لم ألفه كاذباً ..<sup>(١٥)</sup> .

و محل الشاهد فيما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في التخفيف بلفظ **﴿يُكَلِّبُونَكَ﴾** ، فقد أبان السيد المرتضى عدم الاختلاف في المعنى بين تشديدها وتخفيفها ، وفصل أبو حيان الأندلسى في ذلك فقال : (وقرأ علي ونافع والكسائي بتخفيف **﴿يُكَلِّبُونَكَ﴾** ، وقرأ باقي السبعة وابن عباس بالتشديد ، فقيل : هما بمعنى واحد نحو كثراً وأكثر . وقيل : بينهما فرق ، حكى الكسائي أن العرب تقول : كذبت الرجل إذ نسبت إليه الكذب وأكذبته إذ نسبت الكذب إلى ما جاء به دون أن تنسبه إليه .

يفعلون ذلك بمحنة ولا يمكنون من إبطال ما جئت به ببرهان ، وإنما يقتصرن على الدعوى الباطلة . وهذا في الاستعمال معروف ، لأن القائل يقول : فلان لا يستطيع أن يكذبني ولا يدفع قوله ، وإنما يريد أنه لا يمكن من إقامة دليل على كذبه ومن حجة على دفع قوله ، وإن كان يتمكن من التكذيب بلسانه وقلبه فيصير ما يقع من التكذيب من غير حجة ولا برهان غير معتد به .

وروي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قرأ هذه الآية بالتفخيف **﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَلِّبُونَكَ﴾** على أن المراد بها أنهم لا يأتون بحق هو أحق من حدقك ، وقال محمد بن كعب القرظي معناها لا يطلون ما في يديك ، وكل ذلك يقوى هذا الوجه وسبعين أن معنى هذه اللفظة مشددة ترجع إلى معناها مخففة .

عن أمير المؤمنين عليه السلام وابن عباس ويعيسي بن يعمر ومجاحد ومسلم بن صبيح وأبى الضحى ومروان وأبى صالح وجابر بن يزيد أنهم قرؤوا (سئللت) بفتح السين والهمزة وإسكان التاء بأى ذنب قتلت. وروي بإسكان اللام وضم التاء الثانية على أن المؤودة موصوفة بالسؤال والقول **﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾** ... فأما من قرأ سئلت بفتح

السين فيمكن فيه الوجهان اللذان ذكرناهما من أن الله تعالى كلامها في تلك الحال وأقدرها على النطق<sup>(١٨)</sup>.

**والوَادُ هُوَ الثَّقْلُ** <sup>(١٩)</sup> (لأنه إنقال بالتراب ، كان الرجل إذا ولدت له بنت فأراد بقاء حياتها ألبسها جبة من صوف أو شعر لترعى له الإبل والغنم في الbadية ، وإن أراد قتلها تركها حتى إذا بلغت قامتها ستة أشبار فيقول : لأنها طيبتها وزينتها حتى أذهب بها إلى أقاربها وقد حفر لها بئراً في الصحراء

وتقول العرب أيضاً : أكذبت الرجل إذا وجدته كذباً كما تقول : أحمدت الرجل إذا وجدته محموداً ، فعلى القول بالفرق ، يكون معنى التخفيف لا بجدونك كاذباً أو لا ينسبون الكذب إليك ، وعلى معنى التشديد يكون إما خبراً محضاً عن عدم تكذيبهم إيماء ويكون من نسبة ذلك إلى كلهم على سبيل المجاز ، والمراد به بعضهم لأنه معلوم قطعاً أن بعضهم كان يكذبه ، ويكذب ما جاء به.

وإما أن يكون نفي التكذيب لانتفاء ما يترب علىه من المضار فكأنه قيل **﴿يُكَذِّبُونَكَ﴾** تكذيباً يضرك لأنك لست بكاذب فتكذيبهم كلا تكذيب<sup>(٢٠)</sup>.

٢. قوله تعالى : **﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُنْلَتْ﴾** <sup>(١٧)</sup>.

أثار السيد المرتضى تعدد القراءات لهذه الآية الكريمة فقال : (وقد روي

تشخب دما، اللون لون الدم، والريح  
ريح المسك، متعلقا بقاتله يقول: يا  
رب! سل هذا فيم قتلني»<sup>(٢٢)(٢٣)</sup>.

وثمة ما يشير كثيراً من التساؤلات  
بشأن هذه القراءات المروية، فهي محل  
نظر بسبب تردد تراث الفكر الشيعي  
الفقهي في قبولها إجمالاً.

### المبحث الثاني

#### الإمام علي عليه السلام في المجالس الأدبية واللغوية

حفل كتاب الأمالي بذكر أمير المؤمنين عليه السلام في مجالسه الأدبية واللغوية مثرياً ومعززاً به الحجة في إيراد الفكرة وتعضيد الرأي. وستنقف على ذلك كله مفصلاً على النحو الآتي:

#### أولاً: أدب التوحيد

وقف السيد المرتضى على أدب الإمام علي عليه السلام في التوحيد وأصوله فقال: (اعلم أنَّ أصول التوحيد والعدل مأخوذة من كلام أمير المؤمنين

فيبلغ بها إلى البئر فيقول لها: انظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى يستوي البئر بالأرض، وقيل: كان الحامل إذا قربت حفرة حفرة فتم خضت على رأس الحفرة، فإذا ولدت بنتاً رمتها في الحفرة، وإذا ولدت ابناً أمسكته)<sup>(٢٠)</sup>.

وبيدو أن الباущ من وراء ذلك الجهل وخوف العار والفقر كما قال تعالى:

**﴿وَلَا تَقْتُلُوا أُولَاءِكُمْ خَشْيَةَ**

**إِمْلَاقٍ﴾<sup>(٢١)</sup>**

ومحل الشاهد هو القراءة المروية عن أمير المؤمنين عليه السلام التي جعلت المؤودة موصوفة، قال الطبرسي مؤيداً: (وي يكن أن يكون الله سبحانه كلامها في تلك الحال، وأقدرها على النطق حتى قالت ذلك القول).

ويعضده ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «يجئ المقتول ظلماً يوم القيمة، وأوداجه

ولا مبالغة في القول بأن أكثر كلام الإمام المجموع في (نهج البلاغة) هو بشأن التوحيد، بل أكثر الخطب التي تحدث بها عن الحيوان وخلق الإنسان والسماء والأرض فضلاً عن بعض مواقفه الخاصة تدرج في ضمن توظيفه لها في معاني تعظيم الله تعالى وإثبات وحدانيته وبيان صفاته سبحانه بأجلى كلام وأبهى تعبير عرفته العربية الفصيحة، لأنَّ كلامه عليه السلام كما قال الشريف الرضا هو: (الكلام الذي عليه مسحة من الكلام الإلهي، وفيه عبة من الكلام النبوى)<sup>(٢٥)</sup>. وقد التفت الشهيد المطهرى إلى هذه السمة التعبيرية العميقة في كلام فقال: (ولعلنا نستطيع أن نعدَّ البحوث التوحيدية في نهج البلاغة من أعجب بحوث هذا الكتاب، فإنها - بدون مبالغة، ومع الالتفات إلى الشرائط

علي عليه السلام وخطبه وأنها تتضمن من ذلك مالا مزيد عليه ولا غاية وراءه، ومن تأمل المأثور في ذلك من كلامه علم أن جميع ما أسهب المتكلمون من بعد في تصنيفه وجمعه إنما هو تفصيل لتلك الجمل وشرح تلك الأصول.

وروى عن الأئمة من أبنائه عليهم السلام من ذلك ما لا يكاد يحاط به كثرة، ومن أحب الوقوف عليه وطلبه من مظانه أصاب منه الكثير الغزير الذي في بعضه شفاء للصدور السقimية ونتائج للعقول العقيمة، ونحن نقدم على ما نريد ذكره شيئاً مما روي عنهم في هذا الباب<sup>(٢٤)</sup>.

وفي تعليق المرتضى إشارة لم يسبق بها إلى عمق أدب أمير المؤمنين في وصف الذات الإلهية والكشف عن المعرفة بالله تعالى وتوحيده.

ضد، لأن الجمع بين الأضداد مستحيل على غير الله تعالى<sup>(٢٨)</sup>.

وعن عمق معرفة الإمام بالله سبحانه ذكر له السيد أنه سئل بم عرفت ربك؟ فقال: «بما عرّفني به»، قيل: وكيف عرفك؟ قال: «لا تشبهه صورة ولا يحس بالحواس ولا يقاس بقياس الناس»<sup>(٢٩)</sup>.

ومثل ذلك نافياً حد المكان عن الله تعالى حين سأله رجل فقال: أين كان ربك قبل أن يخلق السماء والأرض؟ فقال: «أين سؤال عن مكان و كان الله ولا مكان»<sup>(٣٠)</sup>.

وفي إمكان قدرة الله تعالى على حساب الخلق على كثرتهم أجاب الإمام بأدق دليل منظور حين قيل له: كيف يحاسب الله الخلق؟ قال: «كما يرزقهم»، فقيل: كيف يحاسبهم ولا يرونـه؟ فقال: «كما يرزقهم ولا يرونـه»<sup>(٣١)</sup>.

الزمانية والمكانية للصدور - تقرب من حدود الإعجاز<sup>(٣٢)</sup>.

وما وقف عليه السيد المرتضى في أماليه الحديث المباشر للإمام عن صفة الله تعالى في التأليف بين المتناقضات: «..بعضاته بين الأشياء علم أن لا ضد له، وبمقارنته بين الأمور علم أن لا قرين له، ضاد النور بالظلمة، والخشونة باللين، والبيوسة بالبلل، والصرّ بالحرور، مؤلف بين متباунاتها، مفرق بين متدايناتها»<sup>(٣٣)</sup>.

ويبدو أن ثمة رؤية شاملة للكون لدى الإمام استطاع بها أن يوالف بين أجزاء الموجودات ليقينه بأن صانعها واحد، لذلك هو بدأب على إيجاد علاقات خفية بين أجزاء هذا الكون وإن بدت بعيدة فيما بينها كل البعد، فهو بهذه الرؤية الشاملة يستتـجـ من مجموع المسوغات قاعدة عامة بأن من يجمع بينها خالق لا يمكن أن يكون له

وأنتم سائرون وعلى مقامكم وأنتم  
مقيمون ولم تكونوا في شيء من  
حالاتكم مكرهين ولا إليها مضطرين  
ولا عليها مجبرين».

قال الشامي : كيف ذاك والقضاء  
والقدر ساقانا وعنهما كان مسيرنا  
وانصرافنا؟ فقال له عليه السلام :  
«ويحك يا أخا أهل الشام لعلك ظنت  
قضاءً لازماً وقدراً حاكماً ، لو كان ذلك  
كذلك لبطل الشواب والعقاب وسقط  
الوعد والوعيد والأمر من الله والنهي ،  
ولما كان الحسن أولى بثواب الإحسان  
من المسيء والمسيء أولى بعقوبة الذنب  
من المحسن ، تلك مقالة عبدة الأواثان  
وحزب الشيطان وخصماء الرحمن  
وشهداء الزور وقدرية هذه الأمة  
ومجوسها ، إن الله أمر عباده تخيراً ،  
ونهاهم تحذيراً ، وكلف يسيراً ، وأعطى  
على القليل كثيراً ، ولم يُطع مكرهاً ،  
ولم يُعصَ مغلوباً ، ولم يكلف عسيراً ،

وبهذا العمق المعرفي عن التوحيد  
الإلهي وأصوله سار عليه من بعده أبناؤه  
من الأئمة المعصومين عليهم السلام كما  
ذكر السيد وضرب له الأمثلة<sup>(٣٢)</sup>.

وفي صفة العدل والقضاء والقدر  
فصل الإمام عليه السلام الكلام بشكل  
عملي في توضيح ذلك فقد (روي أن)  
شيخاً حضر صفين مع أمير المؤمنين  
عليه السلام فقال : أخبرنا يا أمير  
المؤمنين عن مسيرنا إلى الشام ، أكان  
بقضاء من الله تعالى وقدر؟ قال له :  
«نعم يا أخا أهل الشام ، والذي فلق  
الحبة وبرأ النسمة ما وطئنا موطئاً ولا  
هبطنا وادياً ولا علونا تلعة إلا بقضاء  
من الله وقدر».

قال الشامي : عند الله أحتسب  
عندي يا أمير المؤمنين ، وما أظن أن لي  
أجرًا في سعي إذا كان الله قضاه على  
وقدره ، فقال له عليه السلام : «إن الله  
قد أعظم لكم الأجر على مسيركم

وأكثر ما يلفت الانتباه في التعبيرات البينية للإمام عليه السلام في التوحيد أسلوبه الفريد في إذابة جمله في الجمل القرآنية، وتمكنه من استعمال الاقتباس القرآني بين جمله إلى درجة عدم القدرة على التمييز بسهولة بين جمل الإمام والجمل القرآنية، بسبب تشابكهما بطرائق مختلفة من التراكيب البنائية، كاستعمال الاقتباس القرآني من دون التصريح بنسبة الشاهد القرآني إلى الله تعالى، مثلما مر في النص السابق، وأحياناً يجري التمهيد للشاهد القرآني بتراكيب تجعلها تذوب في الجمل القرآنية بنحو يصعب على القارئ التمييز بينهما لأول وهلة، مثلما مر في محاورته مع الشامي، وتمثله في الآية الشريفة:

**﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾** ، فهي قد سبقت بقوله تعالى: **﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بِأَطْلَالًا ذَلِكَ**

ولم يرسل الأنبياء لعباً، ولم ينزل الكتب لعباده عبثاً، ولا خلق السماوات والأرض وما بينهما باطلأ  
**﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾** <sup>(٣٣)</sup>.

قال الشامي : فما القضاء والقدر الذي كان مسيرنا بهما وعنهم؟ قال : «الأمر من الله بذلك والحكم» ، ثم تلا :  
**﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا﴾** <sup>(٣٤)</sup>.

فقام الشامي فرحاً مسروراً لما سمع هذا المقال ، وقال : فرجتْ عنِي فرج اللهُ عنك يا أمير المؤمنين ؛ وجعل يقول :

أنت الإمام الذي نرجو  
 يوم الحساب من الرحمن  
 أوضحت من أمرنا ما كان  
 جزاك ربك بالإحسان

أحدهما مأخوذ من الآخر أحدهما أكثر شيء في الدنيا والآخر أقل شيء في الدنيا العبر والاعتبار»<sup>(٣٩)</sup>.

وقوله عليه السلام: «مَثَلُ الدُّنْيَا  
وَالآخِرَةِ مَثَلُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ مَتَى  
اَزْدَدَتْ مِنْ اَحَدِهِمَا قَرْبًا اَزْدَدَتْ مِنْ  
الْآخِرَةِ بَعْدًا»<sup>(٤٠)</sup>. وقوله عليه السلام:  
«شَتَانٌ بَيْنِ عَمَلَيْنِ عَمَلٌ تَذَهَّبُ لِذَهَبِهِ  
وَتَبْقَى تَبَعْتَهُ وَعَمَلٌ تَذَهَّبُ مَؤْوِنَتَهُ  
وَيَبْقَى أَجْرُهُ»<sup>(٤١)</sup>.

وقوله في وصف الدنيا: «مَا أَصْفَ  
مَنْ دَارَ أَوْلَاهَا عَنَاءً وَآخِرُهَا فَنَاءٌ فِي حَلَالِهَا  
حَسَابٌ وَفِي حِرَامِهَا عِقَابٌ، مَنْ صَحَّ  
فِيهَا أَمْنٌ، وَمَنْ فَرَطَ فِيهَا نَدْمٌ، وَمَنْ  
اسْتَغْنَى فَتَنٌ، وَمَنْ افْتَقَرَ حَزْنٌ»<sup>(٤٢)</sup>.

ومن قول له في كلام: «يَا أَيُّهَا الذاَّمُ  
لِلْدُّنْيَا وَالْمُغْرِبُ بِغُرُورِهَا، مَتَى اسْتَدْمَتْ  
إِلَيْكَ؟ بَلْ مَتَى غَرَّتْكَ؟ أَبْهَضَاجِعَ آبَائِكَ  
مِنَ الْثَّرَى أَمْ بَنَازِلَ أَمْهَاتِكَ مِنَ الْبَلَى؟  
كَمْ مَرْضَتْ بِكَفِيكَ؟ وَكَمْ عَالَجَتْ

## ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوْئِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ»<sup>(٣٦)</sup>.

وذكر المرتضى أثر كلام الإمام في التوحيد والموعظة في من جاء من بعده مثل الحسن بن أبي الحسن البصري، وهو أحد من تظاهر من المقدمين بالقول بالعدل<sup>(٣٧)</sup>.

فقد حَدَّدَ المرتضى مصدر فصاحة البصري في مواعظه واستقاءه من معين أمير المؤمنين في البيان والمعاني فقال: (وكان الحسن رباع الفصاحة بل يبلغ الموعظ كثیر العلم، وجميع كلامه من الوعظ وذم الدنيا أو جله مأخوذ لفظاً ومعنى أو معنى دون لفظ من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فهو في ذلك القدوة والغاية)<sup>(٣٨)</sup>.

وضرب السيد لعمق أدب التوحيد وفصاحته أمثلة كثيرة من كلام أمير المؤمنين مثل قوله: «شیان

## ثانياً: أدب الإيجاز

تمثل هذا الإيجاز في الجوابات المركبة التي صدرت عن الإمام عليه السلام في حجاج أو اختلاف في قضية ما، وقد ذكر السيد بعضاً منها في مجالسه، كحجاج اليهود الإمام بشأن اختلاف المسلمين بعد النبي صلى الله عليه وآله.

فقد روي أن يهودياً قال للأمير المؤمنين عليه السلام: ما دفتم نبيكم حتى اختلفتم فيه، فقال عليه السلام: «إنا اختلفنا عنه لا فيه، ولكنكم ما جفت أقدامكم من البحر حتى قلتم لنبيكم: ﴿أَجْعَلْنَا إِلَهًا كَمَا أَلْهَمْتَهُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾»<sup>(٤٦)</sup>.

وثمة فرق مقصود في التعبير في استعمال الفعل (اختلف) شرحه ابن أبي الحديد في قوله (ما أحسن قوله: «اختلفنا عنه لا فيه»، وذلك لأن الاختلاف لم يكن في التوحيد والنبوة، بل في فروع

بيديك؟ تبتغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الأطباء، مثلت لك بهم الدنيا نفسك وبصرهم مصرعك»<sup>(٤٣)</sup>.

ولم يسترسل السيد كثيراً بذكر الشواهد على فصاحة أمير المؤمنين في هذا الباب وتأثير الحسن البصري بها، إذ قطع كلامه واستدرك على نفسه بقوله: (وهذا باب إن وجناء اغترفنا من ثبع بحرٍ زاخر أو شؤوب غمام ماطر، وكل قول في هذا الباب لقائل إذا أضيف إليه أو قويس به كان كإضافة قطرة إلى الغمرة أو الحصاة إلى الحرة، فإنما أشرنا إليه إشارة وأؤمننا إليه أيامه)<sup>(٤٤)</sup>.

ومن غريب ما ذكر السيد المرتضى عن الحسن البصري أنه كان (إذا أراد أن يحدث في زمانبني أمية عن أمير المؤمنين قال: قال أبو زينب)<sup>(٤٥)</sup>. في إشارة إلى محاولات السلطة الأموية على تعميم ذكر علي عليه السلام من الأذهان ومعاقبة من يذكر الإمام بغير.

مسيئهم، فكيف يكون الأمر فيهم  
والوصية بهم»<sup>(٤٨)</sup>.

ومن جواباته الحكيمه لابن الكواه  
حين سأله: يا أمير المؤمنين كم بين السماء  
والأرض؟ قال: «دعاة مستجابة»<sup>(٤٩)</sup>.

ذلك لأن الأمر لا يقاس بالأبعاد  
الزمانية كما اعتقد رأس النفاق ابن  
الكواه، فكان جواب الإمام عليه  
السلام له أبلغ وأعمق.

وذكر المرتضى أيضا جملة من  
الأقوال الحكيمية للإمام عليه السلام  
القليلة النظير مثل: (قيل له: ما طعم  
الماء؟ فقال: «طعم الحياة»، وقيل له:  
كم بين المشرق والمغرب؟ قال: «مسير  
يوم للشمس»، وأثنى عليه رجل وكان  
متهما فقال: «أنا دون ما تقول وفوق ما  
في نفسك»، وكان عليه السلام إذا  
أطراه رجل قال: «اللهم انك أعلم بي  
منه، وأنا أعلم منه بنفسي فاغفر لي ما  
لا يعلم»<sup>(٥٠)</sup>.

خارجية عن ذلك، نحو الإمامة  
والميراث، والخلاف في الزكاة أو وجوبه هي  
أم لا، واليهود لم يختلفوا كذلك، بل في  
التوحيد الذي هو الأصل.

قال المفسرون: مروا على قوم  
يعبدون أصناماً لهم على هيئة البقر،  
فسألوا موسى أن يجعل لهم إلهًا واحداً  
منها، بعد مشاهدتهم الآيات  
والأعلام، وخلاصهم من رق  
العبودية، وعبرهم البحر، ومشاهدة  
غرق فرعون، وهذه غاية الجهل)<sup>(٤٧)</sup>.

ومثل ذلك الجواب الحاسم ما روي  
من أنه عليه السلام لما فرغ من دفن  
النبي صلى الله عليه وآله وسلم سأله  
عن خبر السقيفة، فقيل له: إن  
الأنصار قالت: منا أمير ومنكم أمير،  
فقال عليه السلام: «فهلا ذكرت  
الأنصار قول النبي صلى الله عليه وآله  
وسلم نقبل من محسنهم ونجاوز عن



شيخ كبير، وكان مروان بن أبي حفصة صديقاً لي، على أني كنتُ أبغضُه وأمقته في الله، فشكَا إلَيْيَ وَقَالَ: دخل علينا اليوم رجل أظنه شاميّاً، وقد تقدمته البرامكة في الذكر عند الرشيد فأذن له، فدخل فسلم وأجاد، فأذن له الرشيد فجلس؛ قال: فأوجست منه خوفاً.  
 فقلت: يا نفس أنا حجازي نجدي شافهت العرب وشافهتني، وهذا شامي أفتراه أشعر مني؟  
 قال: فجعلت أرفو<sup>(٥٢)</sup> نفسي إلى أن استنشده هارون فإذا هو والله أفصح الناس فدخلني له حسد.  
 فأنشده قصيدة تنيت أنها لي، فقلت له: ما هي؟ قال: أحفظ منها أبياتاً وهي<sup>(٥٣)</sup>: (من الوافر)  
 أمير المؤمنين إليك خضنا غمار الموت من بلد شطير  
 بخوص كالأهلة خافتات حملن على السرى وعلى

### ثالثاً: الإمام في الشعر

حفلت مجالس المرتضى في أيامه بذكر أمير المؤمنين عليه السلام في الشعر، سواء أكان ذلك في ذكر شخصه وما يمثله من قيمٍ علياً، أم بما يتعلق به عليه السلام من أخبارٍ فريدةٍ على ألسنة الشعراء سنجاول تفصيلها بما يأتي:

#### ١. منصور النمري<sup>(٥٤)</sup>

ترجم السيد المرتضى للشاعر العباسى النمري، ووقف على طرائف شعره في مدح الرشيد، ولاسيما استعماله البديعى بالتورية بـ(هارون) قاصداً بذلك الإمام علي عليه السلام. قال السيد: (أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال: حدثني أحمد بن عبد الله وعبد الله بن يحيى العسكريان قالاً: حدثنا الحسن بن عليل العنبرى قال:

قال: حدثنا أبو مسعود رجل من بنى غنم بن عبد القيس قال: منصور بن سلمة النمري دخل على البرامكة وهو



ولو كافأت ما اجترحت يداه  
دلفت له بقاصمة الظهور  
ولكن جل حلمك فاجتباه  
على الهفوات عفو من قدير  
فعاد كأنه لم يجن ذنبًا  
وقد كان اجتنى حسك الصدور  
وإنك حين تبلغه أذاة  
وإن ظلموا المحترق الضمير<sup>(٥٥)</sup>  
وإن الرشيد قال لما سمع هذا  
البيت : هذا والله معنى كان في نفسي.  
وأدخله بيت المال وحكمه فيه .. قال :  
مروان : وكان هارون يتبعه ويقاد  
يضحك للطف ما سمع . ثم أومأ إلى  
أن أنسد فأنسدته قصيتي التي أقول  
فيها<sup>(٥٦)</sup> : (من الكامل)  
خُلُوا الطريقَ لعشرِ عادُّهُم  
حطم المناكب كلَّ يومٍ  
حتى أتت على آخرها فوالله ما  
عاج ذلك الرجل - يعني النمري  
- بشعري ولا حفل به ..

حملن إليك آمالاً عظاماً  
ومثل الصبح والبدر المنير  
وقد وقف المديح بمنتهاه  
وغايته وصار إلى المصير  
إلى من لا يشير إلى سواه  
إذا ذكر الندى كف المشير  
قال مروان فوددت أنه قد أخذ جائزتي  
وسكت وعجبت من تخلصه إلى تلك  
القوافي ثم ذكر ولد أمير المؤمنين علي عليه  
السلام فأحسن التخلص ، ورأيت هارون  
يعجب بذلك فقال<sup>(٥٤)</sup> :  
يَدُّكَ في رقاب بني علي  
وَمَنْ لَيْسَ بِالْمَنْ يَسِير  
فإن شكرروا فقد أنعمت فيهم  
وإلا فالندامة للكفور  
منتت على ابن عبد الله يحيى  
وكان من الحتوف على شفير  
وقد سخطت لسخطتك المنايا  
عليه فهي حائمة النسور

المرزباني قال : حدثنا أبو عبد الله الحكيمي قال : حدثني يمود بن المزرع قال : حدثني أبو عثمان الجاحظ قال : كان منصور النمري ينافق الرشيد ويدرك هارون في شعره ويريه أنه من وجوه شيعته وباطنه ومراده بذلك علي بن أبي طالب عليه السلام لقول النبي عليه الصلاة والسلام : أنت مني بمنزلة هارون من موسى ، إذ وشى به عنده بعض أعدائه ، وهو العتaby ، فقال : يا أمير المؤمنين هو والله الذي يقول<sup>(٦٠)</sup> : (من الوافر)

متى يشفيك دمعك من  
ويبرد ما بقلبك من غليل  
وأنشدde أيضا<sup>(٦١)</sup> : (من السريع)  
شاء من الناس راتع

يعللون النفوس بالباطل  
ومنصور يصرح في هذه القصيدة  
بالعجائب ، فوجه الرشيد برجل من  
فزانة ، وأمره أن يضرب عنق منصور

ثم أنسدَه منصور يومئذ<sup>(٥٧)</sup> : (من السريع)  
إن لهارون إمام الهدى  
كنزين من أجر ومن بر  
يريش ما تبرى الليلالي  
تريش أيديهن ما يبرى  
كأنما البدر على رحله  
ترميك منه مقلتا صقر  
وأنشدَه أيضا<sup>(٥٨)</sup> : (من الكامل)  
ولمن أضاع لقد عهْدتك  
لوصية العباس بالأحوال  
قال مروان : وأخلق به أن يغلبني  
وأن يعلو علي عنده ، فإني ما رأيت  
أحسن من تخلصه إلى ذكر الطالبيين<sup>(٥٩)</sup> .  
ويبدو أن النمري كان ميالا إلى الإمام علي عليه السلام وأولاده فكان  
يتحين السبل لذكرهم آخرًا بوساطة ذكر الرشيد ومدحه.

وما صرَح به السيد المرتضى عن ذلك الميل ما حدث به قائلًا : (وأخبرنا

من يدخل عليه منهم، فاختاروا عدداً  
بعد عدد إلى أن اختاروا رجلين:  
أحدهما النمري ليدخلان ويسألا  
حوائجهما، وكان النمري مؤبداً لم  
يسمع منه شعر قط قبل ذلك ولا عرف  
به، فلما مثل هو وصاحبه بين يدي  
الرشيد قال لهما: قولوا ما تريدان؟  
فأنشد النمري <sup>(٦٥)</sup>: (من البسيط)

ما تنقضي حسرة مني ولا  
قال له الرشيد: قل حاجتك وعدّ  
عن هذا. فقال:  
إذا ذكرت شبابا ليس يرتجع  
وأنشده القصيدة حتى أتى إلى  
قوله: (من البسيط)  
ركب من النمر عاذوا بابن  
من هاشم إذ أح الأزلم الجذع  
متوا إليك بقربى أنت تعرفها  
لهم بها في سدام المجد مطلع  
إن المكارم والمعروف أودية

النميري حيث تقع عينه عليه فقدم  
الرجل رأس عين <sup>(٦٢)</sup> من بعد موت  
منصور بأيام قلائل <sup>(٦٣)</sup>.

ويؤكد ذلك المعنى السيد بقوله:  
(قال المرزباني ويصدق قول الجاحظ أن  
النمري كان يذكر هارون في شعره وهو  
يعنى به أمير المؤمنين عليا عليه السلام  
ما أنسدناه محمد بن الحسن بن دريد  
النمري <sup>(٦٤)</sup>: (من البسيط)

آل رسول خيار الناس كلهم  
وخير آل رسول الله هارون  
رضيت حكمك لا أبغى به  
لان حكمك بال توفيق  
وسرد السيد المرتضى أول لقاء  
النمري بالرشيد واتصاله به مؤكداً  
سياق الحديث بنفاق الشاعر مع الرشيد  
فقال: (وروي أن أبا عصمة الشيعي لما  
أوقع بأهل ديار ربيعة أوفدت ربيعة  
وفدا إلى الرشيد فيهم منصور النمري،  
فلما صاروا بباب الرشيد أمرهم باختيار

فامتعض الرشيد وأنفذ من يقتله  
فوجده في بعض الروايات ميتا ، وفي  
آخرى عليلا لما به ، فسئل الرسول أن  
لا يأثم به ، وأن يتضرر موته ، ففعل ،  
ولم يبرح حتى توفي فعاد بخبر موته  
إلى هارون العباسي) <sup>(٦٦)</sup> .

## ٢. مرثية عمرو بن ود العامري

وقف الشريف المرتضى على بيته  
أخت عمرو بن عبد ود التي رثته بها  
مفاصلا الكلام في معنى (بيضة البلد)  
وتأنويلاتها ، واستشهد لآرائه اللغوية  
بوصف الإمام علي عليه السلام بذلك  
قائلاً (وقد حكى أهل اللغة أن بيضة  
القوم وسطهم وبيضة الدار وسطها  
وبيضة السنام شحمته وبيضة الصيف  
معظمها وبيضة البلد الذي لا نظير له  
 وإن كان قد يستعمل ذلك في المدح  
والذم على سبيل الأضداد ، وإذا  
استعمل في الذم فمعناه أن الموصوف  
بذلك حقير مهين كالبيضة التي تفسدها

أحلك الله منها حيث تجتمع  
إذا رفعت امرأ فالة رافعه  
ومن وضع من الأقوام  
نفسى فداوك والأبطال معلمة  
يوم الوغى والمنايا بينهم قرع  
حتى أتى إلى آخرها فقال له:  
ويحك ما حاجتك؟ فقال: يا أمير  
المؤمنين أخربت الديار وأخذت الأموال  
وهتك الحرم. فقال: اكتبوا له بكل ما  
يريد ، وأمر له بثلاثين ألف درهم  
واحتبسه عنده. وشخص أصحابه  
بالكتب. ولم يزل عنده يقول الشعر فيه  
حتى استأذنه في الانصراف ، فأذن له.  
ثم اتصل بالرشيد قوله: (من السريع)  
شاء من الناس راتع هامل  
يعللون النفوس بالباطل  
تقتل ذرية النبي وترجون  
خلود الجنان للقاتل  
ما الشك عندي في كفر قاتله  
لكنني قد أشك في الخاذل

هو أمير المؤمنين حين دعا له الرسول  
صلى الله عليه وآلـه بقوله: «خرج  
الإسلام كله إلى الشرك كله»<sup>(٦٩)</sup>.

وقال: «ضربة علي يوم الخندق  
أفضل من عبادة الثقلين»<sup>(٧٠)</sup>.

وذلك لأنها كانت معركة مصرية  
تحدد بها مستقبل التوحيد والإسلام كله.

### ٣. السيد الحميري

أفاض المرتضى رحمة الله تعالى في  
الكلام على رد الشمس لأمير المؤمنين  
عليه السلام، وذلك في وفته الشعرية  
على بائبة السيد محمد بن اسماعيل  
الحميري المسماة بالمنذهة ولاسيما  
قوله<sup>(٧١)</sup>:

ردت عليه الشمس لما فاته  
وقت الصلاة وقد دنت للمغرب  
قال المرتضى: (هذا خبر عن رد  
الشمس له عليه السلام في حياة النبي  
صلى الله عليه وآلـه، لأنـه روـي أنـ النبي  
صلى الله عليه وآلـه كان نائماً ورأـسه في

النـعـامة فـتـرـكـها مـلـقاـة وـلـا تـلـفـتـ إـلـيـها.  
فـمـا جـاءـ منـ ذـلـكـ فيـ المـدـحـ قولـ أـخـتـ  
عـمـروـ بـنـ عـبـدـ وـدـ تـرـثـيـهـ وـتـذـكـرـ قـتـلـ أـمـيرـ  
المـؤـمـنـينـ عـلـيـهـ السـلـامـ إـيـاهـ وـقـيـلـ إـنـ  
الـأـيـاتـ لـأـمـرـأـ مـنـ عـرـبـ غـيرـ أـخـتـهـ:  
(من البسيط)

لو كان قاتل عمرو غير قاتله  
لكنت أبكي عليه آخر الأبد  
لكن قاتله من لا يعاب به  
قد كان يدعى قدماً بيضة البلد)<sup>(٦٧)</sup>  
ويروى عجز البيت أحياناً (من كان  
يدعى أبوه بيضة البلد)<sup>(٦٨)</sup> إشارة إلى أبي  
طالب سيد مكة، ولا تنافي في المعنى بين  
الولد والوالد عليهما السلام.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام قد  
صرع ابن عبد ود في غزوة الخندق حين  
تجرأ في اقتحام الخندق وإخراج المسلمين  
بالبراز له في قصة مشهورة ذكرتها كتب  
التاريخ، وكان منقذ المسلمين جميعاً فيها

(والجواب الآخر) : إن الصلاة لم تنته بمعنى جميع وقتها، وإنما فاتته ما فيها من الفضيلة والمزية من أول وقتها ..<sup>(٧٣)</sup>.

ويبدى المرتضى بهذا التفصيل في دفع الشبهات تأكيد روایة رد الشمس تأكيداً عقلياً، فهو هنا يمزج بين الروایة النقلية والقبول العقلي.

ويضي بالأسلوب نفسه فيشرح البيت الذي يليه من المذهبة في قول الحميري<sup>(٧٤)</sup> بنحو مسهب :

وعليه قد حُبستْ بِبَابِلِ مَرَّةٌ  
أَخْرَى وَمَا حُبْسَتْ لَخْلُقِ مُرْبِ

(هذا البيت يتضمن الإخبار عن رد الشمس ببابل على أمير المؤمنين عليه السلام، والروایة بذلك مشهورة، وأنه عليه السلام لما فاته وقت صلاة العصر ردت الشمس له حتى صلاتها في وقتها.

وخرق العادة هاهنا لا يمكن أن يقال إن نسبته إلى غيره، كما أمكن في أيام النبي صلى الله عليه وآلـه وسلم.

حجر أمير المؤمنين، فلما حان وقت صلاة العصر كره أن ينهض لأدائها فيزعج النبي صلى الله عليه وآلـه من نومه، فلما مضى وقتها وانتبه النبي دعا الله بردها عليه، فردها وصلى الصلاة في وقتها<sup>(٧٥)</sup>.

ويبدو أسلوب المرتضى في الاستقصاء في إيراد الشبهات ودفعها واضحاً في إسهابه في تقليل وجوه الأقوال التي اختصرها بهذا الاقتباس.

(فإن قيل : يقتضي أن يكون عليه السلام عاصياً بترك الصلاة.

قلنا : عن هذا جوابان :

(أحدهما) : أنه إنما يكون عاصياً إذا ترك الصلاة بغير عذر، وإزعاج النبي لا ينكر أن يكون عذراً في ترك الصلاة.

فإن قيل : الأعذار في ترك جميع أفعال الصلاة لا تكون إلا بفقد العقل والتميز كالنوم والاغماء وما شاكلهما، ولم يكن في تلك الحال بهذه الصفة.

مع الاختيار؛ فإذا لم يتمكن المصلي من الصلاة في غيرها، وخالف فوت الوقت وجوب أن يصلي فيها، وتزول الكراهة)<sup>(٧٥)</sup>.

وليس ثمة تعليق يذكر فوق ما فصل المرضي الكلام فيه من استلالات مختلفة وشرح رواية ولغوية بينة أثرت المجلس وأغنته كثيرا.

#### رابعاً: غريب كلام الإمام عليه

##### السلام

وما وقف عليه السيد المرضي في أماليه ذكره لبعض غريب كلام الإمام علي عليه السلام، وشرحه لألفاظه مستندا إلى ثقافة غزيرة وتدوّق للمعنى على النحو الآتي :

##### ١. (جلباب الفقر)

قال السيد المرضي (روى أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه غريب الحديث)<sup>(٧٦)</sup> عن أمير المؤمنين عليه

والصحيح في فوت الصلاة هاهنا أحد الوجهين اللذين تقدم ذكرهما في رد الشمس على عهد النبي صلى الله عليه وآله، وهو أن فضيلة أول الوقت فاتته بضرب من الشغل، فردت الشمس ليدرك الفضيلة بالصلاحة في أول الوقت. وقد بينا هذا الوجه في البيت الذي أوله (رددت عليه الشمس)، وأبطلنا قول من يدعى أن ذلك يجب أن يقيم الخلق في الآفاق معرفته حتى يدونوه ويؤرخوه. وأما من ادعى أن الصلاة فاتته - بأن انقضى جميع وقتها، إما لشاغله بعيته عسكره، أو لأن بابل أرض خسف لا تجوز الصلاة عليها - فقد أبطل، لأن الشغل بعيبة العسكر لا يكون عذرًا في فوت صلاة فريضة.

وإن أمير المؤمنين عليه السلام أجل قدرًا، وأثمن ديناً من أن يكون ذلك عذرًا له في فوت فريضة. وأما أرض الخسف فإنها تكره الصلاة فيها

ومعنى الخبر: أن من أحبنا فليصبر على التقلل من الدنيا والتقنع فيها، وليرأذ نفسه بالكف عن أحوال الدنيا وأعراضها، وشبه الصبر على الفقر بالتجفاف أو الجلباب، لأنه يستر الفقر كما يستر الجلباب، أو التجفاف البدن.

قال: ويشهد بصحة هذا التأويل ما روى عنه عليه السلام انه رأى قوما على بابه فقال: «يا قبر، من هؤلاء؟»، فقال له قبر: هؤلاء شيعتك؛ فقال: «مالي لا أرى فيهم سيم الشيعة!»، قال: وما سيم الشيعة؟ قال: «خمس بطون من الطوى، ويبس الشفاه من الظما، وعمش العيون من البكا».

هذا كله قوله ابن قتيبة، والوجهان في الخبر جمیعا حسنان وإن كان الوجه الذي قاله ابن قتيبة أحسن وأنصع<sup>(٧٨)</sup>. ومن بين أن منهج السيد منهجه العالم المتبصر في تقليل وجوه الآراء

السلام أنه قال: «من أحبنا أهل البيت فليعد لل FEC جلباباً أو تجفافاً».

قال أبو عبيد: وقد تأول بعض الناس هذا الخبر على أنه أراد به الفقر في الدنيا، وليس ذلك كذلك، لأننا نرى فيمن يحبهم مثل ما نرى في سائر الناس من الغنى والفقير، ولا تمييز بينهما.

قال: وال الصحيح أنه أراد به الفقر في يوم القيمة، وأخرج الكلام مخرج الموعظة والنصيحة والحت على الطاعات، فكانه أراد: من أحبنا فليعد لفقره يوم القيمة ما يجبره من الشواب والقرب إلى الله تعالى والزلفى عنده<sup>(٧٧)</sup>.

ويبدو أن السيد يقلب جميع الآراء في أسلوب دراسته فيذكر الموالفين والمخالفين إثراء مجلسه وإغناء للفائدة فقال (قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة: وجه الحديث خلاف ما قاله أبو عبيد، ولم يرد إلا الفقر في الدنيا.

وهذا وجه ثالث في الخبر، لم يذكر ولا يستبعد حمل الكلام على بعض ما يحتمله إذا كان له شاهد في اللغة وكلام العرب، لأن الواجب على من يتعاطى تفسير غريب الكلام والشعر أن يذكر كل ما يحتمله الكلام من وجوه المعاني، ويجوز أن يكون أراد المخاطب كل واحد منها منفرداً، وليس عليه العلم بمراده بعينه، فإن مراده مغيب عنه، وأكثر ما يلزم ما ذكرناه من ذكر وجوه احتمال الكلام<sup>(٧٩)</sup>.

وفي الحق أن هذا معنى غائر لكنه ليس بمستبعد على الرغم من أن الشريف الرضي - أخا المرتضى وجامع كلام الإمام علي عليه السلام في (نهج البلاغة) - لم يذكر هذا المعنى إذ قال في تعليقه على قول الإمام: «لو أحبني جبل لتهافت». (ومعنى ذلك أن المحنّة تغلظ عليه، فتسرع المصائب إليه، ولا

فيستحسن من غير ذمٍ ويرجح من دون قبح، بل يضيف رأياً آخر قبلة ما ذكر من آراء أعلام سابقيه فيقول: (ويكفي أن يكون في الخبر وجه ثالث تشهد لصحته اللغة، وهو أن أحد وجوه معنى لفظة (الفقر) أن يحز أنف البعير حتى يخلص إلى العظم أو قريب منه، ثم يلوى عليه جبل يذلل بذلك الصعب، يقال فقره يفقره فقراً، إذا فعل به ذلك، وبغير مفقور وبه فقرة، وكل شيء حززته وأثرت فيه فقد فقرته تقريباً، ومنه سميت الفاقرة، وقيل: سيف مفتر).

فيحمل القول على أن يكون عليه السلام أراد من أحينا فليزم نفسهوليختهمها وليقدها إلى الطاعات، ولি�صرفها عمما تميل طباعها إليه من الشهوات، وليدللها على الصبر عمما كره منها ومشقة ما أريد بها، كما يفعل ذلك بالبعير الصعب.

الجواب : يقال له : أما - الأود  
- فهو الميل تقول العرب : لأقيمن  
ميك وحنفك وأودك وذراك  
وضللك وصعرك وصدغك وظللك  
بالظاء وصعوك وصدعك كل هذا  
المعنى واحد.

وقال ثعلب : الأود إذا كان من  
الإنسان في كلامه ورأيه فهو عوج ، وإذا  
كان في الشيء المتصلب مثل عصا وما  
أشبهها فهو عوج ، وهذا قول الناس  
كلهم إلا أبا عمرو الشيباني ، فإنه قال :  
العوج بالكسر الاسم والعوج بالفتح  
المصدر.

وقال ثعلب : كأنه مصدر عوج  
يعوج عوجا ، ويقال : عصا معوجة  
وعود معوج وليس في كلامهم معوج .  
وأما - اللدد - فقيل : هو  
الخصومات . وقال ثعلب : يقال : رجل  
ألد ، وقوم لد ، إذا كانوا شديدي

يفعل ذلك إلا بالأتقين الأبرار ،  
المصطفين الأخيار .

وهذا مثل قوله عليه السلام :  
«من أحبابنا أهل البيت فليستعد للفقر  
جلبابا» .

وقد يؤول ذلك على معنى  
آخر ..<sup>(٨٠)</sup> ، وأكثر الظن يعني بالمعنى  
الآخر ما ذكره ابن سلام وليس تأويل  
الشريف المرتضى ، لأن وضع كتاب  
الأمامي جاء بعد وفاة الشريف الرضي  
(رض) بكثير .

## ٢. الأود واللدد

وذكره السيد بقوله مسندًا  
ومستفهمًا : (إن سأله سائل عن الخبر  
الذي يرويه شريك عن عمار الذهببي ،  
عن أبي صالح الحنفي ، عن أمير  
المؤمنين علي رضي الله عنه قال :  
«رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في  
النمام ، وأنا أشكوا إليه ما لقيت من الأود  
واللدد...»)<sup>(٨١)</sup> .

يقول : إنهم يخوضون في شعرى ويطلبون  
معانى فلا يقفون عليها .. )<sup>(٨٤)</sup> ، ومنهم من  
رواها (إد) كالزمخشري وهي الداهية  
ك قوله تعالى : ﴿لَقَدْ جِئْنَمْ شَيْنَا إِدًا﴾<sup>(٩٠)</sup> .  
وسؤال الإمام «ما لقيت بعدهك ..» على  
سييل التعجب ؛ وعلق الشريف الرضا  
على كلام أمير المؤمنين عليه السلام هذا  
فقال مختصرًا (يعنى بالأود الاعوجاج ،  
 وباللدد الخصم ، وهذا من أفصح  
الكلام)<sup>(٩١)</sup> ؛ وبهذه الغزارة المعرفية  
الملموسة قلب الشريف المرتضى بحثه في  
غريب كلام الإمام عليه السلام مستعرضًا  
وجوه اللغة كلها ، ومستقصياً آراء العلماء  
السابقين له ، مثرياً مجلسه بالشاهد الشعري  
المعزز للحججة والدليل ، وحريصاً في الوقت  
نفسه على إسناد كلامه كله إلى المصدر  
المعروف في الموثق ، التي هي سمة طبعت  
مجالسه كلها كما بان من البحث .

الخصومة ، ومنه قول الله تعالى :

﴿وَهُوَ أَلَدُ الْخِصَام﴾<sup>(٨٢)</sup> .

وقال الأموي : اللدد الاعوجاج ،  
 والألد في الخصومة الذي ليس بمستقيم ،  
 أي هو أعوج الخصومة يميل فلا يقوى  
 عليه ولا يمكن منه ، ومن ذلك قولهم :  
 لد الصبي .

وإنما يلد في شق فيه وليس يلد  
مستقيماً ، فهو يرجع إلى معنى الميل  
 والاعوجاج . وقال : فسر لنا الحكم بن  
 ظهير فقال : ألد الخصم أي أعوج  
 الخصم ؛ وأنشد أبو السمح لابن  
 مقبل<sup>(٨٣)</sup> : (من الطويل)

لقد طال عن دهماء لدى وعذرتي  
 وكتمانها أكنتى بأم فلان  
 جعلت لجهال الرجال مخاضة  
 ولو شئت قد بييتها بلسانى  
 - اللدد - الجدال والخصومة .

وقال أبو عمرو : الألد الذي لا يقبل  
 الحق ويطلب الظلم . و قوله (مخاضة)

**رابعاً:** أبيان السيد المرتضى فراده الإمام علي عليه السلام في ذكر أدبه التوحيدى ، وهو بذلك سبق غيره فى الإشارة إلى عمق معرفة أمير المؤمنين بالحديث عن الذات الإلهية ، وانسراها إلى أولاده من الأئمة المعصومين عليهم السلام.

**خامساً:** أكد البحث الطبيعة العدائية للحكام المسلمين من ذكر أمير المؤمنين عليه السلام ، التي يُضطرُّ معها الناس إلى التستر واستعمال التكنيّة حين الإفادة منه عليه السلام في ذكر ما ، مثلما رأينا في حالة الحسن البصري والشاعر منصور النمري .

(١) هود: ٤٠

(٢) ينظر التفصيل في: مجمع البيان، الطبرسي : ٢٧٨/٥ .

(٣) الأُمالي ، المرتضى : ١٧٠/٢ .

(٤) ظ. لسان العرب : فور

## خاتمة البحث

من مضمون الدراسة التي اختصت بعنوان (الإمام علي في مجالس السيد المرتضى) يمكن استخلاص النتائج الآتية :

**أولاً:** اختصَّ عنوان البحث بذكر لفظ (المجالس) وأريد به كتاب (الأُمالي) من باب تسمية الشيء باسم جزئه ، وكونه المصنف الوحيد للسيد المرتضى الذي اعتمد هذا الأسلوب .

**ثانياً:** شمل ذكر الإمام علي عليه السلام في مجالس السيد المرتضى مختلف شؤونه عليه السلام ، وتحدد بمحورين جامعين هما : الأول : المجالس القرآنية ،

والثاني : المجالس الأدبية واللغوية .

**ثالثاً:** عرض البحث الطبيعة العلمية الفذّة لعقلية السيد المرتضى التي تتقبل الآراء المخالفة وقد استحسنها ، وناقشتها بصورة علمية رصينة .

- (٢٣) مجمع البيان: ١٠/٢٧٤ .
- (٢٤) الأimali: ١/١٤٨ .
- (٢٥) نهج البلاغة: ١/١١ .
- (٢٦) في رحاب نهج البلاغة، المطهري: ٣٥ .
- (٢٧) الأimali: ١/١٤٨ ، وينظر: نهج البلاغة، تحقيق أبو الفضل ابراهيم: ٢/٦٩ .
- (٢٨) ظ. الأثر القرآني في نهج البلاغة، عباس الفحام: ٣٥٠
- (٢٩) الأimali: ١/١٤٨ .
- (٣٠) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
- (٣١) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
- (٣٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
- (٣٣) سورة ص: ٢٧ .
- (٣٤) الأحزاب: ٣٨ .
- (٣٥) الأimali: ١/١٤٨ .
- (٣٦) سورة ص: ٢٧ .
- (٣٧) الأimali: ١/١٥٢ .
- (٣٨) م.ن.
- (٣٩) م.ن.
- (٤٠) م.ن.
- (٤١) م.ن. وينظر: خصائص الأئمة، الشريف الرضي: ٩٩ .
- (٥) التبيان، الطوسي: ٧/٣٦٣ ، وينظر: الكشاف، الزمخشري: ٣٣/٣ ، الرازي، مفاتيح الغيب: ١٧/٢٢٥ .
- (٦) مجمع البيان: ٥/٢٧٨ .
- (٧) مفاتيح الغيب: ١٧/٢٢٥ .
- (٨) مجمع البيان: ٥/٢٧٨ .
- (٩) البلد: ١٠ .
- (١٠) الأimali: ١٠ .
- (١١) ظ. التبيان: ١٠/٣٥٢ ، الكشاف: ٤/٢٥٦ .
- (١٢) ظ.الميزان، الطباطبائي: ٢٠/٢٩٢ .
- (١٣) مجمع البيان: ١٠/٣٦٣ .
- (١٤) الأنعام: ٣٣ .
- (١٥) الأimali: ٢/٢٦٤ ، وينظر تفسير الآية في: جامع البيان، الطبرى: ٧/٢٤٠ .
- (١٦) البحر الحيط، أبو حيان الأندلسي: ٤/١١٦ .
- (١٧) التكوير: ٨ .
- (١٨) الأimali: ١/٢٧٩ .
- (١٩) أساس البلاغة، الزمخشري: ٣/٦٦٣ .
- (٢٠) مفاتيح الغيب: ٣١/٦٩ .
- (٢١) الأنعام: ١٥١ .
- (٢٢) ظ.مسند ابن حنبل: ١/٢٢٢ .



- (٤٢) الأُمالي : ١٥٢/١ ، وينظر: نهج البلاغة ، تحقيق محمد عبده : ١٣٠ / ١ .
- (٤٣) الأُمالي : ١٥٢/١ .
- (٤٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
- (٤٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
- (٤٦) الأُمالي : ٢٧٤/١ ، والأية الكريمة من سورة الأعراف : ١٣٨ .
- (٤٧) شرح نهج البلاغة : ٢٢٥/١٩ .
- (٤٨) الأُمالي : ٢٧٤/١ .
- (٤٩) م.ن.
- (٥٠) م.ن.
- (٥١) في الديوان (لحزون الضمير) : ٨٨ .
- (٥٢) ديوان مروان بن أبي حفصة : ١٠٤ ، وهي في الديوان في مدح المهدي ، وقد يكون أعادها في مدح الرشيد.
- (٥٣) ديوان النمري : ٩٠ .
- (٥٤) ديوان النمري : ١٢٠ .
- (٥٥) الأُمالي : ٢٧٦/٢ .
- (٥٦) ديوان النمري : ١٢٥ .
- (٥٧) ديوان النمري : ١٢١ .
- (٥٨) الأُمالي : ١٧٦/٢ .
- (٥٩) رأس عين من نواحي ديار ربعة ، سميت بذلك لأن العرب كانت تحله. ينظر: معجم البلدان ، الحموي : ١٣/٣ .
- (٦٠) في الديوان تقديم وتأخيرين البيتين : ١٣٨ .
- (٦١) الأُمالي : ٢٧٦/٢ .
- (٦٢) ديوان النمري : ٩٥ .
- (٦٣) الأُمالي : ٢٧٧/٢ ، وتنظر القصيدة في ديوان النمري : ١٢١ .
- (٦٤) الأُمالي : ٨/٢ ، وذكر الشيخ المفید ذلك قبله في: الإرشاد : ١٠٨/١ .
- (٦٥) كشف الغمة ، الاربلي : ٢٠٥/١ .
- (٦٦) الفصول المهمة ، ابن الصباغ : ١٦٩/٢ ، وينظر: الصحيح من سيرة النبي الأعظم ، جعفر العسكري : ٣٢٣/٩ .
- (٦٧) ديوان الحميري : ٤٥ ، وتنظر ترجمته في: أخبار السيد الحميري ، المرزباني : ١٧٣ .
- (٦٨) الأُمالي : ٣٤٠/١ ، وتنظر تفاصيل الخبري: مناقب الإمام أمير المؤمنين ، الكوفي: ٥١٦/٣ ، الإرشاد: ٣٤٦/١ ، خصائص الأئمة: ٥٢ .
- (٦٩) الأُمالي : ٣٤٢/١ .

### المصادر

- القرآن الكريم
- الأثر القرآني في نهج البلاغة، دراسة في الشكل والمضمون، عباس علي الفحام، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب - جامعة الكوفة ٢٠٠٨ م.
- أخبار السيد الحميري، المزباني الخراساني (ت ٣٨٤ هـ)، تحقيق: الشيخ محمد هادي الأميني، الطبعة ٢، ١٩٩٣ م، لبنان.
- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان المفید (ت ١٣٤ هـ) / تحقيق مؤسسة أهل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، دار المفید، الطبعة ٢، بيروت، لبنان ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
- أساس البلاغة، الزمخشري، (ت ٥٣٨ هـ) / دار صادر، بيروت، لبنان، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

- . ٤٥ (ديوان الحميري : ٤٥)
- . ٣٤٣/١ (الأمالی : ٣٤٣/١)
- . ٤٦٦/٣ (غريب الحديث : ٤٦٦/٣)
- . ١٧١/١ (الأمالی : ١٧١/١)
- . م.ن. (٧٤)
- . م.ن.. (٧٥)
- . ٢٧٥/١٨ (شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد : ٢٧٥/١٨)
- . ١١٨/١ (نهج البلاغة : ١١٨/١)
- . ٢٠٤ (البقرة : ٢٠٤)
- . ٩٦ (ديوان ابن مقبل ، تحقيق عزت حسن : ٩٦ ، وهو شاعر مختصر تنظر ترجمته في : الأعلام ، الزركلي : ٨٧/٢)
- . ١٧٢/٢ (الأمالی : ١٧٢/٢ ، وينظر في معنى (الأود واللدد) : أساس البلاغة : ٢٤ - ٥٦٢)
- . ٨٩ (مريم : ٨٩)
- . ٢٦/١ (الفائق في غريب الحديث : ٢٦/١)
- . ١١٢/٦ (شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد : ١١٢/٦)
- . ١٩٨/٢ (ظ.ذيل تاريخ بغداد، ابن النجار : ١٩٨/٢ ، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد : ١٢١/١)



- الوفاء، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٣.
- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسـي (ت ٧٤٥هـ)، شارك في التحقيق : د. زكريا عبد المجيد النوقي، د. أحمد النجولـي الجمل، الطبعة الأولى - ٢٠٠١ م - دار الكتب العلمية، لبنان.
- تاريخ الطبرـي (تاريخ الرسل والملـوك)، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهـيم، الطـبعة الخامـسة، دار المعارـف، مصر، ١٩٨٧ م.
- تاريخ بغداد أو مدينة السلام، أحمد بن علي الخطـيب البغدادـي (ت ٤٦٣هـ)، دراسة وتحقيق : مصطفـى عبد القـادر عـطا، الطبـعة الأولى ، دار الكـتب العـلمـية، بيـروـت - لبنان، ١٩٩٧ م.
- الاستيعـاب، ابن عبد البر، تحقيق : علي محمد الـبـجاـوي، الطبـعة الأولى، ١٤١٢، مطبـعة دار الجـيل، بيـروـت.
- الأعلام، خـير الدـين الزـركـليـ، دار العـلـم لـلـمـلـاـيـنـ، بيـروـتـ، الطبـعة ١، ١٩٨٠ م
- الأمـالـيـ (غـرـرـ الفـوـائـدـ وـدرـرـ القـلـائـدـ)، السـيـدـ المـرـتضـيـ (ت ٤٣٦ـ)، تحقيق : محمد أبو الفـضلـ إـبرـاهـيمـ، الطـبـعة الأولىـ، دار إـحـيـاءـ الكـتبـ العـرـبـيةـ، القـاهـرةـ، ١٩٥٤ـ مـ.
- أنسـابـ الأـشـرافـ، البـلاـذـريـ (ت ٢٧٩ـهـ)، تـحـقـيقـ وـتـعلـيقـ: الشـيخـ محمدـ باـقرـ الـحمـودـيـ، الطـبـعة الأولىـ، ١٩٧٤ـ مـ.
- بـحارـ الـأـنـوارـ الجـامـعـةـ لـدرـرـ أـخـبـارـ الـأـئـمـةـ الـأـطـهـارـ، الشـيخـ محمدـ باـقرـ الـمـجـلـسـيـ (ت ١١١١ـهـ)، مؤـسـسـةـ

- ديوان تميم بن أبي بن مقبل ،  
تحقيق : د. عزت حسن ، مطبعة دمشق.
- ديوان السيد الحميري (١٧٣ هـ) ، جمعه وحققه شاكر هادي شكر ،  
منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت.
- ديوان منصور النمرى ، جمع  
وتحقيق : الطيب العشاش ، مطبوعات  
مجمع اللغة العربية بدمشق ، دار  
المعارف ، ١٩٨١ م.
- ذيل تاريخ بغداد ، ابن النجار  
البغدادي (٦٤٣ هـ) ، دراسة  
وتحقيق : مصطفى عبد القادر يحيى ،  
الطبعة الأولى ، ١٩٩٧ م ، دار الكتب  
العلمية ، بيروت.
- شرح نهج البلاغة ، ابن أبي  
الحديد المدائني (٦٥٦ هـ) ، تحقيق :  
محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء  
تراث العربي ، القاهرة ، ١٩٥٩ م.
- شعر مروان بن أبي حفصة ،  
جمعه وحققه وقدم له الدكتور حسين

- البيان في تفسير القرآن ، أبو  
جعفر الطوسي (٤٦٠ هـ) ، تحقيق  
أحمد حبيب القصیر ، المطبعة العلمية ،  
النجف ، ١٩٥٧ م.
- تفسير العياشي ، محمد بن  
مسعود العياشي (٣٢٠ هـ) ، تحقيق :  
السيد هاشم الرسولي المحلاطي ، د.ت.
- التفسير الكبير (أو مفاتيح  
الغيب) ، فخر الدين محمد بن عمر  
الرازي (٦٠٦ هـ) ، المطبعة البهية –  
مصر.
- جامع البيان ، محمد بن جرير  
الطبرى (٣١٠ هـ) ، تقديم الشيخ  
خليل الميس ، ضبط وتحريج وتوثيق :  
صدقى جميل العطار ، دار الفكر  
للطباعة ، ١٩٩٥ م ، لبنان.
- خصائص الأنئمة ، الشريف  
الرضي (٤٠٦ هـ) ، تحقيق محمد هادى  
الأميني ، نشر مجمع البحوث الإسلامية ،  
إيران ، ١٤٠٦ هـ.



البجاوي ، و محمد أبو الفضل إبراهيم ،  
مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ،  
مصر ، ط ٢ ، د.ت.

- الفصول المهمة في معرفة  
الأئمة ، علي بن محمد المالكي  
(ت ٨٥٥ هـ) ، تحقيق: سامي الغريري ،  
دار الحديث - قم ، ١٤٢٢ هـ .

- في رحاب نهج البلاغة ،  
مرتضى المطهري ، ترجمة هادي  
اليوسفي ، دار التعارف للمطبوعات ،  
الطبعة ١ ، بيروت ١٩٧٨ م.

- الكشاف عن حقائق التنزيل  
وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل ، جار  
الله محمود بن عمر الزمخشري (ت  
٥٣٥ هـ) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي  
وأولاده بمصر ، ١٩٦٦ م.

- كشف الغمة في معرفة الأئمة ،  
بهاء الدين علي بن الأمير فخر الدين  
عيسى الإربيلي (ت ٦٩٢ هـ) ، الطبعة

عطوان ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ،  
القاهرة .

- الصحيح من سيرة النبي الأعظم  
صلى الله عليه وآلـهـ السيد جعفر  
مرتضـىـ ، الطبعة الرابـعةـ ، ١٩٩٥ـ مـ ، دار  
الهـادـيـ للطبـاعـةـ وـالـنـشـرـ وـالتـوزـيعـ ، وـدارـ  
الـسـيـرـةـ ، بـيرـوـتـ ، لـبنـانـ .

- عمدة الطالب في أنساب آل أبي  
طالب ، ابن عنـبةـ (ت ٨٢٨ـ هـ) ،  
تصـحـيـحـ : محمد حـسـنـ آلـ الطـالـقـانـيـ ،  
الـطـبـعـةـ الثـانـيـةـ - ١٩٦١ـ مـ ، نـشـرـ  
المـطـبـعـةـ الحـيـدـرـيـةـ - النـجـفـ الأـشـرـفـ .

- غـرـيـبـ الـحـدـيـثـ ، أـبـوـ عـيـدـ  
الـقـاسـمـ بنـ سـلـامـ الـهـرـوـيـ (ـتـ ٢٢٤ـ هـ) ،  
طـبـعـ تـحـتـ مـراـقـبـةـ : مـحـمـدـ عـبـدـ الـمـعـيدـ  
خـانـ ، الـطـبـعـةـ الـاـولـيـ ، مـطـبـعـةـ مجلـسـ  
دـائـرـةـ الـعـارـفـ الـعـثـمـانـيـةـ ، حـيـدـرـ آـبـادـ -  
الـدـكـنـ ١٣٨٤ـ هـ - ١٩٦٥ـ مـ .

- الفـائـقـ فيـ غـرـيـبـ الـحـدـيـثـ  
وـالـأـثـرـ ، الـزـمـخـشـريـ ، تـحـقـيقـ : عـلـيـ مـحـمـدـ



محمد باقر الحمودي ، مطبعة النهضة ،  
ط ١، ١٤١٢ هـ.

- الميزان في تفسير القرآن ، محمد  
حسين الطباطبائي ، مؤسسة الأعلمي  
للمطبوعات ، الطبعة الثانية ، بيروت -  
لبنان ١٩٧٢ م.

- نهج البلاغة ، تحقيق وشرح:  
الشيخ محمد عبده ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ ،  
مطبعة النهضة ، قم.

- نهج البلاغة ، علي بن أبي  
طالب عليه السلام (ت ٤٠ هـ) ، تحقيق  
وشرح : محمد أبو الفضل ابراهيم ،  
بيروت - لبنان ، دار الجيل ، الطبعة  
الثانية ١٤١٦ هـ.

الثانية ، ١٤٠٥ - ١٩٨٥ م ، مطبعة  
دار الأضواء ، بيروت.

- لسان العرب ، ابن منظور ،  
جمال الدين محمد بن مكرم المصري (ت  
٧١١ هـ) ، دار صادر ودار بيروت ،  
١٣٧٩ هـ ، ١٩٥٥ م.

- مجمع البيان في تفسير القرآن ،  
الطبرسي ، الفضل بن الحسين (ت  
٥٤٨ هـ) ، حقق وعلق عليه : لجنة من  
العلماء والشافعيين ، مؤسسة الأعلمي  
للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، الطبعة  
الأولى ، ١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م.

- مستند أحمد ، أحمد بن حنبل  
(ت ٢٤١ هـ) ، دار صادر ، بيروت.

- معجم البلدان / ياقوت  
الحموي ، (ت ٦٢٦ هـ) ، دار إحياء  
التراث العربي ، بيروت ، ١٩٧٩ م.

- مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه  
السلام ، محمد بن سليمان الكوفي ، تحقيق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

قال أمير المؤمنين عليه السلام

إِنَّمَا أَكْسَى نَعْمَلَتْ عُمَرٌ مِنْ سَخَانِ قَبْلِي

فَقَدْ نَظَرَتْ فِي أَمَّا لَهُمْ

وَهَسَرَتْ فِي أَنْجَارِهِمْ

وَسَرَتْ فِي أَنْجَارِهِمْ

بِنْجَالِ الْبَلَاغَةِ بِمِنْ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

# **مفهوم علم التاريخ وأهميته**

## **في فكر الإمام علي عليه السلام**

**أ.م. د. محمد علي حسين السويطي**

جامعة واسط / كلية الآداب

قسم التاريخ

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هو أبو الأئمة المعصومين عليهم السلام أجمعين، إمام فذ يقتدي به، ويستضنه بسيرته العطرة، فحياته مدرسة للأجيال، وسيرته المباركة تجسيد لأمل الشرائع والحضارات، وواجب على كل مسلم أن يستوحى من سيرته، ويختبط عليه طريقه في العلم والعمل في مجالات الحياة كافة. لقد أولى الإمام علي عليه السلام عناية كبيرة بكل ما تعلق بالمجتمع، محاولاًً بناء الإنسان والارتقاء بمستواه على الصعد كافة، لذا كان من ضمن اهتماماته، عنایته بالتاریخ، بوصفه أداة لتریة الإنسان وتطویر قدراته العقلیة من خلال انتفاعه من تجاریه عبر العصور

## المقدمة

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هو أبو الأئمة المعصومين عليهم السلام أجمعين، إمام فذ يقتدى به، ويستضاء بسيرته العطرة، فحياته مدرسة للأجيال، وسيرته المباركة تجسيد لأمل الشرائع والحضارات، وواجب على كل مسلم أن يستوحى من سيرته، ويختط عليه طريقه في العلم والعمل في مجالات الحياة كافة.

لقد أولى الإمام علي عليه السلام عناية كبيرة بكل ما تعلق بالمجتمع، حاولاً بناء الإنسان والارتقاء بمستواه على الصعد كافة، لذا كان من ضمن اهتماماته، عنايته بالتاريخ، بوصفه أداة لتربية الإنسان وتطوير قدراته العقلية من خلال انتفاعه من تجاربه عبر العصور، وهو ما تجلّى في وصيته لابنه الإمام الحسن عليه السلام: «أي ببني إني وإن لم أكن عمرت عمر من كان قبلني فقد نظرت في

أعمالهم وفكرت في أخبارهم وسرت في آثارهم حتى عدت ك أحدهم، بل كأني بما انتهى إلى من أمرورهم قد عمرت مع أولهم إلى آخرهم فعرفت صفو ذلك من كدره ونفعه من ضررها فاستخلصت لك من كل أمرٍ نحيله وتوخيت لك جميله، وصرفت عنك مجھوله، ورأيت حيث عنانني من أمرك ما يعني الوالد الشفيف وأجمعت عليه من أدبك أن يكون ذلك وأنت مقبل العمر ومقبل الدهر، ذؤنية سليمة ونفس صافية...»<sup>(١)</sup>.

لذا جاء اختيارنا لهذا المشروع الباحثي الذي وسمناه بـ(مفهوم علم التاريخ وأهميته في فكر الإمام علي عليه السلام).

ولم يكن اختيارنا لهذا الموضوع جزافاً، أو محض مصادفة، إنما كان طموحاً طالما تمنينا تحقيقه، لأسباب متعددة، في طليعتها رغبتنا الشخصية في الاطلاع على مناقب هذه الشخصية



عن حقيقة الأشياء) التي أفصحت عنها (جهود الإنسان)<sup>(٢)</sup>.

ويختلف مصطلح (التاريخ) عن مصطلح (فلسفة التاريخ)، لأن المصطلح الأخير الذي ينتمي بجذوره إلى ابن خلدون (ت ١٤٠٦هـ / ١٨٠٨م) من حيث المنهج والمضمون، وفولتير (ت ١٧٧٨م) من حيث التسمية<sup>(٣)</sup>.

يسعى إلى (دراسة التاريخ من وجهة نظر الفيلسوف دراسة عقلية ناقدة)<sup>(٤)</sup>، بهدف تنقية الدراسة التاريخية المثقلة بالسرد. وغاية فلسفة التاريخ الرئيسة احتواء الظاهرة التاريخية المراد دراستها وتحديدها علمياً، بهدف الوصول إلى صياغة (قوانين، وأحكام كلية تساعد على التنبؤ بالمستقبل في ضوء تجربة الماضي وسيرورة التاريخ)<sup>(٥)</sup>.

إلا أنَّ كل ما سبق من جهود في مجال تنظير علم التاريخ واستظهار فلسفته لم تكن سوى محاولات عابرة أضافت لعلم

العملاقة وجانب من آثارها العلمية القيمة، فضلاً عن قصور الدراسات الأكاديمية والبحثية في ميدان أئمة أهل البيت عليهم السلام في الجامعات العراقية، وحاجتنا الماسة إلى فهم الفكر الإسلامي الأصيل الذي مثله الإمام علي عليه السلام، مما يمكننا الإفادة منه في حل كثير من الإشكالات والتحديات التي تواجه المجتمعات الإنسانية في الوقت الحاضر.

ولأجل ذلك بحثنا في بطون مصادر التراث الإسلامي عن كل ما يرفد الموضوع من معلومات ذات صلة.

## **أولاً: مفهوم التاريخ عند الإمام**

### **علي عليه السلام**

التاريخ واحد من العلوم الإنسانية التي ذهبت آراء العلماء فيه مذاهب شتى - لا مجال للإفاضة فيها هنا - لعل أوفاها تعريف (كولنجدود) بأنه (نوع من أنواع البحث العلمي) يستهدف (الكشف

أو أنها كانت قليلة مقارنة بغيرها من العلوم والمعارف ، مستندين في ذلك الى قلة ما وصل إلينا من التراث الفكري للإمام ذي الصلة بهذا العلم. لكن المتذبذب في هذا التراث الشر يجد ذلك اعتقاداً لا يصمد أمام التحليل العلمي والشواهد التاريخية ، إذ تضمن تراثه الفكري عليه السلام إشارات تاريخية كثيرة ، بعضها كان مباشراً وأخرى كانت غير مباشرة. ومن الإشارات المباشرة وصيته عليه السلام إلى ابنه الإمام الحسن عليه السلام : «احي قلبك بالموعظة...» واعرض عليه أخبار الماضين ، وذكره بما أصاب من كان قبلك من الأولين ، وسر في ديارهم وآثارهم فانظر فيما فعلوا ، وعما انتقلوا ، وأين حلوا ونزلوا ، فانك تجدهم انتقلوا عن الأحبة ، وحلوا دار الغربية ، وكأنك عن قريب قد صرت كأحدهم...»<sup>(٦)</sup>.

التاريخ نزراً يسيراً من المسوغات التي عكست نظرته إلى الحياة ، وأطربته بقوانين معينة ، ياللأسف نسبت إلى غير أصحابها الفعليين ، فالمتذبذب في تراث المسلمين يجد فكر الإمام علي عليه السلام الذي هو انعكاس للقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة مورداً للأفكار وموطنها ، إذ عرض عليه السلام أمثلة متنوعة من التاريخ بهدف التوصل الى قوانين يهتدى في ضوئها البشر ويساعده على التنبؤ بما سيكون عليه المستقبل ، وهذا يطابق تماماً ما سعى الى تحقيقه فلاسفة التاريخ في استخلاص قوانين وأحكام تساعده على التنبؤ بالمستقبل . لكن مما يؤسف له أن كثيراً من المختصين والمتقين اعتقدوا أن الإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام كان قد اعنى بعلوم الدين والتربية واللغة والعلوم الصرفة ، ولم يجد عناية بالتاريخ.

الإسلامية بوجه خاص؛ وكذلك ما كتبه عليه السلام في عهده مالك الأشتر، ونصه: «ثم اعلم يا مالك إني وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور»<sup>(١٠)</sup>. ودل هذا على اطلاع واسع بالتاريخ ومراحل تطور الأمم وانخراطها، فضلاً عن مراعاة خصوصية مصر الحضارية.

وما تقدم يتبيّن بصورة واضحة عنية الإمام علي عليه السلام بالتاريخ، وإمامه بمعارفه، منطلاقاً في ذلك من إدراكه الكامل بأنه أداة هامة لا غنى عنها في حل كثير من الإشكاليات السياسية والثقافية وغيرها، إلا أن ما ميز عنيته تلك أنها لم تكن كعنية القاصي الذي يبحث عن القصص ليقنع الناس بما يحلو له، أو كالسياسي الذي يبحث عن الحيل وأساليب التمويه ليقنع الشعب بسياسته، ويكتب جماح روح التغيير والإصلاح عندهم<sup>(١١)</sup>.

ومنها أيضاً وصيته الأخرى للإمام الحسن عليهما السلام ونصها: «أيبني، إني وإن لم أكن عمرت عمر من كان قبلي، فقد نظرت في أعمالهم، وفكرت في أخبارهم، وسرت في آثارهم، حتى عدت لأحدهم، بل كأني بما انتهى إلي من أمورهم قد عمّرت مع أولئمهم إلى آخرهم، فعرفت صفو ذلك من كدره، ونفعه من ضرره»<sup>(٧)</sup>.

ومن الشواهد الأخرى على عناته بالتاريخ، وصيته عليه السلام للناس: «إن لكم في القرون السالفة لعبرة»<sup>(٨)</sup>.

ولعل من أكثر الشواهد دلالة على عمق أهمية التاريخ عنده عليه السلام في حياة الفرد والمجتمع، مشورته عليه السلام لعمر بن الخطاب بتسجيل التاريخ الإسلامي من تاريخ الهجرة، بعد رفض كتابة التاريخ بالقويم الروماني أو الفارسي<sup>(٩)</sup>.

ودل هذا على وعيه بالخصوصية التاريخية للشعوب بصورة عامة ولالأمة

الخارج من يدي ، وما على إلا بذل الجهد وببلغ الوسع ، وعلى الله سبحانه نهج السبيل ورشاد الدليل إن شاء الله<sup>(١٢)</sup> .

وهذا يعني أن كثيراً من كلام أمير المؤمنين عليه السلام وارثه العلمي لم يصل إلى الشريف الرضي وبالنتيجة لم يصل إلينا ، وعزز أحد الباحثين وجهة النظر هذه بقوله : (إن منهج الشريف الرضي في تأليف كتاب نهج البلاغة اختيار محسن الخطب ثم محسن الكتب ثم محسن الحكم والأدب ، وقد أدى هذا المنهج بطبيعة الحال إلى إهمال الكثير من النصوص السياسية والفكرية ؛ لأنه لم يكن في الذروة من الفصاحة والبلاغة)<sup>(١٣)</sup> .

## **ثانياً: مصادر المعرفة التاريخية عند الإمام علي عليه السلام**

لم يعتمد الإمام علي عليه السلام في مطالعته لأحداث التاريخ على نوع واحد من المصادر ، إنما جملة مصادر أسهمت بصورة مجتمعة في تكوين ثقافته التاريخية المتميزة ، كان في طليعتها (القرآن

وإنما عناء رجل عرف خالقه حق معرفته فعرف من خلاله حقوق رعيته ، إذ هو صاحب فكر وحضارة وثقافة ، سعى عبر استيعابه للتاريخ إلى توظيف جهود الإنسانية الماضية في حل المشاكل المعاصرة ، وتعزيزها بما يمكن أن يوفر السعادة للإنسان ، ويسهم في بناء مجتمع تسوده العدالة والأمن والاستقرار والتحضر .

وأمام ما تقدم نجد أنفسنا ملزمين بالإجابة عن تساؤل مفاده : إذا كان الإمام علي مهتماً بقراءة التاريخ وكتابته . فلماذا ما وصل إلينا من نصوص بهذا المجال قليلة إذا ما قورنت مع غيرها من النصوص ؟

ولا نجد إجابة أوضح مما ذكره (الشريف الرضي) بقوله : (لا أدعني أنني أحبط بأقطار جميع كلامه عليه السلام حتى لا يشدعني منه شاذ ولا يندناد ، بل لا أبعد أن يكون القاصر عني فوق الواقع إلى ، والحاصل في ريقتي دون

أنزلت وأين أنزلت إنّ ربِّي وهب لي قلباً  
عقولاً ولساناً سُؤولاً<sup>(١٥)</sup>.

وفي هذا الصدد قال عبد الله بن مسعود: (إن القرآن أنزل على سبعة أحرف ما منها حرف إلا له ظهر وبطن، وأن علي بن أبي طالب عليه السلام عنده علم الظاهر والباطن)<sup>(١٦)</sup>.

لذلك أثر منهج القرآن وموضوعه في فكر الإمام عليه السلام التاريجي<sup>(١٧)</sup>.

وقد مثل (التعليم الخاص) منها لآخر رفد معارف الإمام عليه السلام التاريجية، إذ إن تربيته في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله كان لها أثر في ثقافته التاريجية<sup>(١٨)</sup>.

لأن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله خصه بعلم جم دون غيره من سائر الناس، ومنه علم التاريخ، حتى قال فيه صلى الله عليه وآله: «أنا مدينة العلم وعلى بيها»<sup>(١٩)</sup>.

الكريم)، الذي يُعد مصدر التشريع الأول لل المسلمين، وأحد المصادر التي لا يمكن لأي مهتم بطالعة التاريخ والإفادة من تجارب أحداه أن يستغني عنها، لأنّه سجل لأحداث تاريخية مهمة وقعت في أزمنة وأمكنة مختلفة.

وقد تضمن كثيراً من الأخبار التاريجية عن الأمم السالفة والرسل والأنبياء، بهدف العبرة والاعتبار، كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

ومعلوم أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان أفضل الناس من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله في معرفة القرآن الكريم بعلومه المختلفة من تفسير وقراءات وأسباب نزول وغيرها، وهو ما أشار إليه الإمام علي عليه السلام صراحة بقوله: «والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم

وكانت العربية واللغات الأخرى طوع لسانه، وهو أمر يكتننا الاستنتاج بأنه عليه السلام كان قد قرأ مصنفات كثيرة بالأدب والتاريخ، لا نعرف عنواناتها تماماً، لكن بطبيعة الحال أنها كانت مدونات متداولة في المنطقة التي تواجد فيها، إذ كانت غالبية ثقافتها الأدب والتاريخ<sup>(٢٣)</sup>. واعتمد الإمام علي عليه السلام في معرفته التاريخية على (الأثار القديمة)، التي تُعد من المصادر الرئيسة للمعرفة التاريخية، بدليل ما ورد في وصيته لابنه الحسن عليهما السلام: «وسرت في آثارهم»<sup>(٢٤)</sup>.

ولاسيما إذا ما علمنا أن الإمام عليه السلام كان قد جاب الجزيرة العربية واليمن والعراق والشام، التي كانت مواطن الحضارات السالفة، وما زالت بعض آثارها شاخص حتى اليوم<sup>(٢٥)</sup>. وشكل (الحوار الحضاري مع الآخرين) منهلاً إضافياً لمعرفة الإمام التاريخية، إذ شكلت هذه الحوارات مع علماء الثقافات

وبالسياق نفسه قال الإمام علي عليه السلام: «علمني رسول الله ألف باب من العلم كل باب يفتح منه ألف باب»<sup>(٢٠)</sup>. ولما سأله عبد الله بن عباس) عن تفسير هذا الحديث قال : (والله لقد أعطى علي بن أبي طالب تسعة عشر العلم ، وأيام والله لقد شارككم في العشر العاشر)<sup>(٢١)</sup>. وأسهمت (السنة النبوية الشريفة) بنسبة كبيرة في تنمية المعرفة التاريخية للإمام علي عليه السلام ، لأنها تضمنت معارف تاريخية متنوعة وظفت غاليتها في شرح القرآن الكريم ، وأخرى في موعظة الناس ونصحهم ، وكان أمير المؤمنين عليه السلام من أعلم الناس بالسنة الشريفة ، لأنه عاش في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله ورافقه من صغره ، وكان أول من أعلن تأييده لدعوته ، ولم يفارقها إلى أن استشهد ، فكان هذا مبعثاً إلى أن يستوعب كل معارف السنة النبوية بما فيها من معارف تاريخية<sup>(٢٢)</sup>.

أحداث التاريخ فحسب بل تفسيرها وفلسفتها، وهذا دل على موسوعية معارفه التاريخية.

لقد تناول الإمام عليه السلام أحداث التاريخ بنظرة كلية شاملة، لأنه لم يكن مؤرخاً، بل إنما رجل دولة وحاكم، وصاحب عقيدة ورسالة، لذا تعامل مع التاريخ بوصفه حركة تكوين شخصية الإنسان الحاضرة والمستقبلية، وأداة على درجة كبيرة من الخطورة في عملية التربية والتحرك السياسي<sup>(٢٨)</sup>.

وكذلك انطلق عليه السلام في تفسيره لأحداث التاريخ من أنها سنة إلهية، عبر عنها القرآن الكريم بقوله:  
**﴿سُنَّةُ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾**<sup>(٢٩)</sup>.

فأشار إلى قضية مهمة مقتضاها: أن الذنب الذي يقترفه شخص ما في مجتمع معين لا تقتصر تبعاته وتداعياته على هذا الشخص فحسب، بل تشمل بذلك كل

الأخرى مصدراً لمعارفه الأدبية والتاريخية، ففي شرح خطبه عليه السلام: «لا همامنة نفس اضطرب فيها»<sup>(٢٦)</sup>.

قال (ابن أبي الحديد): (فيه رد على المحسوس والثنوية القائلين بالهمامة، ولهم فيها خطب طويل يذكر أصحاب المقالات، وهذا يدل على صحة ما يقال: إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يعرف آراء المتقدمين والمؤخرین، ويعلم العلوم كلها، وليس ذلك بعيداً من فضائله ومناقبه عليه السلام)<sup>(٢٧)</sup>.

### ثالثاً: تفسير التاريخ وفلسفته عند الإمام علي عليه السلام

إن المتذمّر في التراث الفكري للإمام علي عليه السلام يجد فيه كثيراً من الروايات التاريخية التي لم تقتصر على زمان أو مكان محددين، إنما كانت شاملة لأحداث وقعت في الماضي البعيد ومروراً بالماضي القريب من عصره، كما يلحظ أنه عليه السلام لم يقتصر على رواية

تَبْعِدُ وَآثِرُوهَا أَيْ إِيَّا... فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ  
الدُّنْيَا سَخَّتْ لَهُمْ نَفْسًا بِغَدِيَّةٍ... فَيُشَتَّتِ  
الدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَتَهَمَّهَا وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى  
وَجْلٍ مِنْهَا فَاعْلَمُوا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ بِإِنْكُمْ  
تَارِكُوهَا»<sup>(٣٢)</sup>.

وهذا يعني أن الإمام علي عليه السلام كان قد وضع نصب عينيه عاملين، عامل التغيير والتقلب في أحوال الحياة، وعامل الزمن الذي يغير أحوال الحياة بصورة مستمرة، لأن وعي الإنسان بهذين العاملين وإدراكه لأثرهما في حياته يجعله قادراً على مواجهة الحياة بكل تقلباتها الإيجابية والسلبية. وتكمّن فلسفة التاريخ في فكر الإمام علي عليه السلام بتقديم تجربة ناضجة للإنسان وعظة وعبرة، دلّ على ذلك الإشارات التاريخية التي وردت في تراثه الفكري عن الأقوام القدية، مثل العملاقة، والفراعنة، وأصحاب مدين<sup>(٣٣)</sup>. وفسّر ذكره لها في وصيته للناس عامةً: «إِنَّ لَكُمْ فِي الْقَرْوَنِ

أَفْرَادُ الْجَمَعِ الَّذِينَ رضوا بِهَذَا الْفَعْلِ وَلَمْ  
يَتْحِرِكُوا التَّغْيِيرَهُ وَتَصْحِيفَ مَسَارِهِ،  
مَسْتَنِدًا فِي ذَلِكَ إِلَى قِرَاءَتِهِ الْإِجمَالِيَّهُ  
لِأَهْدَافِ التَّارِيخِ الْإِنْسَانِيِّ، كَمَا حَصَلَ  
لِقَوْمٍ ثُمُودًا لَمَّا عَقَرُوا النَّاقَهُ، إِذْ كَانَ الْعَاقِرُ  
شَخْصًا وَاحِدًا، لَكِنْهُمْ رضوا بِهِ لَذَا  
شَملُهُمُ الْعَذَابُ»<sup>(٣٠)</sup>.

وفي هذا الصدد قال: «أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنَّمَا يَجْمِعُ النَّاسُ الرَّضَاءَ وَالسُّخْطَ وَإِنَّمَا  
عَقَرَ نَاقَهُ ثُمُودٌ رَجُلٌ وَاحِدٌ مِنْهُمْ فَعَمِّمَهُمْ  
اللهُ بِالْعَذَابِ لِمَا عَمِّوْهُ بِالرَّضَاءِ...»<sup>(٣١)</sup>.

لقد دعا الإمام علي عليه السلام إلى اعتماد التاريخ لإعداد أفراد المجتمع عبر الاطلاع على تجاربه، في سبيل مواجهة الحياة بواقعية وصدق، وتجنب اللهوات وراء الأحلام الكاذبة وغرور الدنيا. وهو ما يتوضّح ما ورد في إحدى خطبه:  
«الْسُّتُّمُ فِي مَسَاكِنِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ  
أَعْمَارًا وَأَبْقَى آثَارًا وَأَبْعَدَ آمَالًا وَأَعَدَّ  
عَدِيدًا وَأَكْثَفَ جُنُودًا تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ

الظلم، فالإمام يرى أن من سنة الله تعالى في الحياة أن تبلغ الأمم قمة ازدهارها وقوتها المادية، فإذا لم تحافظ على شخصيتها الروحية، سارت في طريق الذبول والفناء.

وبهذا الصدد ألف المفكر الأوربي المعاصر (كولن ويلسون) كتاباً نال شهرة عظيمة، حمل عنوان (اللامنتمي) تنبأ فيه بسقوط الحضارة المعاصرة، كما تنبأ بذلك قبله الفيلسوف (شبنجلر) الذي ذهب إلى أن الحضارة مثلها كمثل أي كائن حي، تبدأ وتنمو وتقوى ثم تذبل وتموت<sup>(٣٥)</sup>، وهذا ليس بجديد على الفكر الإنساني، فالقرآن الكريم قد طرح هذه النظرية وناقشها وطرح العالجات كذلك، قال تعالى في كتابه العزيز:

**﴿ حَسْنَى إِذَا أَخْنَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْيَّتْ وَظَرَنَ أَهْلَهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاها ﴾**

السالفة لعبرة! أين العمالقة، وأبناء العمالقة! أين الفراعنة، وأبناء الفراعنة! أين أصحاب مدائن الفرس الذين قتلوا النبيين، وأطقووا سنن المسلمين، واحيوا سنن الجبارين! أين الذين ساروا بالجيوش، وهزموا الألوف، وعسكروا العساكر، ومدنوا المدائن»<sup>(٣٤)</sup>.

والذي يفهم من النص المذكور آنفًا أنَّ من الرؤى الفلسفية في مجال التاريخ عند الإمام عليه السلام، التنبؤ بدورة حياة الأمم وحضاراتها، والإجابة عن أسئلة كثيرة تتعلق بهذا الخصوص، منها: ما المراحل التي تمر بها الحضارة؟ وكيف يمكن لها أن تستقر؟

وما السبب الرئيس في استقرار الحضارات وخلودها؟ وغيرها من الأسئلة، ومفاد إجابته لها هو أن استقرار الأمم وخلودها يرتبط ارتباطاً مباشراً بالتزامها بالأخلاق والمبادئ السامية التي تضمن حقوق الأفراد كافة وتحمّل عنهم

## حَسِيداً كَأَنْ لَمْ يَقُنْ

بِالْأَمْسِ ﴿٣٦﴾ .

رسول الله وأصحابه المنتجبين الذين  
تحملوا متابعة نشر الدعوة الإسلامية  
وإعلاء كلمة الله تعالى، كما في وصيته:  
 «إن من أبغض الرجال إلى الله لعبدًا وكله  
الله إلى نفسه، جائزًا عن قصد السبيل،  
سائراً بغير دليل، إن دعى إلى حرث  
الدنيا عمل، وإن دعى إلى حرث الآخرة  
كسل، لأن ما عمل له واجب عليه،  
وكان ما ونى فيه ساقط عنه وذلك زمان  
لا ينجو فيه إلا كل مؤمن نومة إن شهد  
لم يعرف وإن غاب لم يفتقد. أولئك  
مصالح الهدى، وأعلام السرى... يفتح  
الله لهم أبواب رحمته، ويكشف عنهم  
ضراء نقمته» <sup>(٣٨)</sup>.

وتطرق الإمام علي عليه السلام في بعض خطبه إلى الملامح العامة لحياة العرب قبل البعثة، مفسّرًا حدوثها ومبيّنًا علتها، فنسب علة سوء حالتهم الاقتصادية إلى عدم الدولة التي تجمعهم أو وحدة سياسية نظمت حياتهم القبلية، عبر عنها

وهو ما سار بأثره أمير المؤمنين عليه السلام وحاول تبصير الناس به عبر خطبه ووصاياته ومنها: «أوليس لكم في آثار الأولين مزدجر وفي آبائكم الماضين تبصرة ومعتبر إن كنتم تعقلون، أو لم تروا إلى الماضين منكم لا يرجعون، وإلى الخلف الباقي لا ييقون، أو لستم ترون أهل الدنيا يصبحون ويمسون على أحوال شتى، فميّت بيّكى وآخر يعزى، وصربيع مبتلى، وعائد يعود وآخر بنفسه يجود، وطالب للدنيا والموت يطلبه، وغافل وليس بمغفول عنه، وعلى أثر الماضي ما يمضي الباقي ألا فاذكروا هادم اللذات، ومن غض الشهوات، وقطاع  
 الأمنيات» <sup>(٣٧)</sup>. وربط الإمام علي عليه السلام يقظة الأمم والمجتمعات بإمكانيات قادتها، لذا أشار إلى صنع رجال المرحلة القادرين على تحمل أعباء الأمة، مثل

المعطلة وغير المعطلة، وقصد بالمعطلة من أنكر الخالق والبعث والإعادة، وقال تعالى على لسانهم: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَا تِنَا الدُّنْيَا نُمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَخْنُ بِمَبْعُوثِين﴾<sup>(٤٣)</sup>.

ومن اعترف بالخالق وأنكر البعث، وهم الذين نزل فيهم قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْكِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾<sup>(٤٤)</sup>.

ومن أقرروا بالخالق وأنكروا الرسل، وعبدوا الأصنام التي عدوها شفعاء عند الله في الآخرة، وحجوا إليها وقربوا القرابين لها، الذين قال عنهم القرآن: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَا كُلُّ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ قَيْكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾<sup>(٤٥)</sup>.

والمشبهة والمحسنة، ومنهم (أمية بن أبي الصلت)<sup>(٤٦)</sup> الذي من شعره: من فوق عرش جالس قد حط رجليه إلى كرسيه

بتصریحات عديدة، منها: «ظل ألفه يعتمدون على عزها... الأحوال مضطربة، والأيدي مختلفة، والكثرة متفرقة»<sup>(٤٩)</sup>. وهو ما سهل أن يكونوا لقمة سائفة بيد الأكاسرة والقياصرة، الذين صادروا خيراتهم فجعلوهم «أذل الأمم داراً... وأجدبهم قراراً»<sup>(٤٠)</sup>، مما ترتب على ذلك آثار سلبية أجملها بقوله: «بلاء أزل، وأطباق جهل، من بنات مؤودة، وأصنام معبدة، وأرحام مقطوعة، وغارات مشونة»<sup>(٤١)</sup>.

كما أشار الإمام عليه السلام إلى تاريخ معتقدات العرب الدينية قبلبعثة، محاولاً استجلاءها وتوضيح صورتها بوصفها إحدى أسباب تردي أحوال العرب وتشتيتهم إلى قبائل متاحرة جعلت منهم أمة ضعيفة، بقوله: «أهل الأرض يومئذ ممل متفرقة»<sup>(٤٢)</sup>.

وقد أوضح (ابن أبي الحميد) أن الإمام عليه السلام قسم العرب إلى



## مفهوم علم التاريخ وأهميته في فكر الإمام علي عليه السلام ..... الطبعة الثانية

الضعن حياً وميتاً، لأنه بعد أن أصيب نصب رحماً واتكأ عليه، وأشار إلى الضعائن بالروح، ومات، وتصور أعدائه انه حي فلم يهاجموا الضعائن حتى سلمت<sup>(٥٣)</sup>.

ومن الأمور الأخرى التي تحدث عنها الإمام علي عليه السلام في مجال تاريخ العرب قبلبعثة، أنهما كانوا مجتمع أمي لا يعرف القراءة والكتابة إلا عدد قليل منهم قد لا يتجاوزون أصابع اليد، كما في خطبته: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِّنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً»<sup>(٥٤)</sup>.

### رابعاً: فوائد التاريخ عند الإمام

#### علي عليه السلام

كثيرة فوائد التاريخ التي وردت في التراث الفكري للإمام علي عليه السلام، وقد تنوّعت بين ترغيب وترهيب وإنذار واعتبار وتسلي وتأسي ونصح وغيرها، وفي طليعتها استعمال

المنصوب<sup>(٤٧)</sup>. فضلاً عن من اعتقد بالتناسخ وتنقل الأرواح في الأجساد، ومنهم أرباب الهامة، والهامة شيء يخرج من القبر على شكل صوت، وقد أنكره رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: «لا عدو ولا هامة ولا صفر»<sup>(٤٨)</sup>. ومن مال منهم لليهودية كملوك اليمن، أو إلى النصرانية كبني تغلب والعبادين وأهل نجران، والى الصابئة والقول بالنجوم<sup>(٤٩)</sup>. أما غير المعطلة فهم أصحاب الورع والتحرّج عن القبائح، وقسمهم إلى أفراد مثل: عبد المطلب وولديه عبد الله وأبي طالب، وزيد بن عمرو بن نفيل<sup>(٥٠)</sup>، وقيس بن ساعدة الأبيادي وغيرهم<sup>(٥١)</sup>، وجماعات مثل: (بني فراس بن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة)<sup>(٥٢)</sup>، إذ تمنى أن يكون له ألف فارس منهم بدلاً من الألوف التي كانت معه، وجدهم هو (ريعة بن مقدم بن حرثان بن جذية بن علقة بن فراس)، وعرف بأنه حامي

استخدام سير الأنبياء والأولياء الصالحين في تهذيب النفس وتحويل تاريخهم إلى منهاج أخلاقي يتبعه المؤمن في مسيرة حياته اليومية، وهو ما أشار إليه صراحة في خطبته : «أيها الناس إني قد بثت لكم الموعظ التي وعظ الأنبياء بها أنتم، وأديت إليكم ما أذت الأوصياء إلى من بعدهم»<sup>(٥٦)</sup>.

وان معرفة كيفية الخلود في الأولى وكسب الآخرة تتأتى من حسن سيرة الفرد وأعماله الحسنة التي تترك تأثيراً في نفوس الآخرين، وهو ما يفهم من وصاياه عليه السلام، ومنها : «وعظمت من كان قبلكم»<sup>(٥٧)</sup> ، و«فانقضوا عباد الله بالصبر النوافع»<sup>(٥٨)</sup> ، و«احذروا ما نزل بالأمم قبلكم من المشكلات بسوء الأفعال وذميم عمال»<sup>(٥٩)</sup> . ومن فوائد التاريخ الأخرى التي أشار إليها الإمام علي عليه السلام معرفة التوقيت الذي يفيد في أمور الدنيا المختلفة ، من أمور

المادة التاريخية لتحقيق الغاية الأسمى من نزول القرآن الكريم ومجيء الإسلام، وهي دفع الأفراد إلى التوحيد والاعتراف بوحدانية الباري جل جلاله ، بهدف خلق مجتمع مستقر تسوده العدالة والتكافل ، وذلك في ضوء تقلب الأدوار ، إذ إنَّ في ذلك تنبية للغافلين وعظة للمتعزين ، كما في وصيته : «واصطفى سبحانه من ولده أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم ، وعلى تبليغ الرسالة أmantهم لما بدل أكثر خلقه عهد الله إليهم فجهلوا حقه ، واتخذوا الأنداد معه ... ببعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبياء ليست أدواتهم ميشاق فطرته ، ويدركوهم منسي نعمته ويحتاجوا عليهم بالتبليغ ويشروا لهم دفائن العقول... ومضت الدهور وسلفت الآباء وخلفت الأبناء إلى أن بعث الله سبحانه محمدا رسول الله صلى الله عليه وآلـه لإنجاز عدته وتمام نبوته»<sup>(٥٥)</sup> . ومن فوائده أيضاً



## مفهوم علم التاريخ وأهميته في فكر الإمام علي عليه السلام ..... النبیین

الذكرى والتبصرة والإرشاد الى الصواب وتجنب الخطأ في ضوء الإفادة من تجارب الإنسان في الماضي ، التي أكدتها بأكثر من وصية ، ومنها : «وعظتم بمن كان قبلكم... واحذروا ما نزل بالأمم قبلكم»<sup>(٦٢)</sup> . ومن فوائد التاريخ الأخرى وعي الناس بالزمن امثلاً لقوله تعالى : **﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾**<sup>(٦٣)</sup> .

وقد سعى أمير المؤمنين عليه السلام إلى إعمامها بين الناس بهدف منفعتهم بها ، وهو ما يظهر واضحاً من خطبه ووصاياته ، ومنها : «إني أحذركم الدنيا فإنها حلوة خضراء حفت بالشهوات وتحبب بالعاجلة ، وراقت بالقليل ، وتخللت بالأعمال ، وتزينت بالغرور ، لا تدوم حبرتها ، ولا تؤمن فجعتها ، غرارة ضرارة ، حائلة زائلة نافدة بائدة ، أكالة غواة»<sup>(٦٤)</sup> .

دينية متعلقة بالصلة والصيام والزكاة إلى أمور أخرى متعلقة بالعمل ، وهو الأمر الذي دفعه إلى تقديم مشورته لل الخليفة عمر بن الخطاب بتسجيل التاريخ الإسلامي من تاريخ الهجرة<sup>(٦٥)</sup> .

وعد الإمام عليه السلام معرفة أخبار الأمم الماضية والأقوام السالفة ، كقوم نوح وقوم موسى وهارون وفرعون وغيرهم ، من الفوائد المهمة للتاريخ ، كما في خطبته : «إن لكم في القرون السالفة لعبرة ! أين العمالقة ، وأبناء العملاقة ! أين الفراعنة ، وأبناء الفراعنة ! أين أصحاب مدائن الفرس الذين قتلوا النبيين ، وأطفئوا سنن المرسلين ، وأحيوا سنن الجبارين ! أين الذين ساروا بالجيوش ، وهزموا الألوف ، وعسكروا العساكر ، ومدنوا المدائن»<sup>(٦٦)</sup> .

ما يوفر للإنسان فرصة للاعتبار والحكمة من حوادث الماضي لأنها دلالات للتفكير ، فضلاً عن تقديمها

ن غالٍ إذا ما قلنا إنه إجراء حضاري انفرد عليه السلام باتخاذه، ولم يقلده فيه أي حاكم - بحسب ما تناهى إليه علمنا - حتى ساعة كتابة هذا البحث، وهي نشر الثقافة التاريخية بين أفراد المجتمع، ويتحمل مسؤولية ذلك والي المدينة المكلف بإدارتها، وهو ما تجلّى بوصيته عليه السلام إلى عامله على مكة (قثم بن العباس)<sup>(٦٦)</sup>، وورد فيها: «أما بعد فأقم للناس الحج وذكّرهم بأيام الله»<sup>(٦٧)</sup>؛ والأيام هو التاريخ، إذ إنَّ هذا المصطلح كان مرادًّا للفظة التاريخ عند العرب.

### الخاتمة

١. لم يتعامل الإمام علي عليه السلام مع التاريخ معاملة المؤرخ والباحث عن القصص، أو معاملة السياسي الباحث عن الحيل السياسية وأساليب التمويه، بل معاملة رجل الدين والعقيدة ورجل الدولة والقائد والمفكر المستقبلي.

وعد عليه السلام صنع المجتمعات المتحضرة التي يمكن لها أن تستمر باستمرار أخلاقها ومبادئها الفاضلة، كالتوحيد والتقوى والعدالة والإيثار والمحبة والتعاون والصبر والأمر، بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن بقاءها مرهون بأخلاقها، من فوائد التاريخ ومهامه الرئيسة، وهو ما يفهم من وصيته: «الستم في مساكن من كان قبلكم أطول أعماراً، وأبقى آثاراً وأبعد آمالاً، وأعد عديداً، وأكشف جنوداً، تعبدوا للدنيا أي تعبد، وأثروها أي إشار، ثم ظعنوا عنها بغير زاد مبلغ ولا ظهر قاطع فهل بلغكم أن الدنيا سخت لهم نفسها بفدية، أو أعانتهم بمعونة أو أحست لهم صحبة»<sup>(٦٨)</sup>. إن هذه الفوائد الكثيرة التي حاول الإمام علي عليه السلام استظهارها للناس لتعم فائدتها في خلق سعادة الفرد، ومن ثمَّ استقرار المجتمع وتحضره، إذ وضع في حسبانه تعليم التاريخ. ولعلنا لا

ذلك هو قلة المدونات التي وصلت إلينا عن تلك المدة الزمنية.

٥. نوصي بتفعيل الدراسات الأكادémie عن أهل البيت عليهم السلام ودورهم في تطوير الحضارة الإنسانية، وأن يدرس هذا الموضوع (مفهوم التاريخ عند الإمام علي) برسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه.

- (١) الرضي، نهج البلاغة، ج ٣ / ص ٤١.
- (٢) فكرة التاريخ، ص ٤١ - ص ٤٣.
- (٣) ينظر: الدليمي، فلسفة التاريخ والحضارة، ص ٥٦ - ص ٥٧.
- (٤) صبحي، في فلسفة التاريخ، ص ١٢٣.
- (٥) الدليمي، فلسفة التاريخ والحضارة، ص ٥٨.
- (٦) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ج ٣ / ص ٣٩. وينظر: ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص ٦٩؛ المتقي الهندي، كنز العمل، ج ١٦ / ص ١٦٨.
- (٧) الرضي، نهج البلاغة، ج ٣ / ص ٤١.
- (٨) المصدر نفسه، ج ٢ / ص ١٠٧.
- (٩) النسأبوري، المستدرک، ١٥/٣؛ السخاوي، الإعلان بالتوبیخ، ١٤٢؛ السیوطی، الشماریخ، ٢٣.

٢. تعامل الإمام عليه السلام مع التاريخ بوصفه الحرك، تتشكل معه حركة الإنسانية باتجاه أعماله وهي التي تحرّك نوازعه الداخلية، وتوثّر من ثم في حركة الإنسان واتجاهه سواءً أكان خيراً أم شراً.

٣. اتخاذ الإمام عليه السلام من التاريخ موعظةً ودروسًا تهيئ الفرصة أمام الناس ليتعظوا بنسبتهم من الأمم، ويعتبروا بتجاربهم، لذا شدد على الاعتبار من هذا وكرر على الناس تلك الدروس، حتى لا يقعوا في محظوظ الأمور فتؤدي بهم إلى التهلكة.

٤. يُعد التراث الفكري للإمام علي عليه السلام، في أحد جوهره، مصدرًا مهمًا لدراسة التاريخ، ولا سيما ما تعلق منه بتاريخ العرب قبلبعثة، إذ إنَّ معظم معلوماتنا عن هذه المدة الزمنية تعتمد اعتمادًا كبيرًا على القرآن الكريم، وسبب

- (١٩) الطبراني، المعجم الكبير، ج ١١ / ص ٥٥ ؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٣ / ص ١١٠٢ .
- (٢٠) المقيد، الاختصاص، ص ٥٧٢ .
- (٢١) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٣ / ص ١١٠٤ ؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٤ / ص ٢٢ ؛ العاملي، أعيان الشيعة، ج ١ / ص ٣٤١ .
- (٢٢) شمس الدين، حركة التاريخ عند الإمام علي، ص ٣١ .
- (٢٣) المرجع نفسه، ص ٣٤ - ٣٧ .
- (٢٤) نهج البلاغة، ج ٣ / ص ٤١ .
- (٢٥) شمس الدين، حركة التاريخ عند الإمام علي، ص ٣٤ - ٣٧ .
- (٢٦) الرضي، نهج البلاغة، ج ١ / ص ١٦ .
- (٢٧) شرح نهج البلاغة، ج ١ / ص ٨٠ .
- (٢٨) شمس الدين، حركة التاريخ عند الإمام علي، ص ٥٠ .
- (٢٩) الأحزاب: ٦٢ .
- (٣٠) الرضي، نهج البلاغة، ج ٢ / ص ١٨١ .
- (٣١) المصدر نفسه، ج ٢ / ص ١٨١ .
- (٣٢) الرضي، نهج البلاغة، ج ١ / ص ٢١٩ .
- (٤١) نهج البلاغة، ج ٣ / ص ٨٣ .
- (٤٢) عُرف الملوك عبر التاريخ برغبتهם في قراءة التاريخ وأخذ ما يفيدهم منه فقط، وكان معاوية بن أبي سفيان "يستمر إلى ثلث الليل في أخبار العرب وأيامها والعجم وملوكها وسياساتها لرعايتها، وسير ملوك الأمم وحروبها ومكايدها، وغيرها ذلك من أخبار الأمم السالفة". المسعودي، مروج الذهب، ج ٣ / ص ٤١ .
- (٤٣) نهج البلاغة، ج ١ / ص ١٣ .
- (٤٤) شمس الدين، حركة التاريخ عند الإمام علي، ص ٢٨ .
- (٤٥) الروم: ٤٢ .
- (٤٦) ابن سعد، الطبقات، ج ٢ / ص ٣٣٨ ؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ص ٩٩ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ٣ / ص ٦٣٨ .
- (٤٧) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ١ / ص ٣٢٢ ؛ السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج ٢ / ص ٤٩٣ .
- (٤٨) شمس الدين، حركة التاريخ عند الإمام علي، ص ٣٤ .
- (٤٩) المرجع نفسه، ص ٣٥ .

- (٥٠) أحد الأحناف قبل البعثة. ينظر: الشهريستاني، الملل والنحل، ج / ٣ ص ٢٢٧ - ٢٣٥ .
- (٥١) الالوسي، بلوغ الأربع، ج / ٢ ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .
- (٥٢) هم الخجد العرب ، والواحد يعدل بعشرة. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج / ١ ص ١٣٦ .
- (٥٣) ينظر: أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني، ج / ٦٦ ; ابن أبي الحميد، شرح نهج البلاغة، ج / ١ ص ٢٣٣ - ج / ٢ ص ٣٤١ .
- (٥٤) الرضي ، نهج البلاغة ، ج / ١ ص ٨١ .
- (٥٥) الشريف الرضي ، نهج البلاغة ، ج / ٣ ص ٢٣ - ص ٢٤ .
- (٥٦) المصدر نفسه ، ج / ٢ ص ١٠٨ .
- (٥٧) الشريف الرضي ، نهج البلاغة ، ج / ٣ ص ١٤٨ .
- (٥٨) المصدر نفسه ، ج / ٣ ص ١٤٨ .
- (٥٩) المصدر نفسه ، ج / ٢ ص ١٥٠ - ص ١٥١ .
- (٦٠) ينظر: الحكم النيسابوري ، المستدرك ، ج / ٣ ص ١٥ ; السخاوي ، الإعلان بالتبنيخ ، ص ١٤٢ .
- (٦١) الرضي ، نهج البلاغة ، ج / ٢ ص ١٠٧ .
- (٣٢) ينظر: ابن أبي الحميد ، شرح نهج البلاغة ، ج / ١ ص ٩٣ - ٩٥ .
- (٣٤) الرضي ، نهج البلاغة ، ج / ٢ ص ١٠٧ .
- (٣٥) خفاجي ، فلسفة التاريخ الإسلامي ، ص ٤٧ - ٤٨ .
- (٣٦) يونس : ٢٤ .
- (٣٧) الرضي ، نهج البلاغة ، ج / ١ ص ١٩٢ .
- (٣٨) المصدر نفسه ، ج / ١ ص ١٩٨ .
- (٣٩) الرضي ، نهج البلاغة ، ج / ٢ ص ١٥٣ .
- (٤٠) المصدر نفسه ، ج / ٢ ص ١٥٣ .
- (٤١) المصدر نفسه ، ج / ٢ ص ١٥٣ .
- (٤٢) المصدر نفسه ، ج / ١ ص ٢٥ .
- (٤٣) المؤمنون : ٣٧ .
- (٤٤) سورة يس : ٧٨ .
- (٤٥) سورة الفرقان : ٧ .
- (٤٦) هو من العرب المشبهة والمجسمة. ينظر: الشهريستاني ، الملل والنحل ، ج / ٢ ص ٢٤٢ .
- (٤٧) ابن أبي الحميد ، شرح نهج البلاغة ، ج / ١ ص ١١٩ .
- (٤٨) المصدر نفسه ، ج / ١ ص ١١٩ .
- (٤٩) الالوسي ، بلوغ الأربع ، ج / ٢ ص ١٩٧ - ٢٥٢ .

- أحوال العرب، تصحيح: محمد بهجت الأثري، ط٣، (مصر ١٣٤٢ هـ).
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ) / أنساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد الله، دار المعارف، مصر.
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ) / أنساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد الله، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠ م.
- الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥ هـ) / المستدرك على الصحيحين، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط١، (بيروت ١٩٩٠ م).
- ابن أبي الحميد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني (ت ٦٥٦ هـ) / شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار الجيل، (بيروت ١٩٨٧ م).
- (٦٢) المصدر نفسه، ج٣/ ص١٥٠.
- (٦٣) البقرة: ٢١٩.
- (٦٤) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ج١/ ص ٢١٦ ص ٢١٧.
- (٦٥) المصدر نفسه، ج١/ ص ٢١٨ - ص ٢١٩.
- (٦٦) قثم بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، كان واليا للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام على مكة فلم يزل عليها حتى استشهد الإمام عليه السلام. توفي بسمرقند. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧/ ص ٣٦٨.
- (٦٧) البقرة: ٢١٩.
- ### مصادر البحث ومراجعه
- القرآن الكريم
  - ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠ هـ) / أسد الغابة في معرفة الصحابة، المكتبة الإسلامية، (طهران د.ت).
  - الآلوسي، محمود شكري البغدادي (ت ١٣٤٢ هـ) / بلوغ الأربع في معرفة

القرآن تحقيق: سعيد المتذوب، ط١ ، دار الفكر، بيروت ١٩٩٦ م.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١ هـ) / الشماريخ، تحقيق: محمد بن إبراهيم الشيباني، المطبعة السلفية، الكويت ١٣٩٩ هـ.

- ابن شعبة الحرانى، الحسن بن علي بن الحسين (ت ٤٤ هـ) / تحف العقول عن آل الرسول، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفارى، ط٢ ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسین بقم المشرفة، (قم ١٤٠٤ هـ).

- شمس الدين، محمد مهدي / حركة التاريخ عند الإمام علي عليه السلام، ط١ ، مؤسسة نهج البلاغة، ١٤٠٥ هـ.

- ابن شهر آشوب، محمد بن علي المازندراني (ت ٥٨٨ هـ) / مناقب آل أبي طالب، تحقيق وتصحيح: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية، (النجف الأشرف ١٩٥٦).

- الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد (ت ٧٤٨ هـ) / تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١ ، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٧ م.

- الشريف الرضي، أبو الحسن بن الحسين (ت ٤٠٦ هـ) / نهج البلاغة، شرح محمد عبده، مطبعة النهضة، (قم ١٤١٢ هـ).

- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢ هـ) / الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، تحقيق: فرانز روزنثال ، ترجمة: د. صالح احمد العلي (بغداد ١٩٦٣ م).

- ابن سعد، محمد بن سعد (ت ٢٣٠ هـ) / الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٨ م.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١ هـ) / الإتقان في علوم

- أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ) / الأغاني، شرح: عبد علي سمير جابر، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٦ م.
- المتقي الهندي، علاء الدين بن علي (ت ٩٧٥ هـ) / كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ط ٢، حيدر آباد الدكن، الهند ١٩٦٧ م.
- المسعودي، علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦ هـ) / مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: مصطفى السيد، المكتبة التوفيقية، (القاهرة د.ت).
- المفید، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣ هـ) / الاختصاص، تحقيق: علي أكبر الغفاری ومحمود الزرندي، ط ٢، دار المفید للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت ١٩٩٣ م).
- الشهريستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨ هـ) / الملل والنحل، دار الكتب العلمية، (بيروت ١٩٩٨).
- الطبراني، سليمان بن احمد بن أيوب (ت ٣٦٠ هـ) / المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط ٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- العاملي، محسن الأمين (ت ١٣٧١ هـ) / أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف، (بيروت ١٩٨٦).
- ابن عبد البر، أبو بكر يوسف (ت ٤٦٣ هـ) / الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد الбجاوي، (القاهرة ١٩٦٠).
- ابن عبد ربه، احمد بن محمد (ت ٣٢٣ هـ) / العقد الفريد، تحقيق: احمد أمين وآخرين، دار الشروق، (القاهرة ١٩٤٠).

فَلِلّٰهِ الْحُكْمُ

عَلٰى مَنْ يَرِيدُ

اسْمُ اللّٰهِ الْفَالِبُ

بَابُ حَظَةٍ  
مِنْ دَخْلِ  
مِنْهُ كَانَ  
مُؤْمِنًا

سُلْطَانُ الْجَنَّاتِ

إِنَّا وَإِنَّا مِنْ شَرِّهِ وَأَحْدَاثِ  
وَسَيْلَ الْأَنْسٰلِ مِنْ شَرِّهِ

# **الأساليب البلاغية في خطب أصحاب الإمام علي عليه السلام في معركة صفين**

**م. د. عبد الهادي عبد الرحمن الشاوي**

جامعة الكوفة / مركز دراسات الكوفة

شكلت الخطابة في الأدب العربي قديمه وحديثه فناً مميزاً من فنون النثر العربي ، فقد ظهرت الخطابة عند العرب في عصورهم القديمة حاجة ووسيلة للتعبير عن شتى صنوف الإحساس العاطفي والنفسي والعقلي ، مما أكسبها حضوراً متميزاً في أغلب محافل الفعل والقول ، واستطاع العرب أن يقدموا في هذا اللون الأدبي نماذج دلّت على براءة وتمكن وحسن اختيار في التعبير القولي الذي يستند إلى مقدمات ودعوى انبثت هذا اللون من فن القول فأثير وأينع ؛ وقد تلونت ضروب هذا الفن وتعددت تبعاً للسياق الذي ولدت فيه.

# الأساليب البلاغية في خطب أصحاب الإمام علي عليه السلام في معركة صفين ..... البيان

## المقدمة

شكلت الخطابة في الأدب العربي قدّيه وحديثه فناً ميّزاً من فنون النثر العربي، فقد ظهرت الخطابة عند العرب في عصورهم القدّيمة حاجة ووسيلة للتعبير عن شتى صنوف الإحساس العاطفي والنفسي والعقلي، مما أكسبها حضوراً متميّزاً في أغلب محافل الفعل والقول، واستطاع العرب أن يقدموا في هذا اللون الأدبي نماذج دللت على براعة وتقّ肯 وحسن اختيار في التعبير القولي الذي يستند إلى مقدمات ودعوى انبثت هذا اللون من فن القول فأثار وأينع؛ وقد تلّونت ضروب هذا الفن وتعددت تبعاً للسياق الذي ولدت فيه.

فصرنا نجد خطباً للحرب وأخرى للسلام وثالثة جاءت ملبيّة لحاجات اجتماعية من فرح أو حزن، أو شكوى أو تودّد ومحاملة، والذي يهمنا في هذا البحث الذي اختص بدراسة خطب

أصحاب الإمام علي عليه السلام هو أن نقف على تنوع الأساليب التي اعتمدتها منشئها في تقديم الحجة أو في إسداء النصح والإرشاد أو في إشارة العزمية وإنهاض الهمة، وقد وقع اختيارنا على هذه الخطب من دون سواها لأننا وجدنا أن هذه الخطب لم تدرس دراسة فنية تكشف جماليتها وتبين دلالتها وتضعها في مقامها اللائق بين الخطب العربية، فأصحابها هم صحابة أجيال، ويزيد لهم فخرأً أنهم كانوا على إيمان راسخ وعقيدة صادقة، وموقف صلب ذاك الذي وقفوه في وقعة صفين، فقد ذكر لهم المنقري في كتابه هذا (وقعة صفين) خطباً مختلفة، صورت لحظة زمنية من عمر التاريخ الإسلامي وأرخت لحادثة من حوادثه العظام التي كتب عنها المؤرخون، ودرسها من اهتم بدراسة الخطب والأشعار التي أوردها المنقري في كتابه هذا، ولم يتطرق لها دارس، أو

فعالية، وما بدأ بالاسم سمي جملة اسمية، ولكل منها سماته الخاصة وظروف استعماله الواجبة، لذلك لا بد من توضيح ما الخبر في الكلام العربي.

### الخبر لغة

خبرت بالأمر أي علمته، وخبرت الأمر أخْبُرْهُ إذا عرفته على حقيقته، والخبر بالتحريك واحد الأخبار، والخبر: ما أتاك من نبأ عنمن تستخبر<sup>(١)</sup>. وقد عرفه المبرد (ت ٢٨٦ هـ) إذ قال: «الخبر ما جاز على قائله التصديق والتکذيب»<sup>(٢)</sup>.

فيما نظر ابن فارس في تعريف الخبر عند أهل اللغة وأهل البلاغة فأهل اللغة لا ينظرون إلى الخبر إلا بوصفه إعلاماً للآخرين أما أهل البلاغة فيقسمونه على كلام صادق أو كاذب يقول ابن فارس: (أما أهل اللغة فلا يقولون في الخبر أكثر من أنه إعلام ... والخبر هو العلم. وأهل النظر يقولون: الخبر ما جاز تصديق قائله أو تکذيبه وهو إفاده المخاطب أمراً في

باحث عن جمال الكلمة وعمق التعبير الذي يولد في لحظة الجسم وساعة القرار الصائب الذي يكشف عنه القول المعتمد الحجة التي تصاغ بأسلوب يفرضه السياق ومنحه القوة التي تتكتشف للباحث في تراكيب القول وفي أسلوب الخطاب الصريح القوي أحياناً والموحي الدال في أحایین أُخَر ؛ لذلك سيهتم البحث بكشف الجوانب الفنية بإيصالح أثر السياق الداخلي والخارجي في الأسلوب المتبوع والطريقة الموصولة إلى الغاية التي ينشدها مُنشئ النص ، وبإبانة ما لهذه المحددات من فعل إيجاباً كان أم سلباً في جمالية الخطبة وفي قدرتها الإبلاغية والفنية.

### المبحث الأول

#### الأساليب الخبرية

جاءت الأساليب الخبرية في الكلام العربي على ضربين تبعاً لبناء التراكيب ، مما كان تركيبيه يبدأ بالفعل سمي جملة

يقصدها منشئ النص الأدبي ، وفي تقصينا لخطب أصحاب الإمام علي عليه السلام الذين شاركوه في معركة صفين وكان لهم حضور واضح في ساحة المعركة بشقيه العسكري والخطابي ، لأن المتحاربين في أي معركة من معارك العرب كثيراً يبدؤونها بالخطب التي يتناوب فيها الوعظ والتهديد ، ولكل قائدٍ طريقته في تقديم أفكاره التي يحارب عنها ، وفي مثل هذه الحالة يكون الخطيب المحارب قد استعد فأحسن العدة ، فهو لا يقول إلا ليبلغ عن أمر جلل يستدعي منه قوة بيان وبلاجة في التعبير و اختياراً دقيقاً للأسلوب وانتقاء للألفاظ والتركيب ؛ لذلك وجدنا أنَّ الخطاب قد تنوَّعَ تراكيبه و اختلفت أساليبه ، ومنها أن المعاني جاءت محولة على تركيب اسمي أي جملة اسمية لها خاصية الثبوت في المعنى والدلالة لأنَّ (الاسم يدل على الثبوت والاستمرار والفعل يدل على

ماضٍ من زمان أو مستقبل دائم) <sup>(٣)</sup> ؛ وأهل النظر عنده هم أهل البلاغة . أما القزويني فقد علق على آراء القدماء وبينَ معنى الصدق والكذب في الخبر فقال : (اختلف الناس في المخسار الخبر في الصادق والكاذب ، فذهب الجمهور إلى أنه منحصر فيما ثم اختلفوا ، فقالوا الأكثر منهم : صِدْقَه مطابقة حكمه للواقع وكذبه عدم مطابقة حكمه ، وهذا هو المشهور وعليه التأويل) <sup>(٤)</sup> . الخبر لا يأتي إلا من خلال تركيب لغوي يحمله ويوضح دلالته على وفق السمات التي ينماز بها هذا التركيب أو ذاك ، ولقد أبانَت لنا القراءة المتأنية لنصوص هذه الخطب أنَّ الأخبار يأتيَ به نوعان من التراكيب هما :

### **أولاً: الجملة الخبرية الاسمية**

يأتي الخبر أحياناً بصيغة جمل اسمية لها سماتها الفارقة ، ولها السياق الذي فرض مجبيها أو سوغ حمله للدلالة التي

من جمل اسمية تشکّلت من مبدأ وخبر؛ لذلك صار من الأنسب أن تكون الجمل الاسمية هي الأدق في نقل الدلالة وإيصال المعنى بأبلغ صورة إلى المتلقى الذي يبحث عن الإجابة لحالة يعيشها، ومحنة قد تختلط فيها الرؤى وتضيق مساحة الفهم الصائب؛ لذلك عُدَّ الإخبار بالجملة الاسمية أبلغ وأدق.

## ٢. إظهار القوة

قد يأتي الخبر لا يقدم خبراً حضاً إنما ليؤكد حقيقةٍ ما وإظهارها بقوة، وهذا ما لمسناه في مواضع كثيرة في خطب أصحاب الإمام عليه السلام، من ذلك قول الأشتر النخعي (رضوان الله تعالى عليه) مخاطباً الإمام علي عليه السلام قائلاً: (جميع من ترى من الناس شيعتك)<sup>(٨)</sup>. قد قدم صورة حالة الجيش التي عليها فهي توصف بالثبات ولا يؤديه إلا التركيب الاسمي؛ ولذلك نراه أيضاً يصف نفسه ومن معه بأسلوب مؤكّد فيقول: «وانا لعلى بينة

التجدد والحدث، ولا يحسن وضع أحدهما موضع الآخر»<sup>(٩)</sup> وقد يأتي الخبر يؤدي أغراضًا بلاغية تساعد القرائن السياقية والمقامية على تحقيقها، ومنها:

### ١. الخبر لتحريك الهمة

إنَّ هذا الأسلوب معروف عند العرب فمما جاء على لسان العرب (نفس عصام سودت عصاماً)<sup>(٦)</sup>. فهذا المثل العربي المشهور ورد بأسلوب الخبر لتحريك الهمة وحفزها لكي يقتدي الناس بعصام الذي ساد بجهده ودأبه، ومن الشواهد على هذا النوع من التراكيب نجد قول عبد الله بن عباس (رضوان الله تعالى عليه) في إحدى خطبه يصف الإمام عليه السلام فيقول: (علي بن أبي طالب، ابن عم رسول الله وصهره، وأول ذكر صلٰى الله عليه وسلم مع رسول الله صلٰى الله عليه وسلم مشاهده التي فيها الفضل)<sup>(٧)</sup>. يبدو من هذا النص أنَّه نص تكُون

ولكن الخبر يظل يحمل دلالته الرئيسة وهي الإخبار وعرض الحقائق والوصف ، وهذا يأتي عندما حال القوم مختلف ودرجة الثبات على الإيمان متغيرة وهي سنة الله في خلقه ؛ لذلك فإننا لا نعدم أن نرى في معسكر الإمام عليه السلام من يشعرنا بوهن وتردد ومن ذلك ما صوره الأشعث بن قيس<sup>(١١)</sup> . لحالته وقد أجاد لأنه نقل ما يعانيه بجمل اسمية فيها دلالة الثبوت على وجع يعانيه وحالة يكابدها ، اذ يقول واصفاً نفسه ((ولكني رجل مسن ، أخاف على النساء الذراري إذا فنينا)) فكان من كان حوله لا يشعرون بالغيره على النساء ، ويفصح القول الآخر له حالة التردد والشك إذ يقول (الرأي ينطئ ويصيب) وفي هذه الجمل الاسمية فيها صورة واضحة لحالة الخطيب النفسية التي كان يمر بها ، وقد أثبتتها الواقع التاريخية بعد ذلك فصدقـت قوله هذا.

من رينا»<sup>(٩)</sup> فقد أكد خبره بأدلة التوكيد (أن) وبلام التوكيد ، حتى يرسخ الصورة عند الإمام عن أصحابه ولكي يشعر نفسه بأنه قد أدى الإخبار بأفضل أساليبه وأدقها في إيصال الدلالة وإبلاغ المعنى .

### ٣. للتوبیخ

وهو غرض يخرج إليه الخبر أحياناً ، لأن يصف حالة سيئة أو مكرهه ، أو هي عيب أو صفة مرذولة لأنها بعيدة عن قيم الدين الإسلامي ومبادئه العظيمة ، وهذا ما نلمسه في قول صحابي جليل آخر هو عمار بن ياسر (رضوان الله تعالى عليه) يكشف فيه عن حالة أعدائهم الذين أحبوا الدنيا فزلت بهم قدم فيقول (ولكنّ القوم ذاقوا الدنيا فاستحبوا واستمروها)<sup>(١٠)</sup> .

فوصفه لهم يعطي دلالة تمكن الدنيا منهم ومن تفوسهم بعدما ذاقوا حلاوتها فاستعبدوا مذاقها فأنستهم ما للآخرة عليهم من حق وأبعدتهم عن معرفة الحق وإتباعه .

يختبئون في ساحة المعركة، ومن ذلك قول الصحابي الجليل عبد الله بن عباس واصفاً قدرة الله تعالى: «سمك فوقنا سبعاً، ثم خلق فيما بينهن خلقاً، وأنزل لنا منهن رزقاً، ثم جعل كل شيء يilli وييفني غير وجهه»<sup>(١٢)</sup>. الخطيب هنا استعمل جملأً فعلية أفعالها ماضية، في دلالة على قدم الخلق والإرادة الإلهية في الكون، ثم أردف جمله الفعلية ذات الزمن الماضي بأخرى تدل على القدم من الزمن إذ قال: «ثم جعل كل شيء يilli وييفني إلا وجهه»؛ فالخلق قديم والفناء حاصل في كل حين للأشياء والخلوقات على هذه الأرض، فالجمل الفعلية تشع السامع بحركة الكون بالتجدد لمظاهر الوجود بالفناء الكائن في كل لحظة للموجودات، فيما يقابلها بقاء سرمدي للخالق جلّ وعلا. وفي خطبة للأستر النخعي يصف فيها الإمام علي عليه السلام فيقول مستعملاً جملأً فعلية

والشواهد على الجمل الاسمية التي استعملها الخطباء أثناء معركة صفين كثيرة، وإنما اخترنا ما فيه كشف للواقع وإيضاح للحالة النفسية التي كان يعانيها من اشتراك في المعركة، فجاءت صادقة في الوصف، معبرة ودالة، كاشفة وفاضحة، وهذه هي اللغة التي يحسن استعمال إمكاناتها وما تمنحه من دلالات صريحة أو موحية في مواضع تتطلب هذا اللون أو ذاك من الاستعمال.

### **ثانياً: الجملة الخبرية الفعلية**

مثلاً يمنح الاسم النص سمات معلومة عند استعماله كذلك يقدم الفعل خاصية مميزة في الاستعمال؛ لأنّه يعبر عن دلالة تغير وتحول وتبدل؛ لاقترانه بتغيير أنه الزمن؛ لذلك صار التعبير عن الأفكار أو الحالات بالتعبير الفعلي يعني عدم الثبات ويشير إلى النمو والتغير والحركة، وهو ما نلمسه في أقوال أصحاب الإمام علي عليه السلام وهم

التميّز ومعرفة المعنى من دون عناء. ونجد صحابياً آخر يستعمل الجمل الفعلية في الدلالة على قصده وهو سعد بن قيس الهمداني فيقول مخاطباً أصحابه وحاجاً لهم على الثبات ومبشراً لهم بالنصر «ألا إنكم ستلقون عدوكم... إلا أنكم تفوزون بقتلهم، ويشقون بقتلهم»<sup>(١٥)</sup>، وهذا القول فيه إخبار لما سيأتي و هو نابع من ثقة مقاتل بقضيته التي يدافع عنها، فهو يبشر أصحابه بالفوز بعد أن أوضح لهم ما هم عليه من الصواب الذي يسرون عليه، وفي الخطبة ما أبان هذا القول وعوضده، فهو متأتٍ من سياق لغوي ومقامي يفصح عن الدلالة ويفكّر القول بما أدخله على تركيّه الفعلي من مؤكّدات ومنها أدلة التوكيد (أن) وفي تقدّيه لكاف الخطاب أضاف مؤكداً آخر، عضد الدلالة بما لا تقبل الشك، ولکي ينزع من قلوب مخاطبيه الوهن

واصفة (لم يسبقها في الصلاة ذكر حتى كان شيئاً، لم يكن له صبوة ولا نبوة ولا هفوة)<sup>(١٦)</sup>.

ففي هذا التركيب اللغوي استعراض الخطيب عن أساليب آخر بأسلوب الإخبار بالجمل الفعلية؛ لأن فيها دلالة الحدث الذي أراد الإشارة إليه مقرضاً بالزمن الماضي حتى تترسخ الدلالة ولكي يضمن لنصره أن يتحقق نوعين منها هما الدلالة الصريرة المتمثلة في قدم إسلام الإمام عليه السلام والدلالة الضمنية في أحقيته للخلافة من سواه (وهاتان الدلالتان متلازمتان، فالدلالة الصريرة جوهرية ومحدة ويندر أن يختلف فيها إنسان عن آخر، وتكتفي فيه المعرفة الأولية في اللغة ، بينما الدلالة الضمنية تحتاج إلى معرفة ذهنية ذوقية في اللغة وأدابها كي يتمكن المرء من إدراكها)<sup>(١٧)</sup>.

ولعل المتلقي في ذلك الزمان على دراية بهذه الأساليب وله المقدرة على

ونظن أن ذلك باستطاعته أن يوصل الفكرة التي نبحث عنها ونريد توضيحها وإبانتها من خلال هذا البحث على ما نعتقد.

### ثالثاً: أسلوب الشرط

قد يأتي الإخبار بأسلوب الشرط الذي له سماته الخاصة والفارق عن الأساليب الأخرى في الكلام العربي لأجل غرض دلالي، فقد نظر اللغويون في هذا الأسلوب فاختلفوا فيه، لذلك سنلقي نظرة سريعة على بعض الآراء التي قيلت في أسلوب الشرط، إذ قال بعضهم إن الجملة الخبرية تأتي على أربعة أضرب ومنهم أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) إذ يرى أن الجملة عنده على أربعة أضرب وتابعه في ذلك الزمخشري (٥٣٨هـ) إذ يقول (أربعة أضرب: فعلية، اسمية، ظرفية، شرطية)<sup>(١٧)</sup>، وهذا لا يعني أن هنالك إجماع على هذا الرأي فقد عارض ذلك ابن يعيش (٦٤٣هـ) الذي عد جملة الشرط

ويثبت أقدامهم في مواجهة عدوهم. وحين ننظر في خطبة الصحابي الجليل عمار بن ياسر (رضوان الله تعالى عليه) نجده استعان بالتراكيب الفعلية في تصوير حال أصحاب معاوية فهو يقول عنهم: ((لم يكن للقوم سابقة في الإسلام، يستحقون بها الطاعة والولاية، فخدعوا أتباعهم بأن قالوا: قُتل إمامنا مظلوماً، ليكونوا بذلك ملوكاً وجباراً))<sup>(١٨)</sup>. فعندما وصف حالهم الماضي استعمل لذلك الوصف الفعل المضارع المتفق (لم يكن) ليدل به على ما انصرف من حالهم، وحين نظر إلى حالهم ومستقبلهم وجدتهم (لا يستحقون الطاعة) وبذلك استطاع أن يسلبهم ما يحاججون دونه ويتوتون في سبيله. ولو استقصينا الجمل الفعلية في خطب أصحاب الإمام علي عليه السلام لوجدناها تشكل حيزاً كبيراً من هذه النصوص، لكننا استشهدنا ببعض منها

سلمت لهم دنياهم<sup>(٢١)</sup> ، فقد استعمل الأسلوب الشرطي في الإخبار عن سمة أصحاب معاوية واستعمل في ذلك أداة الشرط الجازمة (إذا) ، وأحدث تغييرًا في نمطية بناء الجملة الشرطية عندما قدم جملة جواب الشرط (لا يبالون) على جملة فعل الشرط (سلمت لهم دنياهم) ، في قصدية إشارة انتباه متلقية وفي التركيز على سمت اللامبalaة التي هي تشير من طرف خفي إلى قلة الإيمان عند أولئك القوم ، وتقديم غرضاً بلاغياً خرج إليه أسلوب الشرط وهو الاستهانة بالوصوفين بهذه الصفة ، وقد تمت له هذه المزية بطريقة غير مباشرة ، وهي أبلغ من التصريح على رأي البلاغيين . وفي هذه الخطبة نجد توظيفاً آخر لأسلوب الشرط في الإخبار عن حال القوم المعادين ؛ فيقول : ((وتلك مكيدة قد بلغوا بها ما ترون ، ولو لا هي ، ما بايعهم من الناس رجالان))<sup>(٢٢)</sup> .

المكونة من جملة الشرط وهي عنده مبتدأ وجملة جواب الشرط وهي خبر<sup>(١٨)</sup> . أما الباحثون المحدثون فيري أحدهم (أن جملة الشرط تستحق أن تعد قسماً قائماً بذاته بين الجمل ، لأن في طبيعة صيغتها ، وفي أداء معناها ما يميزها عن جملتي الخبر والإنشاء والجملة الفعلية والاسمية)<sup>(١٩)</sup> ، وقد سبق إلى ذلك الشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) حين قال (الشرط كما لا يخفى في مجموع الجملتين ، لا في كل واحدة منها على الإنفراد ولا في واحدة منها دون الأخرى)<sup>(٢٠)</sup> ، وهذا يدل على أن الفكرة التي يدلان عليها الشرط والجزاء هي فكرة واحدة يحملها تركيب لغوي قادر على الإخبار عن فكرة مهينة قد تكون قابلة للتحقق ، ومن أمثلة ذلك ما نجده في خطبة عمار بن ياسر (رضوان الله تعالى عليه) إذ يقول واصفاً أصحاب معاوية (هؤلاء الذين لا يبالون إذا

الشرط مكثف فقد استعمل جملتين شرطين متلاحقتين، ربطهما بأداة الربط (الواو) العاطفة التي عمقت الدلالة، وكثّفت المعنى، لأن المعنى الذي يقدمه أسلوب الشرط هو من المعاني العامة فهو يصلح لتقديم الأفكار وعرض المعاني العامة، والبيعة هنا عامة، وكأنما حدث في النص ما يشبه الإيحاء الذي يولده الأسلوب وتعاضد الألفاظ على إبانة مدلولاته التي أسهم في كشف قيمها السياق الذي حدث فيه القول، والسياق هنا البيعة، ولا بديل عنها لأن الخطيب قد قدم أدلةه العقلية، وأوضح الحالة التي عليها أجمع المسلمين، فكأنه يشير إلى حديث نبوي شريف، «يد الله مع الجماعة»، وهي دعوة لوحدة الأمة التي كانت تعيش مأزق الفتنة، والفرقة، وإلى مثل هذه الأساليب، يستطيع البحث أن يقدم شواهد كثيرة لكنه اقتصر على هذه مراعاة لحدّات البحث الفنية.

ويبدو من هذا التركيب الشرطي الذي اعتمد على أداة الشرط (الولا) وهي حرف امتناع لوجود الذي جاء بعده بضمير منفصل مرفوع لأن ((الولا لا يليها من المضمرات إلا المنفصل المرفوع))<sup>(٢٣)</sup>، على رأي المبرد الذي احتاج بقوله تعالى: **﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَا مُؤْمِنِينَ﴾**<sup>(٢٤)</sup>، قد وفر للنص الشمولية في الإبلاغ عن حالتهم، وتلك سمة أخرى يضيفها الخطيب إلى سمات القوم السيئة، وهي تؤدي حجة إقناعية من طرف آخر.

وفي نص خطبة الصحابي جرير البجلي (رضوان الله تعالى عليه)<sup>(٢٥)</sup> نجد استعمالاً لأسلوب الشرط في الإخبار عن حالة أصحاب القوم الذين بايعوا الإمام علي عليه السلام إذ يقول (وقد بايعت العامة علياً، ولو ملّكنا الله أمورنا، لم نختر غيره، ومن خالف هذا استعتبر، فادخل يا معاوية فيما دخل فيه الناس)<sup>(٢٦)</sup>.

في هذا النص نجد استعمالاً لأسلوب

نقلت إلى معنى الإنشاء)<sup>(٣٠)</sup>.

والمراد بقوله : (أكثراها) أنَّ أغلب الإنشاء غير الطلبـي خـبر، وهـنا يستثنـى أفعال الرجـاء والقـسم، وأمـا قـصده بـقلة المـباحث البـيانـية قـلة ورودـها فـي لـسان العـرب.

ولـذلك يـقوم البـاحث بالـتركيز عـلـى الإـنشـاء الـطـلبـي المـتمـثل فـي خـمسـة أـسـالـيب: الـأـمـرـ والـنـهـيـ ، وـالـاسـتـفـهـامـ ، وـالـتـمـنـيـ ، وـالـنـدـاءـ التـي وـجـدـ مـنـهـا فـي نـصـوصـ خـطـبـ أصحابـ الإمامـ عـلـيـ عـلـيـهـ السـلامـ ثـلـاثـةـ أـسـالـيبـ هـيـ :

### **أولاً: أسلوب الأمر**

الأمرـ فـي الـبـلاـغـة طـلـبـ فعلـ الشـيءـ عـلـى وجـهـ الاستـعلاـءـ. قالـ العـلوـيـ : (هوـ صـيـغـةـ تـسـتـدـعـيـ الفـعـلـ أوـ قـوـلـ يـنبـئـ عنـ استـدـاعـ الفـعـلـ منـ جـهـةـ الغـيرـ عـلـىـ جـهـةـ الاستـعلاـءـ)<sup>(٣١)</sup>.

وـأـظـهـرـ الـأـمـورـ عـنـدـ السـكـاكـيـ أنـ أـسـلـوبـ الـأـمـرـ وـضـعـ لـطـبـ الـأـمـرـ عـلـىـ

### **المبحث الثاني**

#### **الأساليب الإنسانية**

##### **الإنشاء لغة**

يشـيرـ لـسانـ العـربـ لـابـنـ منـظـورـ إـلـىـ أنـ المعـانـيـ الـلـغـوـيـةـ لـلـإـنشـاءـ تـدـورـ حـولـ (الـابـتـدـاءـ أوـ الـخـلـقـ ، أوـ الـابـتـدـاعـ)<sup>(٢٧)</sup>.

##### **الإنشاء اصطلاحاً**

يعـرفـ القـزوـينـيـ الإـنشـاءـ فـيـقـوـلـ: «وـوجـهـ الحـصـرـ أنـ الـكـلـامـ إـمـاـ خـبـرـ أوـ إـنشـاءـ لأنـهـ إـمـاـ أنـ يـكـونـ لـنـسـبـتـهـ خـارـجـ تـطـابـقـهـ أوـ لـتـطـابـقـهـ أوـ لـاـ يـكـونـ لـهـاـ خـارـجـ، الـأـوـلـ: الـخـبـرـ، وـالـثـانـيـ: الـإـنشـاءـ)<sup>(٢٨)</sup>.

وـيـنـقـسـمـ الإـنشـاءـ عـلـىـ قـسـمـيـنـ: طـلـبـيـ وـغـيرـ طـلـبـيـ. وـلـكـلـ مـنـهـماـ سـمـاتـهـ الخـاصـةـ ذـكـرـهـاـ الـبـلـاغـيـونـ وـفـصـلـوـاـ فـيـهـاـ)<sup>(٢٩)</sup>.

يـقـوـلـ التـفـتـازـانـيـ: (فـالـإـنشـاءـ إـنـ لـمـ يـكـنـ طـلـبـاـ كـأـفـعـالـ المـقارـبـةـ وـأـفـعـالـ المـدـحـ وـالـذـمـ وـصـيـغـ الـعـقـودـ وـالـقـسـمـ وـرـبـ وـنـخـوـ دـلـكـ، فـلـاـ يـبـحـثـ عـنـهـاـ هـنـاـ، لـقـلـةـ الـمـبـاحـثـ الـبـيـانـيـةـ الـمـتـعـلـقـةـ بـهـاـ أوـ لـأـنـ أـكـثـرـهـاـ فـيـ الـأـصـلـ إـخـبارـ)

الأمر لأن (النصح والنصيحة) كلمة جامعه يعبر بها عن حسن النية وإرادة الخير من قول أو عمل)<sup>(٣٤)</sup>، وهذا هو حال أصحاب الإمام عليه السلام إذ نراهم ينصحون أعدائهم ويريدون بذلك إصلاحهم، وهذا ما نلمسه في قول الصحابي الجليل عمار بن ياسر (رضوان الله تعالى عليه) مخاطباً أصحابه (امضوا معى عباد الله إلى قوم يطلبون فيما يزعمون بدم الظالم لنفسه)<sup>(٣٥)</sup>، وقد جاء أسلوب الأمر هنا ليؤدي غرضاً بلاغياً هو النصح والإرشاد لأصحابه والتحث لهم على التزام طريقه الذي اختاره في الوقوف خلف الإمام عليه السلام، إذ دلت لفظة معى على المصاحبة التي يريد لها لهم في جانب الحق الذي يدافع عنه.

ومن أمثلة هذا الغرض ما نجده في قول الصحابي (مالك الأشتر النخعي) مخاطباً أصحابه (اتقوا الله وعليكم

وجه الاستعلاء إلا أنه يخرج إلى معانٍ تعرف من قرائته فقال: (للأمر حرف واحد هو اللام الجازم في قوله: (ليفعل) وصيغ مخصوصة سبق الكلام في ضبطها في علم الصرف وعدة أسماء ذكرت في علم النحو)<sup>(٣٦)</sup>، وقد وجد الباحث ثلاثة صيغ مستعملة في النصوص المدرّسة سيكشف البحث عنها ويد على استعمالاتها، ومنها صيغة فعل الأمر (افعل)، وهذه الصيغة من أسلوب الأمر هي الصيغة الأكثر استعمالاً في الخطب المدرّسة، وهي تأتي لتأدي غرضاً بلاغياً معيناً يتطلبه الموقف ويحتمله السياق، ومن هذه الأغراض البلاغية:

## ١. النصح والإرشاد

وهو غرض بلاغي قد يخرج إليه الأمر ويعني (الطلب الذي لا إلزام فيه دائماً وإنما النصيحة الخاصة)<sup>(٣٧)</sup>، وإن النصح والإرشاد يدل على حسن نية



## الأساليب البلاغية في خطب أصحاب الإمام علي عليه السلام في معركة صفين ..... (عليهم السلام)

بلاغي هو الوجوب، وهو ما يعزز السمة القيادية للأمر، إذ يشير إلى قوة تأثيره في جنده ورعيته ، ومن الأمثلة الأخرى على هذا الغرض الذي جاءت به صيغة أخرى من صيغ الأمر وهي صيغة (ال فعل المضارع المقرر) بلام الأمر) وذلك في قول الأشعث بن قيس مخاطباً جمعاً من المسلمين في وقعة صفين قائلاً : (ألا فليبلغ الشاهد الغائب) <sup>(٣٩)</sup>.

فقد أوجب على أصحابه التبليغ لمن لم يكن حاضراً في ساعة خطابه ، وهذا ما يدل على أنّ القصد الذي سعى إلى إيصاله إلى مخاطبيه قصد واجب يتحمله كل من سمعه.

ونجد في نص خطبة ابن عباس مثالاً على خروج أسلوب الأمر إلى غرض الوجوب ، فهو إذ يخاطب أصحابه يؤكّد حقيقة واجبة وبأدلة واضحة وبأسلوب امتنح فيه الأمر بالقسم ، وهذا جلي في قوله (واعلموا والله الذي ملك الملك

بالحزم والجد ، واعلموا أنكم على الحق) <sup>(٣٦)</sup> ، إذ استعمل الفعل (اتقوا) والفعل (اعملوا) لغرض إرشاد أصحابه إلى الطريق القويم ، وفيه أيضاً حث على التقييد بالدين الذي أشارت إليه لفظة (اتقوا) فهي تمنح النص دلالة إيجابية ، استطاعت أن تعضد المعنى بضلال إيمانية دينية.

وقد يأتي النصح والإرشاد محمولاً على صيغة أمر آخرى مثل صيغة (اسم المصدر) وهذا ما نلمسه في قول الصحابي عبد الله بن عباس لأصحابه (عليكم بتقوى الله والجد والحزم والصبر) <sup>(٣٧)</sup> أي ألزموا الجد والحزم والصبر.

### ٢. غرض الوجوب

وهو أن يكون الأمر واجباً ، وهو ما يصدر عن قائد لرعيته ولذلك نجد الأشتر النخعي يخاطب أصحابه فيأمرهم بقول : (شدوا شدة المحرج الراجي الفرج) <sup>(٣٨)</sup> ، فهنا يكون فعل الأمر قد خرج إلى غرض

الإنذار، ومن أمثلة هذا الغرض ما نجده في قول الصحابي (جرير بن عبد الله البجلي) مخاطباً معاوية في قضية البيعة التي تحققت للإمام علي عليه السلام بإجماع الأمة بعد ما أوضح له حال المسلمين تلك ودل على عصيانه وخروجه عن إجماع الأمة فإنه يسوق له أسلوب الأمر هذا لأجل إنذاره لعله يتعظ، ومن ذلك قوله (فادرخ يا معاوية فيما دخل فيه الناس)<sup>(٤١)</sup>، ففي هذا الأسلوب ييدو الإنذار واضحاً لأن من يخالف إجماع الناس استحق أن يأمر بهذه الطريقة.

#### ٤. غرض الدعاء

للدعاء في اللغة معان ودلائل عدّة (منها الدعاء بمعنى النداء: دعاه ناداه وطلبه، ومنها العبادة يقال دعاه أي عبده، ومنها التسمية دعوت ابني أي سميته، ومنها التضرع إلى الله دعا الله يدعوه دعاء: سأله كشف ضر أو سوق نفع)<sup>(٤٢)</sup>، وإنّ أسلوب الأمر الذي ورد

وحده فبان به وكان أهله ، لقد قاتل علي ابن أبي طالب مع رسول الله صلى الله عليه ، وعلى يقول صدق الله رسوله...).

فقد أكّد الخطيب هذه الأحقيقة وأثبت وجوب الالتزام بها بالدليل وبالأسلوب الذي تضمن القسم بـ(الله)، ومن ثم التأكيد بلام مؤكدة ارتبطت بحرف تحقيق في لفظة (لقد) كل هذه البراعة في الأسلوب قد وظفت لإخراج أسلوب الأمر إلى الغرض البلاغي ألا وهو الوجوب.

#### ٣. غرض الإنذار

قد يخرج أسلوب الأمر بصيغة المختلفة إلى غرض بلاغي هو الإنذار عندما يكون الأمر في حالة الحرب مع من يوجه إليه الكلام الذي لا يتحقق هذا الغرض إلا بتوافر مجموعة من القرائن السياقية والمقامية المرشحة للغرض البلاغي وهو في هذه الحالة غرض

الأمر الذي استعمل فيه أفعال الأمر (أعنا) و(انصرنا) و(وافتح) كلها صادرة من الأدنى وهو الخطيب إلى الأعلى سبحانه وتعالى، فهي تودي غرضاً مجازياً هو الدعاء والاستغاثة.

وقد يأتي أسلوب الأمر الدال على الدعاء ضمن تراكيب لغوية شرطية، ويبدو ذلك واضحاً في قول الصاحبي عمار بن ياسر (رضوان الله تعالى عليه) الذي قدم أسلوب الدعاء الصريح في استعماله الدقيق له وذلك حين قال (اللهم إنْ ننصرنا فطالما نصرت، وإنْ تجعل لهم الأمر فادرخ لهم بما أحدثوا لعبادك العذاب الأليم)<sup>(٤٧)</sup> وإنْ كان هذا الأسلوب صريحاً في الدعاء إلا أنَّه تضمن فعل أمر (ادرخ) جاء ضمن الجملة الشرطية، وهذا يعزز التماسك النصي للجملة التي كانت متراقبة بوسائل ربط لفظية مثل (الفاء) ومعنىَة أو منطقية وهي علاقة الشرط بجوابه،

في الخطب هذه قد خرج في أحيان كثيرة إلى دلالات الدعاء إلى الله عز وجل بالنصر وبالتأييد، وبأسلوب يتسم بالخصوص؛ لأن الدعاء هو (الطلب على سبيل التضرع والخصوص لله تعالى)، ذلك بأن يكون صادراً من الأدنى إلى الأعلى<sup>(٤٣)</sup>، وقد يسمى هذا الأسلوب بـ(المسألة)، وهذا ما ذكره ابن فارس في كتابه (الصحابي)<sup>(٤٤)</sup>، وقد ورد هذا الأسلوب في القرآن الكريم كثيراً، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿رَبِّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنْنَا سَيِّئَاتَنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَار﴾<sup>(٤٥)</sup>.

ونجد له شواهد في خطب أصحاب الإمام علي عليه السلام، ومن ذلك قول عبد الله بن عباس في إحدى خطبه (ربنا أعنَا ولا تخذلنا، وانصرنا على عدونا ولا تخلعنَا، وافتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين)<sup>(٤٦)</sup>، فأسلوب

الأساليب البلاغية التي تكثر في كلام العرب، وهو يعَدُّ من أنواع الطلب، وهو طلب الكف عن الفعل، استعلاً، قال السكاكي (ت٦٢٦هـ) : (للنهي حرف واحد وهو لا) الجازم في قوله (لا تفعل)، والنهي محدود به حذو الأمر في أنْ أصل استعمال (لا تفعل) أن يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور فإنْ صادف ذلك أفاد الوجوب وإلا أفاد طلب الترك فحسب)<sup>(٤٩)</sup>.

فالوجوب والإلزام شرطان يلزمان أسلوب النهي ويعنيان وجوب إلزام المخاطب بما ينهى عنه، والسكاكي يوازن بين أسلوب الأمر وأسلوب النهي فيرى أنَّ الأسلوبين يشتراكان في عَدُ الاستعلاء والآخر، ونقصد بالآخر أنَّ الأمر والنهي يقصدان الآخر فلا يمكن لإنسان أن ينهى نفسه ويأمرها.

أما وجه الخلاف بين الأسلوبين فهو أنَّ لكل منهما صيغة خاصة به.

فالأمر هنا من الأدنى إلى الأعلى وهو دعاء من عبد لربه يريد النصر والغلبة لقيم الإسلام على من جانبها وأنكر بيعة في عنقه. ويلحظ في هذا الأسلوب (التقديم لضمير الداعي على المفعول وهو ذات الدعاء أملأ في الإجابة وطبعاً في الرحمة وتصويراً لأشواق النفس حين تضع أمالها على باب الكريم المنان)<sup>(٤٨)</sup> وهذا التصرف في التركيب يمنح النص القدرة على التأثير في المتلقى وهو يخيف من توجه عليه هذه الدعوة لأنَّ الناس وإنْ اختلفت أهواؤهم وجذبتهم الدنيا ببا赫جها فإنهم قريبون العهد بالإسلام وهم لا من أنْ يحدث فيهم الدعاء رهبة وخوفاً وربما أثر في نفوسهم وأصلاح من توجههم وقد أدى إلى رشادهم، فالأسلوب بهذا يكون قد أدى أغراضه.

### **ثانياً: أسلوب النهي**

إنَّ أسلوب النهي واحداً من

ولا تخل عننا، وافتح بيننا بالحق وأنت خير الفاتحين<sup>(٥٢)</sup> يبدو من خلال النص استعمال أسلوب النهي الذي تحقق في قوله (لا تخذلنا) وفي (ولا تخل) وهو نهي قد خرج إلى الدعاء من الله عز وجل أنْ يمد أصحابه بالنصر ويجنبهم الخذلان.

## ٢. تحريك الهمة

إنَّ هذا الغرض البلاغي قد ذكره البلاغيون وعدُّوه من يخرج إليه أسلوب الأمر والنهي عند توفر القرائن ومعاضدة السياق لذلك، وعن هذا الغرض يقول ابن طباطبا العلوى (الإلهاب والتبيح) مقولان على كل كلام دال على الحث على الفعل لمن لا يتصور منه تركه وعلى ترك الفعل لمن لا يتصور منه فعله، ولكن يكون صدور الأمر والنهي من هذه حالة على جهة الإلهاب والتبيح له على الفعل أو الكف لا غير<sup>(٥٣)</sup>.

ثم يوضح هذا المفهوم أكثر، إذ يقول (فهذا نوعان من الكلام يرددان في الكلام الفصيح والخطب البالغة، ولو لا موقعهما

وهذا ما أشار إليه العلوى بقوله (الأمر دالٌ على الطلب، والنهي دالٌ على المنع، وأنَّ الأمر لا بدَّ من إرادة مأمورة، وأنَّ النهي لابد فيه من كراهة منهية<sup>(٥٠)</sup>).

وإنَّ أسلوب النهي لا يؤدي غرضاً واحداً في الكلام العربي بل نراه يخرج إلى معانٍ مجازية كثيرة تعرف من السياق وقرائن الأحوال، ومنها:

### ١. الدعاء

تأتي صيغة النهي لكي تؤدي غرضاً مجازياً هو الدعاء الذي هو طلب من الأدنى إلى الأعلى وهذا ما نلمسه في الأسلوب القرآني قال تعالى: «رَبَّنَا لَتُؤاخِذنَا إِنْ نَسِيَّاً أَوْ أَخْطَأْنَا»<sup>(٥١)</sup>

وعلى وفق هذا الاستعمال لأسلوب النهي في تحقيق غرض الدعاء نجد قول الصحابي عبد الله بن عباس في آخر خطبته التي ختمها بالدعاء (اللهم ربنا اعنا ولا تخذلنا ، وانصرنا على عدونا ،

الحرب التي تداعى لها الطرفان في قضية معروفة عند أصحابه فهم على يقين في حربهم وسلمتهم؛ لأنهم مع ابن عم الرسول الأكرم وهم على بيعة صحيحة أجمع عليها المسلمين.

### ٣. التحقيق

إن أسلوب النهي قد يخرج إلى غرض آخر ويعتمد ذلك على ما يحيط بالنص من مؤثرات وما يجتمع فيه من قرائن، وهو يصدر من الخطيب إلى من قصد في دلالة على أن القول أو الفعل غير ذي بال ولا يستحق الاهتمام، ومن ذلك ما نلمسه في قول الصاحبي مالك الأشتر (رضوان الله تعالى عليه) مخاطباً الإمام علي عليه السلام ومشيراً إلى قول أعدائه وخصومه وفعلهم فهو يقول (لا يهدنك ما رأيت، ولا يؤسفك من نصرنا ما سمعت من مقالة هذا الشقي الخائن)<sup>(٥٥)</sup>، فقد استعمل في قوله

في البلاغة أحسن موقع لما ورد في كتاب الله الذي أعجز الثقلين بمثله أو بأقصر سورة من سوره<sup>(٥٤)</sup>.

ثم يستشهد بآيات قرآنية خرج فيها النهي إلى هذا الغرض، ونحن نلمس هذا الغرض قد جاء في قول الصحابي عبد الله بن عباس مخاطباً أصحابه الذين اختبرهم فأفلاهم متمسكين بمبادئهم عازمين على ملاقة عدوهم، وهو على ثقة مما هم عليه لذلك خاطبهم قائلاً: (فلا يكونن أولى بالجد في باطلهم منكم في حكم) وهو بهذا الخطاب أراد أن يلهب حماسهم ويدفعهم إلى ملاقة الأعداء.

لذلك استعمل أسلوب النهي الذي ساعدت القرائن السياقية والمقامية على خروجه إلى غرض بلاخي قصده الخطيب في التأثير على مخاطبيه وإلهاب الحماس لديهم لأنّ المقام هو ساحة حرب أو ساعة استعداد وتهيؤ إلى خوض غمار

وهو من صيغ الإنشاء الظبي، قال السكاكي : (الاستفهام لطلب حصول في الذهن ، والمطلوب حصوله في الذهن إما أن يكون حكما بشيء على شيء أو لا يكون. والأول هو التصديق ويتنع انفكاكه من تصور الطرفين ، والثاني هو التصور ولا يتنع انفكاكه من التصديق) <sup>(٥٧)</sup> .

وأسلوب الاستفهام من الأساليب البلاغية التي تعبر عن الانفعال بصورة دقيقة لأنَّ (الاستفهام أوفَّرُ أساليب الكلام معاني ، وأوسعها تصرفًا وأكثرها في مواقف الانفعال وروداً ، ولذا نرى أساليبه تتواли في مواطن التأثير وحيث يراد التأثير وهيج الشعور للاستتمالة والاقناع ، وإذا صر القول : إنَّ للكلام قمة عليا في البلاغة كان أسلوب الاستفهام محتلاً أعلى مكان في تلك القمة) <sup>(٥٨)</sup> . فإذا كان التردد في الواقع أو اللاواقع فهو التصديق وإذا كان التردد في المفرد فهو التصور المعنوي كقولنا : (أقام زيد يكون الاستفهام للتصديق أي ل الواقع

أسلوب النهي الذي جاء عن طريق الفعلين المضارعين المجزومين بأداة الجرم (لا) وهمـا (يهـدنـك) و(يؤـسـفـك) وهذا الاستعمال جاء مركزاً؛ لأنه ربط بين أسلوبين من النهي أي بين جملتين أفادتا النهي ثم دلالة التحقيق المؤكدة من خلال الربط بينهما بأداة الربط الواو العاطفة في عملية أراد بها تأكيد القول ، وتحقيق الفعل الصادر من شخص خائن شقي .

### ثالثاً: أسلوب الاستفهام

#### الفهم لغة

يشير لسان العرب لابن منظور إلى الدلالة اللغوية للفهم فيقول (وفهمت الشيء ، عقلته وعرفته ، وأفهمه الأمر وفهمه إياه : جعله يفهمه ، واستفاهمه سأله أن يفهمه ، وقد استفهمني الشيء فأفهمته وفهمته تفهيمًا) <sup>(٥٩)</sup> .

#### الاستفهام اصطلاحاً بلاغياً

فهو طلب العلم بالشيء المجهول ،

وأصحابه مع النصرة وعلى الثبات في الموقف الذي تعاهدوا عليه في نصرة الحق والدفاع عنه خلف ابن عم الرسول الأكرم صلى الله عليه واله وعلى وفق هذا الغرض البلاغي نجد قول الصحابي مالك الأشتر (رضوان الله تعالى عليه) عندما صورَ حاله وأصحابه تعجب من يظن أنه لا ينصر الإمام أو يخذه، فهو يقدم هذا الأسلوب الاستفهامي في غاية بلاغية ودلالية أجمع السياق الحالي والمقامي على تصديقها إذ يقول (فكيف لا نقاتل قوماً هم كما وصف أمير المؤمنين)<sup>(٦١)</sup> فالسياق اللغوي يؤيد ذلك إذ تدل الألفاظ (كما وصف أمير المؤمنين) على وصف سابق يوضح بطلان إدعائهم وسوء أفعالهم، فهو وأصحابه يستنكرون ذلك ويعجبون لمن يظن بنصرتهم الإمام عليه السلام.

### الخاتمة

تناول البحث الأساليب البلاغية التي

الفعل أما إذا قلنا: (أقام زيد أم عمرو) يكون الاستفهام للتصور والفرق بين الهمزة التي يطلب بها التصور أو التصديق أنَّ كل ما صلح أن يؤتى به بعده بأم المتصلة فهو استفهام عن التصور. ويتم الاستفهام باستعمال أدوات معروفة له<sup>(٥٩)</sup>، غير إننا لم نجد في خطب أصحاب الإمام علي عليه السلام إلا استعمالاً لأداة واحدة هي (كيف)، ومن الأغراض التي يخرج إليها أسلوب الاستفهام:

### غرض التعجب

وهذا الغرض نلمسه في قول الصحابي سعد بن قيس الهمданى (رضي الله عنه) متوجباً ومستنكرةً فعل وقول من لا ينصر الإمام عليه السلام فيقول (فكيف وإنما رئيسنا ابن عم نبينا، بدري صدق، صلى صغيراً، وجاهد مع نبيه كبيراً)<sup>(٦٠)</sup> فالخطيب هنا استعمل أداة الاستفهام (كيف) التي تستعمل للدلالة على الحال، فقد أوضح أن حاله



## الأساليب البلاغية في خطب أصحاب الإمام علي عليه السلام في معركة صفين ..... (ملخص)

وصادقة في التعبير عن النفس وذات قدرة تصويرية تحمل في طياتها مقدرة الخطباء على تنويع الأساليب على وفق الحالة التي استدعت الخطبة، غير متناسين ما توفره هذه الأساليب الانشائية من جمالية ييدو تأثيرها في المتلقى أكثر عندما تقتربن مع صدق المشاعر الممزوج بالإيمان بالقضية التي دافعوا عنها.

وقد توصل الباحث إلى أن الخطب قد استطاعت أن تتنوع في أساليبها لتؤدي أغراضًا بلاغية مجازية لها فعلها في المتلقى لذلك تنوّع هذه الأغراض المجازية بين تحذير وتحريّك همة ودعاً وتوبيخ، كل تلك الأغراض وقف عندها الباحث ودل عليها ولم يغفل إلا عن النذر اليسير منها، وذلك لقلة ورودها في نصوص خطب أصحاب الإمام علي عليه السلام، ولربما كان للظرف المنتج لهذه الخطب أثر في تحديد

اتّبعها أصحاب الإمام علي عليه السلام في خطبهم في وقعة صفين ولقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج التي تؤكّد على مجموعة من الخواص الأسلوبية التي استعملت بدقة لحاجة الخطاب لها وللملائمة السياق المقامي لمقتضاه، فقد استعمل أصحاب الإمام علي عليه السلام الأساليب الخبرية في الموضع التي يراد بها تثبيت حقيقة وتوكيدها أو في حالة وصف ما لديهم من قضية تتطلّب الوصف الدقيق القاطع في حجيته ولا يتحقق ذلك إلا باتباع أسلوب الجملة الخبرية الإسمية، وقد دل البحث على أوجه هذا الاستعمال وأبيان أهميته في تصوير الحالة أو في الدفاع عن قضية. ومن نتائج البحث أنّ الأساليب الانشائية التي اتبّعها أصحاب الإمام علي عليه السلام في خطبهم جاءت لتحقيق أغراضًا مجازية تطلبها سياق الحال، فكانت دقيقة في الكشف

- هذه الأغراض من دون سواها.
- (١٣) م.ن: ٢٣٩
- (١٤) الخطيئة والتکفیر—للگذامي: ١١٤
- (١٥) وقعة صفين: ٢٣٧
- (١٦) م.ن: ٣٢٠
- (١٧) شرح المفصل: ٨٨/١
- (١٨) ينظر: م.ن: ٨٩/١
- (١٩) ينظر: في النحو العربي نقد وتجييه: ٢٨١
- (٢٠) دلائل الإعجاز: ٢٤٦
- (٢١) وقعة صفين: ٣١٩
- (٢٢) م.ن: ٣١٩
- (٢٣) ينظر: شرح الرضي للشافية: ١٩/٢
- (٢٤) سورة سباء - الآية ٣١
- (٢٥) هو جرير بن عبد الله ويكتنى ابا عمرو اسلم في السنة التي قبض فيها النبي (صلى الله عليه وآلہ) قدمه عمر على جميع بحيلة وكان لهم اثر عظيم في فتح القادسية، ثم سكن الكوفة وأرسله علي رسولا إلى معاوية ، ثم اعتزل الفريقين، ينظر: طبقات ابن سعد: ج ٢٢/٦
- والاصابة في معرفة الصحابة: ج ٤٧٥/١
- (٢٦) وقعة صفين: ٣١
- (٢٧) ينظر: لسان العرب : مادة (نشأ).
- 
- (١) ينظر: لسان العرب : مادة (خبر).
- (٢) المقتضب: ٨٩/٣ . وينظر: نظم الدرر: ٤٤٥/٣
- (٣) الصحابي: ١٧٩
- (٤) الإيضاح: ٨٦/١ ، والتلخيص: ٣٨
- (٥) الإتقان في علوم القرآن - للسيوطى: ٢٨٦/٢
- (٦) جمهرة الأمثال: ٣١٢/٢ ، ولسان العرب مادة (عصم).
- (٧) وقعة صفين - للمنقري: ٣١٨
- (٨) وقعة صفين: ٩٥
- (٩) م.ن: ٩٢
- (١٠) م.ن: ٣١٩
- (١١) الاشعث بن قيس اسمه معديكرب قيس وسمى أشعث لشاعث شعره وهو من كندة وفد النبي في سبعين رجلا واسلم توفي سنة ٤٠ هـ ينظر: الكنى والألقاب للشيخ عباس القمي: ٢٤/٢
- (١٢) وقعة صفين: ٣١٨



## الأساليب البلاغية في خطب أصحاب الإمام علي عليه السلام في معركة صفين

- (٤٧) م.ن: ٣١٩ (٢٨) الإيضاح: ٨٥/١ ، والتلخيص: ١٥١ ،  
 والطراز: ٦١/١ ، والإتقان: ٨٧٧ - ٨٧٥
- (٤٨) الأساليب الإنسانية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم: ٦٧ .
- (٤٩) مفتاح العلوم: ١٥٢ - ١٥٣ . وينظر: ٢٤٤
- (٥٠) الطراز: ٢٨٥/٣ .
- (٥١) سورة البقرة: ٢٨٦ .
- (٥٢) وقعة صفين: ٣١٩ .
- (٥٣) الطراز: ١٦٥/٣ .
- (٥٤) م.ن: ١٦٧/٣: عاشر: ١٩٤/٨
- (٥٥) وقعة صفين: ٦٥ .
- (٥٦) لسان العرب مادة (فهم) .
- (٥٧) مفتاح العلوم: ١٤٦ .
- (٥٨) فن البلاغة: ١٣٧ .
- (٥٩) ينظر: الإيضاح: ١/٢٢٨ .
- (٦٠) وقعة صفين: ٢٣٧ .
- (٦١) م.ن: ١٧٤ .
- (٢٩) ينظر الإيضاح في علوم البلاغة: ٨٦/١ .
- (٣٠) تهذيب السعد: ٢٩/٣ .
- (٣١) الطراز: ٢٨١/٣ .
- (٣٢) مفتاح العلوم: ١٥ .
- (٣٣) أساليب بلاغية: ١١٢ .
- (٣٤) التحرير والتنوير - لابن عاشور: ١٩٤/٨
- (٣٥) وقعة صفين: ٣١٩ .
- (٣٦) م.ن: ٢٣٩ .
- (٣٧) م.ن: ٣١٨ .
- (٣٨) م.ن: ١٧٤ .
- (٣٩) م.ن: ٤١٨ .
- (٤٠) م.ن: ٣١٨ .
- (٤١) م.ن: ٣١ .
- (٤٢) المفردات للراغب الاصفهاني: ١٦٩ .
- (٤٣) الإيضاح في علوم البلاغة -
- للقرزويني: ٢٤٣/١ .
- (٤٤) ينظر الصاحبي في فقه اللغة: ١٨٤ .
- (٤٥) سورة آل عمران: ١٩٣ .
- (٤٦) وقعة صفين: ٣١٩ .

## المصادر

- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ت ٩١١ هـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث،



جامعة الملك عبد الله بن عبد الرحمن



٢٥٠

- القاهرة، ط ٣، ١٤٠٥ هـ.
- تحقيق عبد المجيد قطامش و محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٨ .
- دلائل الإعجاز في علم المعاني ، عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) تعليق محمود محمد شاكر ، مكتبة الحانجبي ، مصر ، (د.ت).
- شرح المفصل ، موقف الدين بن علي بن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) ، المطبعة الميرية ، مصر.
- الصاحبي في فقه اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن زكرياً أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) ، تحقيق د. احمد صقر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاءه ، القاهرة ، ١٩٧٧ م.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوى اليمى (ت ٧٤٩ هـ) ، مطبعة المقتطف ، مصر ، ١٣٣٢ هـ - ١٩١٤ م. ودار الكتب العلمية
- الأسلوب الإنسانية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم ، د. صباح عبد دراز - مطبعة الأمانة - ط ١ - مصر ١٩٨٦: ٦٧-
- أساليب بلاغية - أحمد مطلوب - وكالة المطبوعات الكويت - ١٩٨٠
- أساليب الطلب عند النحويين والبلغيين ، د. قيس إسماعيل الأوسى ، جامعة بغداد ، بيت الحكمة للنشر والترجمة والتوزيع ، بغداد ١٩٨٨ .
- الإيضاح في علوم البلاغة - القزويني - شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي - دار الكتب اللبناني - ١٩٨٠ - ٥
- تفسير التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية - ١٩٨٤ .
- جمهرة الأمثال ، الحسن بن عبد الله ، أبو هلال العسكري ، ت ٣٩٥ هـ ،



- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد المعين خان، طبعة مجلس المعارف الإسلامية، حيدر آباد الدكن الهند، ط ١، ١٩٦٩ م.
- فن البلاغة، د، عبد القادر حسين، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د.ت.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان، ط ٢، (د.ت).
- المقضب، أبو العباس المبرد (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٩٦٣ م.
- المفردات في غريب القرآن -أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالأصفهاني (٥٠٢هـ) تحقيق محمد سيد الكيلاني -مطبعة البابي الحلبي -مصر ١٩٦١ م.
- مفتاح العلوم، لأبي يعقوب محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦هـ)، مطبعة المكتبة العلمية الجديدة، بيروت، (د.ت).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

لَا يَرْجِعُ الظَّالِمُ إِلَيْهِ مَا سَرَقَ  
وَمَنْ يَنْهَا نَهَا فَإِنَّمَا

مَنْ يَنْهَا مَنْهَا

وَمَنْ يَنْهَا مَنْهَا كَانَ مَافِرًا

قال أمير المؤمنين عليه السلام



لَمْ يُخْلِلَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ  
مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ  
أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ أَوْ حِجَّةً لَازِمَةً  
أَوْ مَحِجَّةً قَائِمَةً



## وظائف النبوة

### دراسة في نهج البلاغة

م. د. انتصار عدنان عبد الواحد

جامعة البصرة/ كلية الآداب

يمثل كتاب (نهج البلاغة) رافداً ثرّاً للغة العربية، فهو كتاب في غاية الإتقان، يتلو السنة والفرقان، لأنّه ضم الكلم ونوارد البلاغة من نزل عليه القرآن، فلذلك لا يسع أحد وصف ما فيه من فنون الفصاحة ووجوه البلاغة، لأنّه ركب منها أعلى ذروة السنام. ثم أن جامعه يعد من أقطاب الفكر الإسلامي ألا وهو الشّريف الرّضي الذي بُرِزَ في الأدب العربي، مركزاً على دراسة كلام الله ورسوله وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما وعلى آلهما، ففي ما يختص كلام الله ناقش مسألة التأويل في كتاب سماه (حقائق التأويل في متشابه التنزيل) الذي قيل فيه: (صنف الرّضي كتاباً في معانٍ القرآن يتذرّع وجود مثله)

## المقدمة

يمثل كتاب (نهج البلاغة) رافداً ثراؤ للعربية، فهو كتاب في غاية الإتقان، يتلو السنة والفرقان، لأنه ضم الكلم ونواوده البلاغة من نزل عليه القرآن، فلذلك لا يسع أحد وصف ما فيه من فنون الفصاحة ووجوه البلاغة، لأنه ركب منها أعلى ذروة السنام<sup>(١)</sup>.

ثم أن جامعه يعد من أقطاب الفكر الإسلامي ألا وهو الشريف الرضي الذي برع في الأدب العربي، مركزاً على دراسة كلام الله ورسوله وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما وعلى آلهما، ففي ما يخص كلام الله ناقش مسألة التأویل في كتاب سماه (حقائق التأویل في متشابه التنزيل) الذي قيل فيه: (صنف الرضي كتاباً في معاني القرآن يتعدّر وجود مثله)<sup>(٢)</sup>.

أما عن كلام رسول الله صلى الله عليه وآلـه فناقش مسألة المجاز في كلام النبي صلى الله عليه وآلـه في كتاب سماه

(المجازات النبوية)، وهو مطبوع، في حين كانت البلاغة نصب عينيه فيما يختص كلام الإمام أمير المؤمنين صلوات الله عليه فوضع كتابه الذي سماه (نهج البلاغة) الذي خصصه لما أثر عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه من خطب ورسائل وقصار الكلمات، وهكذا جاء الكتاب في فصول ثلاثة<sup>(٣)</sup>.

وتجدير بالذكر إن نهج البلاغة لم يحتوى على جميع ما صدر عن الإمام أمير المؤمنين صلوات الله عليه؛ لأن هدف مؤلفه لم يكن جمع المتاثر من كلامه صلوات الله عليه بل كان ينتقي ما يراه في قمة الفصاحة والبلاغة.

فكأن يلتفت كلام أمير المؤمنين صلوات الله عليه التقاطاً، ولا يقف مع الكلام المتواتي لأن غرضه ذكر فصاحتـه صلوات الله عليه لا غير، ولو أتى بخطبه كلها على وجهها لكانـت أضعفـ كتابـه الذي جمعـه<sup>(٤)</sup>.

الكلام وصعوبة سبر أغواره بأدواتنا المعرفية المتواضعة، ومن الطبيعي أن لا تشوب الأعمال العجلة في بدايتها حتى اسقت لنا الأمور فأخذنا نخت السير قدماً ونهض سريعاً، رغم يقيننا إن كل ما نقدمه يبقى قاصراً ومقصراً في إكماله على الوجه الأمثل لكن (ما لم يدرك كله لا يترك جله).

لقد تناول أمير المؤمنين عليه السلام مختلف الموضوعات وفي علوم شتى كعلوم القرآن والحديث والكلام والفقه وغيرها.

ويتبين أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد أبدى اهتماماً بالنبوة والأنبياء، فكثرت إشاراته إليها وإلى مقامها السامي ومهام الأنبياء وما لاقوه من أقوامهم من أذى وتكذيب.

ومن بين المفردات التي كان لها حضورٌ في كلام أمير المؤمنين عليه السلام في ما يخص الأنبياء مفردة (وظائف

ومع ذلك جاء هذا الكتاب فريداً من نوعه، وأصيلاً في بابه، لذا تلاقفته عقول المفكرين وأقلامهم قديماً وحديثاً تحقيقاً وشرعاً وتعليقاً ودراسة، حتى تجاوز ما كتب عنه المئات من الدراسات في مختلف صنوف المعرفة، وكان كل من غاص في خضم بحثه وجده أعظم مما ظن وأعمق مما تصور لذا جاءت عبارات الذهول والإعجاب والعجز تترى على ألسنة المبحرين في عوالمه، كيف لا وكلامه صلوات الله عليه (قبس من نور الكلام الإلهي وشمس تضيء بفصاحة المنطق النبوي) <sup>(٥)</sup>.

فكان بحق (دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق) <sup>(٦)</sup>.

وأمام هذا (الكلام العلوى) يقف الباحث متهدياً متخضعاً لجلالة النص وعظمته، لذا كانت خطواتنا مع هذا الموضوع بطيئة جداً وهادئة وحذرنا لما يحمله من صعوبات تكمن في ع神性 هذا

الوحى التي يحصل بها الاتصال بالله تعالى ، ويتلقى عبرها المعرف الحقة التي فيها السعادة ، وفي خلافها الشقاء والضلال<sup>(٩)</sup>.

وقد أشار إليها القرآن بقوله تعالى :

**﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَ اللَّهَ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرِسِّلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ﴾**<sup>(١٠)</sup>.

يجد المتأمل في نهج البلاغة تركيزاً واضحاً من قبل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على مسألة (النبوة) ، ويمكن أن يلاحظ على ما جاء في كلامه عليه السلام :

أولاً : أنه عليه السلام تناول مفهوم النبوة على مستويين ، المستوى العام والخاص ، فتارة يتحدث عن النبوة كحركة أو تيار واحد من جهة أن الأنبياء كلهم مصطفون من الله سبحانه

الأنبياء ) لذا آثرنا دراستها دراسة مستقلة مستعينين بما جاء لدى المفسرين وشرح نهج البلاغة وعلماء اللغة والكلام في بيان مراده عليه السلام .

## المبحث الأول

### مفهوم النبوة وضرورتها

#### النبي لغة

النبي : (مأخوذ من نبا ينبو فهو اسم من النبوة ، وهي الأرض المرتفعة ، أو من نبئ ، فهو اسم من النبا وهو الخبر ، ولعله مأخوذ من الاثنين من النباء والإنباء ، ويقرئ بلا همزة تحفيقاً<sup>(٧)</sup> .

#### أما اصطلاحاً

(النبي هو الإنسان المخبر عن الله تعالى بغير واسطة أحد من البشر)<sup>(٨)</sup>.

إنه شخص من البشر ومن الناس أنفسهم ، يحيط به الله تعالى على سائربني نوعه ، ويختصره بهدايته وعنائه ، فيوحى إليه ، أو يحدثه من وراء حجاب ، أو يرسل إليه ملكاً يكلمه . وهذه هي طرق

وصفاته الجسمانية ولباسه، وبضعة تفصيلات حول لقائه هو وأخوه هارون عليهما السلام مع فرعون، فضلاً عن تأويل بعض الآيات الخاصة ب موقف النبي موسى عليه السلام<sup>(١٥)</sup>.

وفي حديثه عن النبي الله داود عليه السلام أشار إلى زهده وطبيعة عمله وعبادته، وأنه قارئ أهل الجنة<sup>(١٦)</sup>.

وورد ذكر النبي سليمان عليه السلام إذ تحدث الإمام عن نبوته، وعظيم زلفته، وطول عمره، وسعة سلطانه، وتسخير الجن والإنس له<sup>(١٧)</sup>.

وكذلك نجد ذكر النبي عيسى عليه السلام وبضعة إشارات عن كيفية معيشته وبعض أحواله الاجتماعية ومظاهر زهده عليه السلام<sup>(١٨)</sup>.

كما انه وبما يتصل بموضوع نبوة الأنبياء تحدث عن بعض أقوامهم في إشارة موجزة لكنها مركزة؛ كحديثه عن ثمود قوم صالح، وبني إسماعيل، وبني

ومبعوثون من قبله، وأن أساس دعوتهم التوحيد، وأن أهداف بعثتهم واحدة. وكل منهم جاء بشرعية سماوية أو دعا إليها لإنقاذ الناس، وتحقيق سعادتهم، وإن كانت طرائق دعواتهم ومنهجهم ينبغي أن يتغير بتقدم الزمن، إلا أن الأصول والنتائج تبقى على حالها.

وهذا ما أشار إليه الإمام عليه السلام بشكل عام عن النبوة في مظان كلامه المتناثر في خطبه وكلماته الشريفة.

وتارة نجده يختص بالذكر بعض الأنبياء، وان كان بإيجاز ك الحديث عن النبي آدم عليه السلام وصفة خلقه<sup>(١٩)</sup>، وعلة خلقه من تراب<sup>(٢٠)</sup>، واصطفاء الأنبياء من ذريته<sup>(٢١)</sup>، وقصته مع إبليس<sup>(٢٢)</sup>.

أما النبي الله موسى عليه السلام فقد تطرق لبعض أحواله بتعدد الإشارات إلى ذكره. في أكثر من موضع من كلامه عليه السلام، فقد تحدث عن زهده وتواضعه



وحدة وظائفهم وسماتهم عدا بعض المزايا التي اختص بها النبي محمد صلى الله عليه وآلله وسلم كونه خاتماً للأنبياء ومهيمنا عليهم وغيرها.

ثانياً: نلاحظ أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام نعت النبي صلى الله عليه وآلله وسلم بأوصاف عديدة في معرض حديثه عن النبي صلى الله عليه وآلله وسلم، فتارة يقول عنه النبي<sup>(٢٠)</sup>، وتارة رسول<sup>(٢١)</sup>، فضلاً عن النعوت الأخرى من قبيل البشير<sup>(٢٢)</sup>، والنذير<sup>(٢٣)</sup>، والشاهد<sup>(٢٤)</sup>، والأمي<sup>(٢٥)</sup>، وعبد الله<sup>(٢٦)</sup>، والأمين<sup>(٢٧)</sup>، والصفي<sup>(٢٨)</sup>، والرضي<sup>(٢٩)</sup>، والإمام<sup>(٣٠)</sup>، والرشيد<sup>(٣١)</sup>، والنجيب<sup>(٣٢)</sup>، والمصطفى<sup>(٣٣)</sup>، والخاتم<sup>(٣٤)</sup>، والمجتبى<sup>(٣٥)</sup>، والأطيب<sup>(٣٦)</sup>، والأظهر<sup>(٣٧)</sup>، والأمين<sup>(٣٨)</sup>، والمأمون<sup>(٣٩)</sup> إلى غيرها من تلك الصفات التي تارة تأتي منفردة، وأخرى متراوحة مع عبارة ما، لتدوي معناها بشكل أوفى<sup>(٤٠)</sup>.

إسحاق، وبني إسرائيل، والفراعنة، والعمالقة، وأصحاب الرس، والمؤمنين الذين اخذهم الفراعنة عيذاً واليهود. وهذا الذكر منه لهذه الأقوام كان على سبيل الوعظ والتذكرة والاعتبار بما أصحابهم بغية تحذير العوامل التي أدت إلى انحطاطهم ووقوع البلاء فيهم<sup>(١٩)</sup>.

أما حديثه عن النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وآلله وسلم فقد جاء بشكل أكثر تركيزاً وخصوصية لكثير من جوانب سيرته الشريفة التي عكست رؤية الإمام لشخص النبي الأعظم صلى الله عليه وآلله.

إن طبيعة المادة المختصة بالنبوة وتوافرها بمستوى عام وخاص في نصوص النهج، فرض علينا - في حال غياب النص الصريح المختص بالنبي صلى الله عليه وآلله وسلم - تطبيق بعض الإشارات العامة عن الأنبياء على خصوص النبي صلى الله عليه وآلله وسلم، وذلك لأن سجامت دعوتهم جميعاً

يعنى إن حكمة الله تقتضي إرسال الرسل لهداية البشر وإرشادهم إلى مسالك السعادة، وتجنيبهم مهاوي الضلال والشقاء<sup>(٤٦)</sup>. لكن ما الأدلة على ذلك؟

### **الدليل الأول**

**حكمته تعالى وتنزهه عن العبث**

#### **واللغو في فعله**

لو لم يرسل الأنبياء إلى الناس حاملين نظم الحياة الاجتماعية الصحيحة، ومبينين لهم سبل العبادات المقربة إليه تعالى، لاضمحل المجتمع الإنساني، ولضل البشر في متاهات الشرك والفساد، وهذا مبطل لغرضه تعالى من الخلقة، ومستلزم للغو والعبث في فعله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً.

### **الدليل الثاني**

**النبوة طريق إلى سعادة الآخرة**

إن الهدف من خلق الإنسان تخليه بالكمالات المعنوية، وتهذيب النفس وتطهيرها من الشوائب، لبلوغ أعلى

في إشارة واضحة وردت في كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقول فيها: «وَلَمْ يُخْلِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَّبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ أَوْ مَحْجَةٍ قَائِمَةٍ»<sup>(٤١)</sup>.

فوجود النبي المرسل<sup>(٤٢)</sup> يعد من ألطاف الله بعباده، ولئلا يكون للناس على الله حجة، ولا بد أن يكون هذا اللطف شاملاً لجميع الخلائق ولا يختص بزمان دون آخر.

فالنبي المرسل في المرتبة الأولى، إذ بعث الله رسالته وجعلهم حجة له على خلقه: «إِنَّا تَجِبَ الْحُجَّةَ لَهُمْ بِتَرْكِ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ»<sup>(٤٣)</sup>.

وقال عليه السلام في حق النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم: «أَرْسَلَهُ لِإِنْفَاذِ أَمْرِهِ وَإِنْهَاءِ عُذْرِهِ وَتَقْدِيمِ نُذْرِهِ»<sup>(٤٤)</sup>.

وقد اتفق المسلمون وأكثر الملل<sup>(٤٥)</sup> على ضرورة بعثة الأنبياء إلى الناس،

## المبحث الثاني

### وظائف الأنبياء

يمكن أن نستشف من كلام أمير المؤمنين عليه السلام مجموع الوظائف التي انيطت بالأنبياء والرسل عليهم السلام :

#### أولاً: أداء ميثاق الفطرة الإلهية<sup>(٤٩)</sup>

إن الأنبياء طالبوا بأداء ميثاق الفطرة، وهو ميثاق التوحيد، إذ يقول الله سبحانه : ﴿فَطَرَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾<sup>(٥٠)</sup>.

فالتوحيد له وجود نقى خالص من كل شائبة داخل نفس الإنسان، وأما الانحرافات فأمر عارض، ووظيفة الأنبياء إزالة هذه الأمور العارضة، وفسح المجال لفطرة الإنسان في الإشراق<sup>(٥١)</sup>.

ويشهد على ذلك أنه لما سئل الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام عن هذه

درجات القرب من الله تعالى ، ونيل السعادة الأبدية ، قال تعالى : ﴿وَمَا

**خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا  
لِيَعْبُدُونَ﴾<sup>(٤٧)</sup>.**

وهذا لا ينال إلا بالوقوف على المعرفة الحقة ، وطرق الأعمال العبادية الصالحة ، ومدارج نبذ التعلق بالأغراض الدنيوية الزائلة ، فلابد حينئذ تحقيقاً لحكمة الله تعالى في خلق البشر من إرسال شخص ، لم يحصل له ذلك التعلق المانع ، فيعلمهم المعرفة الحقة ، ويزيل عنهم ما علق من شبهات في عقولهم ، ويعضد ما اهتدت إليه عقولهم بهدي الله وفطرته التي فطر الناس عليها ، ويبين لهم مالهم يهتدوا إليه ، ويزكرهم بالنعيم الموعود ، ويحذرهم من العقاب وسوء المال<sup>(٤٨)</sup>. وهذا ما ورد في كلام أمير المؤمنين عليه السلام مما نصلح على تسميته ( وظائف الأنبياء ).

ويذهب باحث معاصر إلى إن نفس الإنسان خلقت صحيفة بيضاء لا شيء فيها، ولا توحى بشيء على الإطلاق، ولكنها تقبل كل ما يكتب فيها ويرسم، سواء أكان وحيا من الرحمن أم كان تضليلًا من الشيطان، وبالبداية إن الوحي من خالق الفطرة، وهو وحده الذي يجب أن يرسم فيها ما يرسم، وأن تؤمن به وتعمل<sup>(٥٥)</sup>.

وما يدل على صحة هذا التفسير إن الإنسان يولد، ولا يولد معه شيء إلا حواسه الخمس، ومعدة تتطلب الطعام والشراب - لما هو مشاهد - بالحس والوجدان، ثم يكتسب معارفه مما يحيط به شيئاً فشيئاً عن طريق هذه الحواس، وفي أقوال أهل البيت ما يعزز ذلك ويidel عليه، إذ روى عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال : كان الناس قبل نوح أمة واحدة على فطرة الله، لا مهتدin ولا ضالين ، فبعث الله النبيين<sup>(٥٦)</sup>.

الآية ، قال : «فطّرهم على التوحيد عند الميثاق على معرفته انه ربهم»<sup>(٥٢)</sup>.

وفي رواية أنه سئل الإمام الصادق عليه السلام ، فقال : «هي الإسلام ، فطّرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد ، فقال : ألسْت بربكم؟ وفيهم المؤمن والكافر»<sup>(٥٣)</sup>.

وما عبر عنه الإمام علي عليه السلام هنا وفي مواضع أخرى من خطب وتجويهات هو تعبير عن حقيقة كبرى من الحقائق القرآنية ، ورد التنبية عليها أو الإشارة إليها في عدة آيات.

منها قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبِّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ طَهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنْسَتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ نَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كَنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ \* أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ أَبْأَوْنَا مِنْ قَبْلُ وَكَنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهِلِكُمْ كُمَا إِمَّا فَعَلَ الْمُبْطَلُونَ ﴾<sup>(٥٤)</sup>.

فيظهر إن المراد به ميثاق عالم الذر والمشار إليه في الآية القرآنية : ﴿ وَإِذْ أَخْذَ رَئِكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتُهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَّا سُنْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلِّي شَهَدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾<sup>(٥٩)</sup>.

ويظهر إن المراد من هذا العالم وهذا العهد هو عالم الاستعداد والكافاءات، وعهد الفطرة والتکوین والخلق، فعند خروج أبناء آدم من أصلاب آبائهم إلى أرحام الأمهات ، وهم نطف لا تعدو الذرات الصغار وهبهم الله الاستعداد لتقبل الحقيقة التوحيدية ، وأودع ذلك السر الإلهي في ذاتهم وفطرتهم بصورة إحساس داخلي ، كما أودعه في عقولهم وأفكارهم بشكل حقيقة واعية ب نفسها. وبناءً على هذا ، فان جميع أبناء البشر يحملون روح التوحيد ، وما أخذه الله من عهد منهم أو سؤاله إياهم : ألسنت

وبهذا فالمراد من قول الإمام عليه السلام : «لِيَسْتَأْدُوْهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ» أي إن الأنبياء طلبو من الناس أن يؤمنوا ، ويعملوا بما أوحاه الله سبحانه إلى الفطرة على لسان أنبيائه ، وليس معناه - كما يظن - إن الأنبياء طلبو من الناس أن يؤمنوا بما توحيه الفطرة نفسها. كلا ، لأنها صحيفة بيضاء لا توحى بشيء على الإطلاق<sup>(٥٧)</sup>.

وأشار عليه السلام إلى السبب الرئيس الذي استوجب بعثة الأنبياء ، فقال عليه السلام : «لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ ، فَجَهَلُوا حَقَّهُ وَاتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ ، وَاجْتَالُوهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ ، وَاقْتَطَعُوهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ»<sup>(٥٨)</sup>.

إذن هناك عهد لله قد تبدل ، وحق لله قد جهل من المخلوقين ، مما أدى بهم في أودية الشرك والضلالة ، وتلقفهم الشياطين ، فصدتهم عن معرفة الله وطاعته ، أما عن ماهية هذا العهد.

كما قال سبحانه : **﴿الْمَأْعَهُدُ  
إِلَيْكُمْ يَا بْنَي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا  
الشَّيْطَانَ﴾**<sup>(٦٣)</sup>

وان يجهلو حقه للغفلة بمحاضر لذاتهم  
عما يستحقه من دوام الشكر، وأن  
يتخذوا الأنداد معه لنسائهم العهد  
القديم، وان تجذبهم الشياطين عن  
معرفته التي هي أذثار الجنة، وان  
تقاطعهم عن عبادته التي هي المرفأة إلى  
اقتطاف تلك الشمرة.

ولما كان من شأنهم ذلك وجب في  
الحكمة الإلهية أن يختص صنفاً منهم  
بالكمالات الشريفة التي يقتدر معه أبناء  
ذلك الصنف على ضبط الجوانب  
المتجاذبة، وعلى تكميل الناقصين من  
دونهم، وهم صنف الأنبياء عليهم  
السلام، والغاية منهم ما أشار إليه أمير  
المؤمنين عليه السلام : **«لِيُسْتَأْدُو هُمْ  
مِثَاقُ اللَّهِ فَطَرَتْهُ»** ، أي ليبعشوهم على  
أداء ما خلقوا لأجله وفطروا عليه من

بربكم؟ بلسان التكوين والخلق، وما  
أجابوه كان باللسان ذاته<sup>(٦٠)</sup> !  
إن هذا العهد هو (عهد فطري)،  
وهو ما يعبر عنه بـ(الشعور الديني) الذي  
هو من الإحساسات الأصلية في العقل  
الباطني للإنسان. وهذا الإحساس يقود  
الإنسان على امتداد التاريخ البشري إلى  
طريق معرفة الله **﴿فَطَرَةُ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ  
النَّاسَ عَلَيْهَا﴾**<sup>(٦١)</sup>.

ولما كان الغالب على الخلق حب  
الدنيا، والإعراض عن مقتضى الفطرة  
الأصلية التي فطراهم الله عليها،  
والتحول عن القبلة الحقيقة التي أمروا  
بتوجه إليها، وذلك بحسب ما ركب  
فيهم من القوى البدنية المتنازعة إلى  
كمالاتها، لا جرم كان من شأن كونهم  
على هذا التركيب المخصوص أن يبدل  
أكثرهم عهد الله سبحانه إليهم من الدوام  
على عبادته والاستقامة على صراطه  
المستقيم وعدم الانقياد لعبادة الشيطان.



إلى القرآن الكريم لوجدنا في آياته ما يشير إلى هذا المعنى.

يقول تعالى : **﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَخْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أَوْتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَذِي اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ يَإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ﴾**<sup>(٦٧)</sup>.

فالآية تبين السبب في تشريع أصل الدين وتکلیف النوع الإنساني به، وسبب وقوع الاختلاف فيه بيان: إن الإنسان - وهو نوع مفطور على الاجتماع، والتعاون - كان أول اجتماعه أمة واحدة، ثم ظهر فيه بحسب الفطرة

الإقرار بالعبودية لله ، ويجدبواهم عما التفتوا إليه من إتباع الشهوات الباطنة واقتناء اللذات الوهمية الزائلة<sup>(٦٤)</sup>.

يبدو من كلام أمير المؤمنين عليه السلام إن العهد التاريخي للإنسانية بدأ بظاهرة وجود النبوات في المجتمع البشري ، هذه النبوات التي تقود مجتمعاتها نحو حياة أفضل ، ووجود إنسان أكمل<sup>(٦٥)</sup>.

إذ يشير عليه السلام في معرض حديثه عن قصة آدم «...وَأَهْبَطَهُ إِلَى دَارِ الْبَلِيَّةِ وَتَنَسَّلَ الذُّرِّيَّةِ، وَاصْطَفَى سَبَحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أُنْيَاءً، أَخْذَ عَلَى الْوَحْيِ مِبِشَّارَهُمْ، وَعَلَى تَبْلِغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ، فَجَهَلُوا حَقَّهُ وَاتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ، وَاجْتَالُوهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَاقْتَطَعُوهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَّهُ...»<sup>(٦٦)</sup>.

هذا النص يوقفنا على كيفية بدء ظاهرة النبوة وإرسال الرسل ، ولو عدنا

المختلف فيه بإذنه ، والله يهدي من يشاء  
إلى صراط مستقيم<sup>(٦٨)</sup> .

إن ظاهر الآية يدل على إن هذا النوع قد مر عليهم في حياتهم زمان كانوا على الاتحاد والاتفاق ، وعلى السذاجة والبساطة لا اختلاف بينهم بالمشايرة والمدافعة في أمور الحياة ، ولا اختلاف في المذهب والأراء ، وما يدل على نفي الاختلاف قوله تعالى : **﴿فَبَعَثْتَ اللَّهُ الْبَيِّنَاتِ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا لَحْتَلُفُوا فِيهِ﴾**<sup>(٦٩)</sup> ، فقد رتب بعثة الأنبياء وحكم الكتاب في مورد الاختلاف على كونهم أمة واحدة ، فالاختلاف في أمور الحياة ناشئ بعد الاتحاد والوحدة ، والدليل على نفي الاختلاف الثاني قوله تعالى : **﴿وَمَا لَحْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوْتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا**

الاختلاف في اقتناه المزايا الحيوية ، فاستدعي ذلك وضع قوانين ترفع الاختلافات الطارئة ، والمشاجرات في لوازم الحياة ، فألبست القوانين الموضوعة لباس الدين ، وشفعت بالتبشير والإذار بالثواب والعقاب ، وأصلحت بالعبادات المندوبة إليها ببعث النبيين ، وإرسال المسلمين ، ثم اختلفوا في معارف الدين أو أمور المبدأ والمعاد ، فاختل بذلك أمر الوحيدة الدينية ، وظهرت الشعوب والأحزاب ، وتبع ذلك الاختلاف في غيره ، ولم يكن هذا الاختلاف الثاني إلا بغيًا من الذين أوتوا الكتاب ، وظلموا وعتوا منهم بعدما تبين لهم أصوله ومعارفه ، وتمت عليهم الحجة ، فالاختلاف اختلفان : اختلاف في أمر الدين مستند إلى بغي الباغين دون فطرتهم وغريزتهم ، واختلاف في أمر الدنيا وهو فطري وسبب لتشريع الدين ، ثم هدى الله سبحانه المؤمنين إلى الحق



## وظائف النبوة دراسة في نهج البلاغة.....

تارة بالتنفير عن خسائس هذه الدار،  
وبيان وجوه الاستهانة بها  
والاستحقاق<sup>(٧٥)</sup>.

### ثالثاً

#### احتاجهم بالتبليغ<sup>(٧٦)</sup>

إنما الحجة على الناس من خلال  
الأدلة العقلية - إلى جانب المسائل  
الفطرية - وإرشادهم إلى الكمال في  
ظل التعاليم السماوية والأوامر  
والأحكام الشرعية<sup>(٧٧)</sup>.

### رابعاً

#### إثارتهم دفائن العقول<sup>(٧٨)</sup>

هذه القضية تعني بعث القوى العقلية  
والنفسية في الإنسان لأنجاز عملية التقدم  
الصحيح والتغيير الإيجابي في المجتمع عن  
طريق الحركة التاريخية المستبطة للوعي  
الإيجابي المستقيم<sup>(٧٩)</sup>.

إذ إن الناس قد يستطيعون فهم أمور  
بصورة مبهمة ونصف واعية، لكن  
استكمال فهمها، والارتفاع إلى مستوى

**جاءتهمُ الْبَيِّنَاتُ بَعْدًا**<sup>(٧٠)</sup>، فالاختلاف  
في الدين إنما نشأ من قبل حملة الكتاب  
بعد إزالته بغياً<sup>(٧١)</sup>.

### ثانياً

#### ذكرهم بالمنسي من نعم

الله<sup>(٧٢)</sup>

هنا يقصد بالنعمة، ما يمن الله بها  
على العباد في عالم الذر والميثاق، أو  
لعله يقصد جميع النعم المغفول عنها،  
والرأي الأول هو الظاهر؛ نظراً إلى ظاهر  
لفظ النسيان<sup>(٧٣)</sup>.

إذ إن الإنسان ينطوي على نعم مادية  
ومعنوية جمة ولو استغلها كما ينبغي فانه  
سيشيد صروح سعادته وفلاحه، في حين  
سيفقد مثل هذه السعادة إذا ما نسها  
وتجاهل استعمالها واستغلالها<sup>(٧٤)</sup>.

ثم إن هذا التذكير تارة يكون  
بالترغيب فيما عقده سبحانه مما أعده  
لأوليائه الأبرار، وتارة بالترهيب مما  
أعده لأعدائه الظالمين من عذاب النار،

إن استعمال كلمة (الدفائن) في كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نصه السابق إنما هو استعارة لطيفة، فإنه لما كانت جواهر العقول ونتائج الأفكار موجودة في النفوس بالقوة فأشبّهت الدفائن، فحسن استعارة لفظ الدفينة لها، ولما كان الأنبياء هم الأصل في استخراج تلك الجواهر لإعداد النفوس لظهورها حسنت إضافة إثارتها إليهم<sup>(٨٤)</sup>.

إذ إن مهمة الأنبياء تكمن في أن يكشفوا للناس كنوز العلوم والمعارف الكامنة في عقولهم، فقد أودع الله هذه العقول كنوزاً عظيمة قيمة، لو ظهرت واستغلت لشهدت العلوم والمعارف نهضة عظيمة وجباره غير إن هذه الكنوز استترت اثر هذه الغفلة والتعاليم الفاسدة والذنوب والمعاصي والتلاؤث الأخلاقي، فبعث الأنبياء لإزالة هذه الحجب وإثارة تلك الكنوز المفعمة بالعلوم والمعارف<sup>(٨٥)</sup>.

الوعي التام بها يحتاج إلى مذكر يخرجهم من حالة الغفلة التي كانوا عليها، إذ يلاحظ إن القرآن في كثير من الموارد يسمى نفسه أو سائر الكتب السماوية بأسماء يكون طابعها الذكر والتذكرة ومن هذه الأسماء: **الذكر**<sup>(٨٠)</sup>، **ذكرى**<sup>(٨١)</sup>، **تذكرة**<sup>(٨٢)</sup>.

وهذه التسمية ناشئة من تلك الملاحظة. فعملية التذكرة تعني إن إنساناً يعرف شيئاً ثم نسيه أو غفل عنه أي أصبحت معرفته له نصف واعية، ولا يؤثر العلم في انتخاب الإنسان إلا إذا التفت إليه.

وقد تنحط بعض المجتمعات - نتيجة لعوامل مختلفة - لتعتمد الغفلة كل حياتها، فيصاغ الجو الاجتماعي بشكل لا تكون فيه هذه المسائل مطروحة للبحث، والطريق للناس إلى معرفتها، هنا يبرز دور الأنبياء في إخراج الناس من هذه الغفلة إلى حالة الوعي<sup>(٨٣)</sup>.

## خامساً

### يرونهم آيات المقدرة<sup>(٨٦)</sup>

أي جعل الطبيعة موضوعاً للبحث

والتأمل، فإن مراقبة الطبيعة لفهمها والتعامل معها واكتشافها تعزز قضية الإيمان، لأنها تقدم مزيداً من الأدلة التجريبية على ما أدركته الفطرة السليمة من قضايا الألوهية.

كذلك يعين التعامل مع الطبيعة بصورة مباشرة على النجاح عملية التقدم، بل شرط أساسى لأنجاز التقدم المادى، وإذ تتحد قضية الإيمان في ذات الإنسان مع حركته التاريخية في الطبيعة والمجتمع فيكون تقدماً على هدى الإيمان، وأخلاقيات الروح والعقل، ويكون إيماناً يستجيب للحياة الدنيا ولا يقف منها موقف الرفض والعداء<sup>(٨٧)</sup>.

وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى ست آيات من تلك الآيات، وبينها بقوله: «من سَقْفٍ فَوْهُمْ مَرْفُوعٌ وَمَهَادٍ

تحتَّهُم مَوْضِعٌ، وَمَعَاشٌ تُحِيطُهُمْ  
وَآجَالٌ تُنْفِيهِمْ وَأَوْصَابٌ تُهَرِّمُهُمْ،  
وَأَحْدَاثٌ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ»<sup>(٨٨)</sup>.

فالأنبياء يرشدونهم إلى التأمل في آيات القدرة الإلهية من سقف فوقهم موضوع مشتمل على بدائع الصنع وغرائب الحكم، ومهاد تحتهم موضوع فيه يتشربون وعليه يتصرفون، ومعاشن بها يكون قوام حياتهم الدنيا، وبلغ لمدة بقائهم لما خلقوا له، وآجال مقدرة بها يكون فنائهم ورجوعهم إلى بارئهم، وأعظم بالأجل آية رادعة وتقديراً جاذباً إلى الله تعالى، ولذلك قال النبي عليه السلام: «أَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هَادِمِ اللَّذَاتِ»<sup>(٨٩)</sup>.

إلى غير ذلك من الأمراض التي تضعف قواهم وتهزمهم، والمصائب التي تتابت عليهم، فإن كل هذه الآثار موارد احتجاج الأنبياء على الخلق ينبهونهم بصدورها عن العزيز

**شِيئٌ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ**

**تَذَكَّرُونَ ﴿٩٢﴾**، إلى غير ذلك من

الآيات الدالة على احتجاج الخالق  
سبحانه على خلقه بأسنته رسنه،  
وتراجمة وحيه، وجذبهم بهذه الألطاف  
إلى القرب من ساحل عزته، والوصول  
إلى حضرة قدسه سبحانه وتعالى عما

يشركون: ﴿فَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنَّا

**تُخْصِّصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ**  
**كَفَّارٌ ﴿٩٣﴾**.

**سادساً**

### **التبيير والإندار**

من مهام الأنبياء التي وردت الإشارة  
إليها في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام  
مهمة (التبيير والإندار)، وهما من أهم  
مهام الأنبياء والرسل وضرورتها محسوسة  
 جداً، لما لها من آثار في تحريك رغبات  
الناس ببيان ألوان العذاب الإلهي،  
 وألوان النعم الإلهية. وقد ورد ذكر هاتين

الجبار عز سلطانه على انه هو الملك  
المطلق الذي له الخلق والأمر، ليقرروا في  
أذهانهم صورة مانسوه من العهد  
المأخوذ عليهم في الفطرة الأصلية من  
انه سبحانه هو الواحد الحق المفرد  
باستحقاق العبادة، والى ذلك وأشار  
القرآن الكريم بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ

**سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنِ آيَاتِهَا**  
**مُغَرِّضُونَ ﴿٩٠﴾**.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ

**السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِخِلْفَاتِ اللَّيْلِ**  
**وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ**  
**إِنَّمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ**  
**مِنْ مَا إِنَّمَا فَلَحَّى بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ**  
**مَوْتِهَا ﴿٩١﴾**؛ وقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءُ  
**بَيْنَ أَيْدِيهِنَا وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ \* وَالْأَرْضَ**  
**فَرَسَّنَا هَا فَنَفَرَ الْمَاهِدُونَ \* وَمِنْ كُلِّ**

بها عليه السلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا أنها لا تختص به وحده، فان الإنذار والتبيشير من ميزات جميع الأنبياء عليهم السلام، ومن أهم المهام المنطة بهم عليهم السلام وهذا ما نجده ماثلاً في آيات الذكر الحكيم<sup>(١٠٢)</sup>.

ومع أن البشير والنذير وصفان متقارنان في الآيات السابقة، وفي كلمات أمير المؤمنين عليه السلام، إلا أن بعض الآيات تذكر النبي بعنوان انه (نذير) فحسب، ولا نجد هذا الحال ينطبق على (البشير)، إذ لم يرد في آيات القرآن وفي كلام الإمام عليه السلام كما هو واضح أعلاه، ذكر (البشير) وحده إطلاقاً.

ولهذا سرّ يتعلق بال المجال النفسي والتربيوي، فهو يدلّ على إن الإنذار أهم من التبيشير في مجال التربية الإنسانية، وبعبارة أخرى فإنّ لعامل (الخوف) تأثيراً أكبر في نفس الإنسان من عامل (الأمل) لا سيما إذا أردنا إيجاد تغيير في حياته

الصفتين في أكثر من مقطع من كلامه الشريف إذ يقول عليه السلام في معرض حديثه عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم : «بلغ عن ربه معاذراً، ونصح لأمتِه مُذنراً، ودعا إلى الجنة مبشرًا، وخوفَ من النار مُحدنراً»<sup>(٩٥)</sup>.

وقوله عليه السلام : «أمينٌ وحِيٌّ، وخاتَمُ رسُلِهِ، وَبَشِيرٌ رَحْمَتِهِ، وَنَذِيرٌ نِقْمَتِهِ»<sup>(٩٦)</sup> ، «شَهِيدًا وَبَشِيرًا وَنَذِيرًا»<sup>(٩٧)</sup> ، وقوله عليه السلام : «فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ عَلِمًا لِلسَّاعَةِ، وَمُبَشِّرًا بِالْجَنَّةِ وَمُنذِرًا بِالْعَقُوبَةِ»<sup>(٩٨)</sup> ، وقوله عليه السلام : «وَأَنذَرَكُمْ بَيْنَ يَدِي عَذَابٍ شَدِيدٍ»<sup>(٩٩)</sup> ، وقوله : «أَرْسَلَهُ لِإِنْفَادِ أُمْرِهِ، وَإِنْهَاءِ عُذْرَهُ، وَتَقْدِيمِ نُذْرَهُ»<sup>(١٠٠)</sup> ، وقوله «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ»<sup>(١٠١)</sup>.

إن إشارات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام المذكور آنفاً، وان كان قد عنى

بما يشرون بها من النعم الغائبة، ولا يقابلون اللذات الموجدة بلذائف موعدة، تكون هذه عندهم نقداً وتلك نسيئة، وكان السبب الأقوى في الردع والاتفاق إلى الله إنما هو الإنذار والتخويف، فاختار كونه نذيراً على كونه بشيراً<sup>(١٠٤)</sup>.

وهنا ينبغي ألا ننسى بأنّ إنذار النبي صلى الله عليه وآله وسلم يشمل كافة الكائنات الأمر الذي يدل على عالمية الدين الإسلامي وخلوده، لأن العالمين مفهوم واسع يشمل كافة أفراد البشرية في كل عصر ومصر<sup>(١٠٥)</sup>.

(١) عبد الكرييم السعداوي: غريب نهج البلاغة ص ١٧ - ١٨.

(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٢٤٣/٢.

(٣) ينظر: نهج البلاغة ص ٧.

(٤) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٣ / ١٥٣.

(٥) النويري: بلوغ الإرب: ١٨١/٣.

ليكف عن سلوكه السابق بإرادته، ويختار ما يقترحه عليه المربى، فالإنذار مؤثر أكثر من التبشير. ولعل هذه الملاحظة هي وراء ذكر القرآن (النذير) وحده صفة للمبعوث من قبل الله، دون أن يفعل ذلك في (البشير)<sup>(١٠٦)</sup>.

وهذا ما نلمسه بوضوح أيضاً في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام كما هو بين في أعلى، وذلك لأن الإمام عليه السلام سائر على نهج القرآن في أدق تفصياته.

وقد خص عليه السلام الإنذار بالذكر واختارها على البشارة إذ المقصود في هذا المقام التوبيخ للعرب وترقيق قلوبهم المشتملة على الغلظة والفظاظة، ولا ريب إن الإنذار أقوى في الترقيق والردع، وذلك لأن عامة الخلق إلا قليلاً منهم أنظارهم مقصورة على زخارف الدنيا وشهواتها غافلون عن نعم الآخرة ولذاتها، فلا يرغبون عن النعم الحاضرة

يُحِيلُّهَا، وفِكَرٌ يَتَصَرَّفُ بِهَا وَجَوَارِحٌ  
يَخْتَدِمُهَا، وَأَدَوَاتٍ يُقْبِلُهَا وَمَعْرِفَةٌ يَفْرُقُ  
بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْأَدْوَاقَ  
وَالْمَشَامُ وَالْأَلْوَانُ وَالْأَجْنَاسُ، مَعْجُونًا  
بِطِينَةِ الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفةِ، وَالْأَشْبَاهِ  
الْمُؤْتَلِفَةِ وَالْأَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ،  
وَالْأَخْلَاطِ الْمُتَبَايِنَةِ مِنَ الْحَرُّ وَالْبَرِّ،  
وَالْبَلَةِ وَالْجُمُودِ...». الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ :

نهج البلاغة ص ١٧ - ١٩.

(١٢) كما في قوله عليه السلام: «وَلَوْ أَرَادَ  
اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ، يَخْطُفُ  
الْأَبْصَارَ ضِيَاؤُهُ وَيَهُرُّ الْعُقُولَ رُوَاوِهُ،  
وَطِيبٌ يَأْخُذُ الْأَنْفَاسَ عَرْفَهُ لَفَعَلَ، وَلَوْ  
فَعَلَ لَظَلَّتْ لَهُ الْأَعْنَاقُ خَاضِعَةً،  
وَلَخَفَّتِ الْبَلْوَى فِيهِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ،  
وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَبْتَلِي خَلْقَهُ بِعَضْ مَا  
يَجْهَلُونَ أَصْلَهُ، تَمْيِيزًا بِالْاِخْتِيَارِ لَهُمْ  
وَنَفِيًّا لِلِّا سِتْكَبَارِ عَنْهُمْ، وَإِبْعَادًا لِلْخُلَيْلِ  
مِنْهُمْ». نهج البلاغة : ص ٣٨٥ - ٣٨٦

(١٣) «وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْيَاءً...».  
نهج البلاغة : ص ١٩.

(٦) ابن أبي الحميد: شرح نهج البلاغة :

.٢٤١/١

(٧) ينظر: ابن سيدة: المخصص :

٣٢١/٣/٣. ابن منظور: لسان العرب :

.٣٠٣/١٥

(٨) الطوسي : الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد

ص ٢٤٤. العلامة الحلبي : الباب الحادي

عشر: ص ٨٥. المقادد السيوري : النافع

يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر:

ص ٣٣٣.

(٩) ينظر: العاملی : بداية المعرفة ص ١٩٥.

مرتضى العسكري : المصطلحات

الإسلامية : ص ٦٣.

(١٠) سورة الشورى الآية ٥١.

(١١) وذلك في قوله عليه السلام: «ثُمَّ جَمَعَ

سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الْأَرْضِ وَسَهَلَهَا،

وَعَنِّهَا وَسَبَّحَهَا، تُرْبَةَ سَنَهَا بِالْمَاءِ حَتَّى

خَلَصَتْ، وَنَاطَهَا بِالْبَلَةِ حَتَّى لَزَّتْ،

فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةً دَازِنَةً وَوُصُولٍ

وَأَعْضَاءً، وَفُصُولَ أَجْمَدَهَا حَتَّى

اسْتَمْسَكَتْ، وَأَصْلَدَهَا حَتَّى صَلَصَلَتْ

لِوَقْتٍ مَعْدُودٍ وَأَمَدٍ مَعْلُومٍ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا

مِنْ رُوحِهِ، فَمَثَلَتْ إِنْسَانًا ذَا أَدْهَانٍ

لِيَمِيزَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ  
الْمُسْتَكِبِينَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَهُوَ الْعَالِمُ  
بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ، وَمَحْجُوبَاتِ  
الْغَيُوبِ: «إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ»

فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا

لَهُ سَاجِدِينَ، فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ

كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِلْيِيسَ»،

اعْتَرَضَتْهُ الْحَمِيمَةُ فَأَفْخَرَ عَلَى آدَمَ

بِخَلْقِهِ، وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ». نهج

البلاغة: ص ٣٨٥. وفي إشارة أخرى:

«أَمَّا إِلْيِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَى آدَمَ لِأَصْلِهِ،

وَطَعَنَ عَلَيْهِ فِي خَلْقِتَهِ، فَقَالَ أَنَا نَارِيٌّ

وَأَنْتَ طِينِي» نهج البلاغة: ص ٣٩٨.

(١٥) قال في موضع: «وَإِنْ شِئْتَ ثَبِيتَ مُوسَى

كَلِيمُ اللَّهِ - صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَيْثُ

يَقُولُ، «رَبِّنِي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ

خَيْرٍ فَقَرِيرٍ»، وَاللَّهُ مَا سَأَلَهُ إِلَّا خَبِرَهُ

يَأْكُلُهُ، لَأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الْأَرْضِ، وَلَقَدْ

كَانَتْ خَضْرَةُ الْبَقْلِ تُرِي مِنْ شَفِيفٍ صِفَاقٍ

بَطْنِهِ، لِهُزَالِهِ وَتَشَذُّبِ لَحْمِهِ» نهج

البلاغة: ص ٢٩٧. وفي موضع ثان قال

(١٤) منها قوله عليه السلام: «وَاسْتَأْدَى اللَّهُ  
سُبْحَانَهُ الْمَلَائِكَةَ وَدَعَتْهُ لَدِيهِمْ، وَعَهَدَ  
وَصَيَّبَهُ إِلَيْهِمْ فِي الْإِذْعَانِ بِالسَّجْدَةِ لَهُ،  
وَالْخَنْوَعِ لِتَكْرِمَتِهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ

﴿اسْجُدُوا لِلَّادَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِلْيِيسَ﴾،

اعْتَرَضَهُ الْحَمِيمَةُ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ الشَّقْوَةُ،

وَتَعَزَّزَ بِخَلْقَةِ النَّارِ وَاسْتَوْهُنَّ خَلْقَ

الصَّلَصَالِ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ النَّظَرَةَ اسْتِحْقَاقًا

لِلْسُّخْطَةِ، وَاسْتِتِمامًا لِلْبَلْيَةِ وَإِنْجَازًا

لِلْعِدَةِ، فَقَالَ: «فَإِنَّكَ مِنَ

الْمُنْتَظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ»، ثُمَّ

أَسْكَنَ سُبْحَانَهُ آدَمَ دَارًا أَرْغَدَ فِيهَا،

عِيشَهُ وَآمَنَ فِيهَا مَحْلَتَهُ وَحَذَرَهُ إِلْيِيسَ

وَعَدَاؤَهُ، فَاغْتَرَهُ عَدُوهُ نَفَاسَةً عَلَيْهِ بَدار

الْمُقَامِ، وَمُرَافَقَةً الْأَبْرَارِ، فَبَاعَ الْيَقِينَ

بِشَكَّهُ وَالْعَزِيزَ بِوَهْنِهِ، وَاسْتَبَدَ بِالْجَذَلِ

وَجَلًا وَبِالْأَغْتِرَارِ نَدَمًا، ثُمَّ بَسَطَ اللَّهُ

سُبْحَانَهُ لَهُ فِي تَوْبَتِهِ، وَلَقَاهُ كَلِمَةُ رَحْمَتِهِ

وَوَعَدَهُ الْمَرْدُ إِلَى جَنَّتِهِ، وَأَهْبَطَهُ إِلَى دَارِ

الْبَلْيَةِ وَتَنَاسُلِ الذَّرِيَّةِ» نهج البلاغة: ص

١٨ - ١٩. وأيضا قوله عليه السلام:

«ثُمَّ اخْتَبَرَ بِذَلِكَ مَلَائِكَتَهُ الْمُقْرَرِينَ



## وظائف النبوة دراسة في نهج البلاغة.....

البلغة : ص ٢٩٧ - ٢٩٨ . «إِنَّ دَادُودَ عَلَيْهِ السَّلَامَ قَامَ فِي مِثْلِ هَذِهِ السَّاعَةِ مِنَ الظَّلَلِ، فَقَالَ إِنَّهَا لَسَاعَةٌ لَا يَدْعُونَ فِيهَا عَبْدًا إِلَّا اسْتَجِيبَ لَهُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَشَارًا أَوْ عَرِيفًا أَوْ شُرُطِيًّا، أَوْ صَاحِبَ عَرَطَبَةَ وَهِيَ الطَّنبُورُ أَوْ صَاحِبَ كَوْبَةَ وَهِيَ الطَّبَلُ، وَقَدْ قِيلَ أَيْضًا إِنَّ الْعَرَطَبَةَ الطَّبَلُ، وَالْكَوْبَةَ الطَّنبُورُ». نهج البلاغة : ص ٦٧٣ .

(١٧) وذلك في قوله عليه السلام : «فَلَوْ أَنَّ أَحَدًا يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ سُلْمًا أَوْ لِدْفَعِ الْمَوْتِ سَيِّلًا، لَكَانَ ذَلِكَ سُلَيْمانَ بْنَ دَادُودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي سُخْرَلَهُ مُلْكُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، مَعَ النُّبُوَّةِ وَعَظِيمِ الرُّلْفَةِ، فَلَمَّا اسْتَوَى طُعمَتَهُ وَاسْتَكْمَلَ مُدْتَهُ، رَمَتْهُ قِسِّيُّ الْفَنَاءِ بِنَيَالَ الْمَوْتِ، وَأَصْبَحَتِ الدِّيَارُ مِنْهُ خَالِيَّةً، وَالْمَسَاكِينُ مُعَطَّلَةً وَوَرَثَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ» نهج البلاغة : ص ٣٥٢ .

(١٨) يقول عليه السلام : «وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى ابْنِ مَرِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ، وَيَلْبِسُ الْخَشِنَ وَيَأْكُلُ الْجَشِبَ، وَكَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ وَسِرَاجُهُ

عليه السلام : «وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَلَى فِرْعَوْنَ وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ، وَبِأَيْدِيهِمَا الْعِصَيِّ فَشَرَطَاهُ إِنْ أَسْلَمَ، بَقَاءً مُلْكِهِ وَدَوَامَ عِزِّهِ، فَقَالَ إِلَّا تَعْجِبُونَ مِنْ هَذِينَ يَشِرْطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ وَبَقَاءَ الْمُلْكِ، وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلُّ، فَهَلَا أُقِيَّ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٍ مِنْ ذَهَبٍ، إِعْظَاماً لِلذَّهَبِ وَجَمِيعِهِ، وَاحْتِقَارًا لِلصُّوفِ وَلِبَسِهِ»، نهج البلاغة : ص ٣٩٣ . وفي قول ثالث : «الَّذِي كَلَمَ مُوسَى تَكْلِيمًا وَأَرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ عَظِيمًا، بِلَا جَوَارِحَ وَلَا أَدَوَاتٍ وَلَا نُطُقَ وَلَا لَهَوَاتٍ» نهج البلاغة : ص ٣٥١ . وجاء في كلام له : «لَمْ يُوجِّسْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامَ خِفَةً عَلَى نَفْسِهِ، بَلْ أَشْفَقَ مِنْ غَلَبةِ الْجَهَالِ وَدُولِ الْضَّلَالِ» نهج البلاغة : ص ٣٣ . (١٦) وذلك في قوله عليه السلام : «وَإِنْ شِئْتَ ثَلَثْتُ بِدَادُودَ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صَاحِبِ الْمَزَامِيرِ، وَقَارِئِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَافِنَ الْخُوْصِ بِيَدِهِ، وَيَقُولُ لِجُلْسَائِهِ أَيُّكُمْ يَكْفِيَنِي بِيَهَا، وَيَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا» نهج

بِالْأَلْوَفِ، وَعَسَكَرُوا الْعَساِكِرَ وَمَدَنُوا  
الْمَدَائِنَ» نهج البلاغة: ص ٣٥٢ .  
البلاغة: «رُوا بِمَا أَصَابَ الْأُمَّمَ  
الْمُسْتَكَبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، مِنْ بَاسِ اللَّهِ  
وَصَوْلَاتِهِ وَوَقَائِعِهِ وَمَثَلَّتِهِ، وَاتَّعَظُوا  
بِمَشَاويِّ خُدُودِهِمْ وَمَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ».

نهج البلاغة: ص ٣٩١ - ٣٩٢ . وقد  
جاءت متفقة في سنتهما تاربخيا ١٥٠ ،  
ذكره القرآن ينظر مثلاً: موسى نصار:  
الآلقرآن: ن التاريX في ضوء  
القرآن: ص ٢٣١ - ٢٥٥ .

(٢٠) الشريف الرضي: نهج البلاغة: ص ١٥٠ ،  
١٨٧ ، ٢٤٤ ، ٤٠٧ ، ٥٠٢ ، ٥٩٦ .

(٢١) نهج البلاغة: ص ٩٢ ، ٩٢ ، ١٠٢ ، ١٠٢ ،  
١٠٧ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٨٥ ، ١٩٨ ، ٢١١ ، ٢٢٨ ،  
٢٧٥ ، ٢٨٣ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠٤ ،  
٣٢٨ ، ٣٣٣ ، ٣٤٢ ، ٣٦١ ، ٣٧٦ ، ٤٠٢ ، ٤٠٥ ،  
٤٠٨ ، ٤١٧ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٣٩ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ،  
٤٤٧ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٧ ، ٤٨٦ ،  
٥٢٧ ، ٥٢٧ ، ٥٧٦ ، ٥٧٦ ، ٦١٠ .

(٢٢) م. ن: ص ١٩٣ ، ٣٢٩ .

(٢٣) م. ن: ص ٥٦ ، ١٩٤ ، ٣٢٩ ، ٦٢٦ .

بِاللَّيلِ الْقَمَرَ، وَظِلَالُهُ فِي الشَّتَاءِ مَشَارِقَ  
الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَفَاكِهَتُهُ وَرِيحَانَهُ مَا  
تُنْتِ الأَرْضُ لِلْبَاهِئِمْ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ  
زَوْجَةٌ نَفْتَنَهُ وَلَا وَلَدٌ يَحْزَنُهُ، وَلَا مَالٌ يَلْفَتُهُ  
وَلَا طَمَعٌ يَذْلِهُ، دَابِبَهُ رَجُلَهُ وَخَادِمُهُ يَدَاهُ»

نهج البلاغة: ص ٢٩٨ . وفي موضع  
ثاني: قال في مدح الزاهدين السائرين  
على نهج المسيح عليه السلام: «طُوبَى  
لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا، الرَّاغِبِينَ فِي  
الْآخِرَةِ، أُولَئِكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا الْأَرْضَ  
بِسَاطًا، وَتُرَابَهَا فَرَاسًا وَمَاءَهَا طَيْبًا،  
وَالْقُرْآنَ شِعَارًا وَالدُّعَاءَ دِثَارًا، ثُمَّ قَرَضُوا  
الْدُنْيَا قَرْضًا عَلَى مِنْهَاجِ الْمَسِيحِ». نهج  
البلاغة: ص ٦٧٢ - ٦٧٣ .

(١٩) جاء الحديث عن هؤلاء الأقوام ودعوة  
الإمام عليه السلام للاعتبار بحالهم في  
عدة موضع منها: - «إِنَّ لَكُمْ فِي  
الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً، أَيْنَ الْعَمَالَقَةُ  
وَأَبْنَاءُ الْعَمَالَقَةِ، أَيْنَ الْفَرَاعَنَةُ وَأَبْنَاءُ  
الْفَرَاعَنَةِ، أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ الرَّسُّ  
الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ، وَأَطْفَلُوا سُنَّنَ  
الْمُرْسَلِينَ وَأَحْيَوْا سُنَّنَ الْجَبَارِينَ، أَيْنَ  
الَّذِينَ سَارُوا بِالْجُيُوشِ وَهَزَّمُوا

- (٢٤) م.ن: ص ١٠٨ ، ١٩٣ ، ١٩٨ ، ٢٩٨ م.ن: ص ١٩٤ ، ٢٩٨ .
- (٣٨) م.ن: ص ٥٦ ، ١٨٥ ، ١٠٨ ، ١٩٨ ، ٢٢٥ .
- .٣٢٩
- .٣٦١
- (٣٩) م.ن: ص ١٠٨ ، ١٩٨ .
- (٤٠) م.ن: ص ١٠٧ ، ١٩٤ ، ٢٢٥ .
- .٣٢٩
- .١٩٧ ، ١٩٨
- (٤١) م.ن: ص ٢٠ .
- (٤٢) والتقييد بكونه: مرسلاً إشارة إلى أنه لا بد من كونه صاحب شريعة وكتاب وذلك لا يكون إلا في المرسلين، من دون الأنبياء فقط، أو الأنبياء في الحقيقة كانوا مروجين لشعائر المرسلين. الخراساني: مفتاح السعادة ١/١ ٣٧٢ - ٣٧١ .
- (٤٣) م.ن: ص ٢٦٢ .
- (٤٤) م.ن: ص ١١٧ .
- (٤٥) ما عدا البراهمة والاشاعرة، أما البراهمة: فأنكروا النبوات ضرورة وحسنا، وأما الاشاعرة فأنكروا ضرورتها، ولكن لم ينكروا حسن العثة. الطوسي: الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد: ص ٢٤٥ - ٢٤٩ .
- المقداد السيوري: النافع يوم الحشر: ص ٢٣٣. العاملبي: بداية المعرفة: ص ١٩٧ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ - ٢٠٣ .
- (٢٥) م.ن: ص ١٨٧ .
- (٢٦) إن صفة العبد هي أرقى وسام وأعلى مرتبة ينالها الإنسان في معراج تكامله المعنوي وقد منح القرآن هذا اللقب للرسول صلى الله عليه وآله وسلم في عدة مواضع من القرآن الكريم، ينظر مثلاً سورة الجن آية ١٨ - ١٩ وأيضاً الكهف آية ١، أما في نهج البلاغة: ص ١٠٦ ، ١٨٥ ، ٢٧٥ ، ٣٤٢ ، ٣٦١ ، ٤١٧ ، ٣٨٠ ، ٤٤٧ .
- (٢٧) نهج البلاغة: ص ٥٦ ، ١٠٨ ، ١٨٥ .
- .٣٢٩
- .٣٦١
- (٢٨) م.ن: ص ٣٦١ .
- (٢٩) م.ن: ص ٣٦١ .
- (٣٠) م.ن: ص ١٧٦ ، ٢٢٦ .
- (٣١) م.ن: ص ١٨٥ .
- (٣٢) م.ن: ص ٢٧٥ .
- (٣٣) م.ن: ص ٣٤٢ ، ٣٦١ .
- (٣٤) م.ن: ص ١٠٧ ، ٢٥١ ، ٣٢٩ .
- (٣٥) م.ن: ص ٣٤٢ .
- (٣٦) م.ن: ص ٢٩٨ .

- (٤٦) - العاملي : بداية المعرفة : ص ١٩٧ .  
وعن فلسفة النبوة ، السيد الرسالة :  
الصدر : المرسل ، الرسول ، الرسالة :  
ص ٥٩ - ٦١ .
- (٤٧) سورة الذاريات : الآية ٥٦ .
- (٤٨) لمزيد من التفاصيل ينظر : المداد  
السيوري : النافع يوم الحشر : ص ٣٣٣  
- ٣٣٥ . الشيرازي : المقدمة العقائدية :  
ص ١٤ - ١٥ . حسن مكي العاملي :  
بداية المعرفة : ص ١٩٧ ٢٠١ - .
- (٤٩) إشارة الى قوله عليه السلام :  
«لِيَسْتَأْدُوْهُمْ مِيَثَاقَ فِطْرَتِهِ». نهج  
البلاغة : ص ٢٠ .
- (٥٠) سورة الروم : الآية ٣٠ .
- (٥١) التوحيد : ناصر مكارم الشيرازي :  
الأمثال : ١٢ / ٣٨٠ .
- (٥٢) ينظر : الصدوق : التوحيد : ص ٣٣٠ .  
ابن سليمان الحلبي : مختصر بصائر  
الدرجات : ص ١٦٠ . الفيض  
الكاشاني : التفسير الأصفى : ٩٥٩/٢ ،  
٤٣٢/٤ . البحرياني : البرهان في تفسير
- .....م. د. انتصار عدنان عبد الواحد
- القرآن : ٤ / ٣٤٤ . المجلسي : البحار :  
٦٤ / ٤٤ . نعمت الله الجزائري : نور  
البراهين : ٢١٤/٢ .
- (٥٣) الكليني : الكافي : ١٢/٢ . الفيض  
الكاشاني : السوافي : ٤/٥٨ . الحر  
العاملي : الفصول المهمة : ١/٤٢٣ .
- المجلسي : مرآة العقول : ٧/٥٦ .  
الحوذizi : نور الثقلين : ٢/٩٥ . -  
سورة : كنز الدقائق : ص ٢٣٣ .
- (٥٤) سورة الأعراف الآية ١٧٢ - ١٧٣ .
- (٥٥) مغنية : في ظلال نهج البلاغة : ١ / ٥٨  
. ٥٩ -
- (٥٦) ينظر : المشهدى ، كنز الدقائق ٢/٢  
٣١٧ . مغنية : الكاشف : ١/٣١٧ . لمزيد  
من التفاصيل عن المراد بالآية ينظر  
المحمداوى : الإسلام قبل العثمة  
المحمدية : ص ٢١ - ٨٠ .
- (٥٧) مغنية : في ظلال نهج البلاغة : ١ / ٥٩ .
- (٥٨) نهج البلاغة : ص ١٩ - ٢٠ .
- (٥٩) سورة الأعراف الآية ١٧٢ .
- (٦٠) الشيخ مكارم الشيرازي : التفسير  
الأمثال : ٥ / ١٩٦ .
- (٦١) سورة الروم الآية ٣٠ .

- (٦٢) ناصر مكارم الشيرازي : الأمثل : ٥ / ١٩٨ - ١٩٧ .
- (٦٣) سورة يس الآية ٦٠ .
- (٦٤) ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : ١ / ٣٤٩ - ٣٥٠ .
- (٦٥) شمس الدين : حركة التاريخ عند الإمام علي عليه السلام : ص ٧٢ .
- (٦٦) نهج البلاغة : ص ١٩ - ٢٠ .
- (٦٧) سورة البقرة الآية ٢١٣ .
- (٦٨) الطباطبائي : الميزان ٢١٣٢ . تفسير القرآن : ١٠٤ / ٢ .
- (٦٩) سورة البقرة الآية ٢١٣ .
- (٧٠) سورة البقرة الآية ٢١٣ .
- (٧١) ينظر : الطباطبائي : الميزان : ٢ / ٢ ١١٦ - ١١٧ .
- (٧٢) إشارة إلى قوله عليه السلام : «وَيُذَكِّرُهُمْ مَسِيَّ نَعْمَنَهُ». نهج البلاغة : ص ٢٠ .
- (٧٣) ينظر : حبيب الله الخوئي : منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : ٢ / ١٢١ .
- (٧٤) ينظر : ناصر مكارم الشيرازي : نفحات الولاية : ١ / ١٤١ .
- (٧٥) ابن ميثم : شرح نهج البلاغة : ١ / ٣٥٠ .
- (٧٦) إشارة إلى قوله عليه السلام : «وَيَحْتَجُوا عَلَيْهِمْ بِالْتَّلِيفِ». نهج البلاغة : ص ٢٠ .
- (٧٧) ناصر مكارم الشيرازي : نفحات الولاية : ١ / ١٤٢ .
- (٧٨) إشارة إلى قوله عليه السلام : «وَيُشِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ». نهج البلاغة : ص ٢٠ .
- (٧٩) شمس الدين : حركة التاريخ : ص ٨٠ .
- (٨٠) كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ حَافِظُونَ﴾ سورة الحجر الآية ٩ .
- (٨١) كما في قوله تعالى : ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ . سورة الأنعام / آية ٩٠ .
- (٨٢) كما في قوله تعالى : ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذَكِّرٌ﴾ سورة المدثر الآية ٥٤ .
- (٨٣) محمد تقى مصباح : النبوة في القرآن : ص ٢٩ .

- (٨٤) ينظر: ابن ميثم: شرح نهج البلاغة: ١ / ٣٥٠ - ٣٥١. الاملسي: تفسير الشيرازي: أعظم: ٣٠٦/٢.
- (٨٥) ناصر مكارم الشيرازي: نفحات الولاية: ١ / ١٤٢.
- (٨٦) إشارة إلى قوله عليه السلام: «وَيُرُوْهُمْ آيَاتِ الْمُقْدِرَةِ». نهج البلاغة: ص ٢٠
- (٨٧) شمس الدين: حركة التاريخ عند الإمام علي عليه السلام: ص ٨٠.
- (٨٨) نهج البلاغة: ص ٢٠
- (٨٩) أبو طالب المكي: قوت القلوب: ٤٢/٢؛ السلام: لصدق: عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٧٥/٢. ابن سلامة: مسند الشهاب: ٣٩١/١. ابن عساكر: تاريخ دمشق ٤٢ / ٣٤. ابن قدامة: المغني: ٣٠٢ / ٢. ابن أبي جمهور الأحسائي ٣٢. إلى الثنائي: ١ / ٢٤٧.
- (٩٠) سورة الأنبياء الآية ٣٢.
- (٩١) سورة البقرة الآية ١٦٤.
- (٩٢) سورة النازيات الآيات ٤٧ - ٤٩.
- (٩٣) سورة إبراهيم الآية ٣٤.
- (٩٤) ابن أبي الحميد: شرح نهج البلاغة: ١ / ٣٥٢ - ٣٥١.
- (٩٥) م. ن: ص ٢١٠ .
- (٩٦) م. ن: ص ٣٢٩ .
- (٩٧) م. ن: ص ١٩٣ - ١٩٤ .
- (٩٨) م. ن: ص ٣٠٠ .
- (٩٩) م. ن: ص ١٣٧ .
- (١٠٠) م. ن: ص ١١٧ .
- (١٠١) م. ن: ص ٥٦ .
- (١٠٢) يقول الله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ سورة البقرة/٢١٣ ، قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافِةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ سورة سباء ٢٨ ، قوله: ﴿إِنْ يُوحَى إِلَيْكَ إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ سورة ص الآية ٧٠ ، قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَأْ فِيهَا نَذِيرٌ﴾ سورة فاطر الآية ٢٤٧ .
- (١٠٣) ينظر: محمد تقى مصباح: النبوة في القرآن: ص ١٦٦ .
- (١٠٤) حبيب الله الخوئي: منهاج البراعة: ٣ . ٣١٥ /

- ابن أبي جمهور الاحسائي ت  
نحو ٨٨٠هـ / عوالى اللثالي ، تحقيق  
المرعشى ، العراقي ، ط١ ، قم ، ١٩٨٣ .
- حبيب الله الخوئي : الميرزا  
الهاشمى ت ١٣٢٤ هـ / منهاج البراعة فى  
شرح نهج البلاغة ، تحقيق علي عاشور ،  
ط٢ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،  
٢٠٠٨ .
- الحر العاملى : محمد بن الحسن  
١٠٣٣ - ١١٠٤ هـ / الفصول المهمة فى  
أصول الأئمة ، تحقيق محمد القائيني ،  
ط١ ، مؤسسة معارف الإمام الرضا عليه  
السلام ، قم ، ١٤١٨هـ .
- العالمة الحلى : أبي منصور  
الحسن بن يوسف بن المظفر ( ٦٤٨ -  
٧٢٦هـ ) / الباب الحادى عشر ، انتشارات  
تمدن إسلامي ، قم ، ١٣٨٢ شـ .
- الحويني : عبد علي بن جمعة  
العروسي ت ١١١٢هـ / نور الثقلين ، تحقيق  
هاشم المحلاطي ، ط١ ، قم ، ١٤١٢هـ .

(١٠٥) ناصر مكارم الشيرازي : نفحات  
الولایة : ٧٢ / ٢ .

## المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الآملي : السيد حيدر بن علي  
٧٨٢-٧٢٠هـ / المحيط الأعظم والبحر  
الخضم في تفسير تأويل كتاب الله العزيز  
المحكم ، حقه وقدم له معلق عليه :  
السيد محسن الموسوي التبريزى ، ط٤ ،  
قم ، ١٤٢٨هـ .
- البحري : السيد هاشم التوبلي  
الموسوي ت ١١٠٧هـ / البرهان في تفسير  
القرآن ، تحقيق قسم الدراسات  
الإسلامية ، مؤسسة البعثة ، قم ، ب.ت.
- الجزائري : السيد نعمة الله  
الموسوي ت ١١١٢هـ / نور البراهين في  
أخبار السادة الطاهرين ، تحقيق السيد  
الرجائى ، ط١ ، مؤسسة النشر  
الإسلامي ، قم ، ١٤١٧هـ .

- الشريف الرضي : أبوالحسن محمد بن الحسين ( ٣٥٩ - ٤٠٦ هـ ) / نهج البلاغة ، ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية : صبحي الصالح ، ط٦ ، دار الأسوة ، طهران ، ١٤٢٩ هـ .
- شمس الدين : محمد المهدى / حركة التاريخ عند الإمام علي عليه السلام ، ط٤ ، المؤسسة الدولية ، بيروت ، ١٩٩٧ م .
- الشيرازي : السيد صادق الحسيني / المقدمة العقائدية ، ط١ ، دار صادق ، كربلاء المقدسة ، ٢٠٠٤ م .
- الصدر : محمد باقر ت ١٩٨٠ م / الرسول - المرسل - الرسالة ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، ٢٠٠٣ .
- الصدوق : أبو جعفر محمد بن علي بن الحسن بن بابويه القمي ت ٣٨١ هـ / التوحيد ، تحقيق هاشم الحسيني ، ط١ ، جماعة المدرسین ، ط١ ، ١٣٨٧ هـ .
- الخراساني : محمد تقی النقی القایینی / مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة ، مکتبة المصطفوی ، طهران ، ب.ت.
- الزمخشري : محمود بن عمرت ٥٣٨ هـ / الفائق في غریب الحديث ، ط١ ، بيروت ، ١٤١٧ هـ .
- ابن سلامة : أبو عبد الله محمد القضاعي ت ٤٥٤ هـ / مسند الشهاب ، حققه وخرج أحادیثه : حمدي عبد المجید السلفی ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٥ .
- ابن سليمان الحلی : الشیخ حسن ( ق ٩ هـ ) / مختصر بصائر الدرجات ، ط١ ، النجف ، ١٩٥٠ .
- ابن سیدة : أبو الحسن علي بن إسماعیل الأندلسی ت ٤٥٨ هـ / المخصص ، تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ب.ت.

يتعلق بالاعتقاد، ط٢ ، دار الأضواء،  
بيروت ، ١٩٨٦ .

- العاملي : حسن مكي / بداية  
المعرفة ، ط٢ ، ذوي القربى ، قم ،  
١٤٢٧ هـ.

- ابن عساكر : أبو القاسم علي بن  
الحسن ابن هبة الله الشافعى ( ٤٩٩ -  
٥٥٧١ هـ) / تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق  
علي شيري ، ب.ط ، دار الفكر ،  
بيروت ، ١٩٩٥ م.

- العسكري : مرتضى /  
المصطلحات الإسلامية ، المجمع العالمي  
لأهل البيت عليهم السلام ، ط١ ،  
بيروت ، ٢٠١٠ .

- علي : طارق محمد / عقائدهنا ،  
ب. ط ، ب. مكا ، ١٤١٨ هـ.

- الفيض الكاشاني : محمد محسن  
الأصفى / الأصفى في تفسير  
الأصفى ، تحقيق محمد درايتى و محمد

- الصدوق : أبو جعفر محمد بن  
علي بن الحسن بن بابويه القمي / عيون  
أخبار الرضا عليه السلام ، ط١ ، مط  
شریعت ، المكتبة الحیدریة ، قم ،  
١٤٢٥ هـ

- أبو طالب المكي : محمد بن علي  
الحارثي ت ٣٨٦ هـ / قوت القلوب في  
معاملة المحبوب ، تحقيق سعيد نسيب  
مكارم ، ط١ ، دار صادر ، بيروت ،  
١٩٩٥ م.

- الطباطبائي : السيد محمد حسين  
ت ١٤٠٢ هـ / الميزان في تفسير القرآن ،  
مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، ب.ت.

- الطبرسي : أبو علي الفضل بن  
الحسن ت ٥٤٨ هـ / مجتمع البيان في تفسير  
القرآن ، حققه وعلق عليه : لجنة من  
العلماء ، ط١ ، مؤسسة الأعلمى ،  
بيروت ، ١٩٩٥ .

- الطوسي : أبو جعفر محمد بن  
الحسن ( ٣٨٥ - ٤٦٠ هـ ) / الاقتصاد فيما

ط ١ ، طبع دار ومكتبة البصائر بيروت  
٢٠١٣ م.

- المشهدی : المیرزا محمد القمی ت  
١١٢٥ هـ / تفسیر کنز الدقائق ، تحقیق آقا  
مجتبی العرّاقی ، ط ١ ، قم ، ١٤٠٧ هـ .

- مصباح : محمد تقی / النبوة في  
القرآن ، نقله إلى العربية : محمد الخاقاني ،  
ط ١ ، مطبعة أفق ، قم ، ١٤٢٦ هـ .

- أبو المعالي : محمد بن إسحاق  
صدر الدين القونوی (٦٠٧ - ٦٧٣ هـ) /  
الفکوک في أسرار مستندات حکم  
الفصوص ، ط ١ ، مطبعة فارابی ،  
انتشارات مولی ، ١٤١٣ هـ .

- مغنية : محمد جواد / التفسير  
الكاف ، ط ٣ ، دار العلم للملايين ،  
بيروت ، ١٩٨١ م.

- مغنية : محمد جواد / في ظلال  
نهج البلاغة ، محاولة لفهم جديد ، ط ٢ ،  
مطبعة ستار ، قم ، ١٤٢٨ هـ .

نعمتی ، ط ١ ، مركز الأبحاث والدراسات  
الإسلامية ، قم ، ١٤١٨ هـ .

- الواfi ، بلا محقق ، مكتبة أمیر  
المؤمنین عليه السلام ، ط ١ ، أصفهان ،  
١٤٠٦ هـ .

- ابن قدامه : موافق الدين أبي محمد  
عبد الله بن احمد ت ٦٢٠ هـ / المغنی ،  
ب.حق ، دار الكتاب العربي ، ب.ت.

- الكلینی : أبي جعفر محمد بن  
يعقوب ت ٣٢٩ هـ / الكافی ، تح على  
اکبر غفاری ، ط ٣ ، دار الكتب  
الإسلامية ، ١٣٨٨ هـ .

- المجلسی : محمد باقر  
ت ١١١١ هـ / بحار الأنوار ، ط ٢ ،  
مؤسسة الوفاء ، بيروت ، ١٩٨٣ .

- مرآة العقول في شرح أخبار آل  
الرسول ، ط ٢ ، دار الكتب الإسلامية ،  
طهران ، ١٤٠٤ هـ .

- المحمداوی : علي صالح رسن /  
الإسلام قبل البعثة الحمدية رؤية قرآنیة ،

- نصار: موسى / الطغاة وسفن التاريخ في ضوء القرآن، مشاهد الصراع، مجلة المصباح، العدد الثامن، ٢٠١٣م، ص ٢٣١ - ٢٥٥.
- المقداد السيوري ت ٨٢٦ هـ / النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر، تحقيق مشتاق الزيدى، ط ١، النجف الأشرف، ٢٠١٠.
- ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م / لسان العرب، ط ١، دار أحياء التراث العربي، أدب الحوزة، ب. ت.
- ابن ميثم: كمال الدين بن علي البحرياني ت ٦٧٩ هـ / شرح نهج البلاغة، ط ١، مطبعة وفا، قم، ١٤٢٧ هـ.
- ناصر مكارم الشيرازي / الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ط ٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٥ م.
- ناصر مكارم الشيرازي / نفحات الولاية (شرح نهج البلاغة شرح عصري جامع لنهج البلاغة)، بمساعدة مجموعة من الفضلاء، إعداد: عبد الرحيم الحمراني، ط ٢، دار جواد الأئمة عليهم السلام، بيروت، ٢٠٠٩ م.

# تربيـة الطـفـل

## في فـكـر الإـمامـ عـلـيـ عـلـيـهـ السـلامـ

م.م. عـقـيلـ رـشـيدـ عـبـدـ الشـهـيدـ الـأـسـدـيـ  
جـامـعـةـ الـكـوـفـةـ /ـ كـلـيـةـ التـرـبـيـةـ الـأـسـاسـيـةـ

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على خاتم الأنبياء  
والمرسلين أبي القاسم محمد وعلى آل بيته أنوار الظلم وبنابع  
الحكم. وبعد: تضطلع الأسرة بدور أساسي في التربية، لأن  
الإنسان يقضى شطراً طويلاً من حياته بين أحضانها وبهذا تتشكل  
روحه وشخصيته من خلالها، وإنَّ السنوات الخمس الأولى التي  
يقضيها الطفل في الأسرة هي عماد تكوين شخصيته، وما يكون  
عليه الفرد في المستقبل هو انعكاس لتك المرحلة. فإذا كانت الأسرة  
صالحة فإنها ستنتج أولاً دارساً صالحاً.

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد وعلى آل بيته أنوار الظلّ وينابيع الحكم.

وبعد: تضطلع الأسرة بدور أساسي في التربية، لأن الإنسان يقضي شطراً طويلاً من حياته بين أحضانها وبهذا تتشكل روحه وشخصيته من خلالها، وإن السنوات الخمس الأولى التي يقضيها الطفل في الأسرة هي عماد تكوين شخصيته، وما يكون عليه الفرد في المستقبل هو انعكاس ل تلك المرحلة. فإذا كانت الأسرة صالحة فإنها ستنتج أولاداً صالحين.

فثقافة الأسرة وتدينها وتماسكها الاجتماعي من أهم عناصر ربط الفرد بالمجتمع ومنعه من الانحراف، وتنشئته نسأة سليمة قوامها الخلق الرفيع والحب والتسامح، وتعمل على غرس بذور

## السلطة الداخلية التي يطلق عليها

(الضمير) في نفس الطفل الذي يأخذ في النمو ويقوى بالتدريج مع نمو الطفل ونضجه عبر مراحل نموه المتعاقبة، أما إذا فسدت الأسرة فإنّ الأبناء سيكونون كذلك.

إن الأسرة ذات قوة ضاغطة ونظام للضبط، وتعتمد فاعليتها وتأثيرها على أفرادها عن طريق ما تشبعه من حاجات ودوافع نفسية ومادية، فإذا توافر الجو الأسري الملائم الذي يشبع حاجات الطفل البيولوجية والنفسية أدى ذلك إلى تحقيق نموه السليم وتوافقه الشخصي والاجتماعي، وعلى العكس إذا ساد جوأسري غير سليم مليء بمواقف الكبت والحرمان والحقن والبغضاء فإن ذلك ينعكس على الطفل في جميع أنشطته في كل مراحل حياته، وفي كل المجتمعات بصرف النظر عن مستوى تعقيدها وتطورها.

ال الحديث وما جاءت به الدراسات النفسية والاجتماعية في عصرنا الحالي.

اشتمل البحث على مباحثين تسبقهما مقدمة وتليهما خاتمة. تناولت في البحث الأول : تعريف الأسرة وبيان أهميتها، وأهمية مرحلة الطفولة في الأسرة، ووظيفة الأسرة تجاه أبنائها، أما المبحث الثاني فقد تناولت فيه تربية الطفل في فكر الإمام علي عليه السلام ، من خلال عرض مجموعة من الأحاديث الشريفة في هذا المجال وتحليلها بما ينسجم مع عصرنا الحالي مستفيضاً من الدراسات النفسية والاجتماعية ذات العلاقة ، ثم انتهى البحث بخاتمة مع مجموعة من الاستنتاجات والتوصيات ، وثبت بالمصادر.

### **المبحث الأول**

#### **تعريف بالأسرة وأهميتها**

#### **وظيفتها**

للأسرة دور مهم وريادي في بناء المجتمع الصالح من خلال إعداد الأبناء إعداداً

إنَّ النَّظِرَةَ الْمُسْتَقْبِلِيَّةَ لِلطَّفُولَةِ تَسْتَدِعِي العِنَاءَ بِدِرَاسَةِ طَرَائِقِ التَّنْشِيَّةِ الْأُسْرِيَّةِ وَأَسَالِيْبِهَا لِلْأَطْفَالِ الَّذِينَ هُمْ عِمَادُ الْمُسْتَقْبِلِ ، وَأَسَاسُ تَنْمِيَةِ الْجَمَعَةِ وَتَطْوِيرِهِ وَلَكِي نَهِيَّ لِلْأَطْفَالِ الْيَوْمِ مَكَانًا فِي الْمُسْتَقْبِلِ وَنَعْدِهُمْ بِشَكْلٍ صَحِيحٍ وَبِمَا يَنْسَجمُ مَعَ مُتَطلَّبَاتِ الْعَصْرِ الْحَدِيثِ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَرَاعِيَ فِي عَمَلِيَّةِ تَنْشِيَّتِهِمْ وَتَرْبِيَّتِهِمْ أَسَالِيْبًا وَأَنْمَاطًا اِجْتِمَاعِيَّةً مَدْرُوسَةً وَعِلْمِيَّةً تَلْبِي اِحْتِيَاجَاتِ الْطَّفَلِ الْمُسْتَقْبِلِيَّةَ كَافَةً.

وَتَرَاثُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ثَرَ في أَسَالِيْبِ التَّرْبِيَّةِ السَّلِيمَةِ ، وَأَخْصَ بالذكر الإمام علي عليه السلام فكانت أفعاله وأقواله معيناً لا ينضب في هذا المجال ؛ لذا جاء هذا البحث إسهاماً متواضعاً لتسليط الضوء على دور الأسرة في التربية الصالحة ، وضبط سلوك الفرد ، وتحقيق توافقه النفسي والعقلي ، بما أشار إليه الإمام علي عليه السلام سابقاً في علم

يتعرض الطفل لنماذج سلوكية مباشرة في أسرته، أو للمحيطين به، أو لنماذج سلوكية رمزية من وسائل الإعلام والقصص والحكايات التي تقدم في الأسرة من كبارها وصغرتها معاً. ففي هذا النوع من التعليم يلاحظ الطفل الشخص النموذج، ويصوغ ما يشاهده ويخترنه وينتظر الوقت المناسب لكي يتبع السلوك نفسه.

فالأسرة هي الوعاء الثقافي الذي تتبلور داخله شخصية الطفل تشكيلًا فردياً واجتماعياً ودينياً وهي بهذا تمارس عمليات تربوية وتشريعية هادفة من أجل تحقيق نمو الفرد نحو سلوكاً سليماً<sup>(٣)</sup>.

وقد تعرضت الأسرة للتغير في وظائفها نتيجة للتحضر والتصنيع وما رافقها من آثار مارست دورها بصورة مباشرة وغير مباشرة على عملية التنشئة الاجتماعية التي تقوم بها الأسرة، وأبلغ دليل على ذلك كان الاتجاه العام قدماً

سليناً ينسجم مع الرؤى والتطلعات التربوية الهدافة، وسنن في السطور القادمة هذا الدور بشيء من الإيجاز.

### أولاً: الأسرة

الأسرة هي أحدى الأنساق الاجتماعية الأساسية في البناء الاجتماعي تقوم على نظام الزواج، وتنقل معايير المجتمع إلى أعضائها الصغار وتلقن أفرادها الاتجاهات والقيم المرغوب فيها، وهي الأساس الذي تقوم عليه الأنساق الأخرى، إذ تعتمد معظم الأنساق في استمرارها وأدائها على ما يتعلمها الفرد داخل نطاق الأسرة من نماذج السلوك المرتبط بالأدوار الاجتماعية والأنمط السلوكية الأخرى التي يحتملها خارج الأسرة<sup>(٤)</sup>.

والأسرة هي أساس التنشئة الاجتماعية ومصدر الاستقامة أو الانحراف في فطرة الطفل وعقيدته التي هي مبعث ثقافته، وفي مراحل النمو

إلى الرشد. وكل حاجاته تُعد ضرورية لا كتمال نموه وفتح قدراته وملكاته وتحوله من كائن بابيولوجي إلى إنسان ناضج قادر على التكيف مع وسطه.

ولعلّ أهم حاجاته في مرحلة الطفولة الأولى هي الغذاء والشراب والرعاية والطمأنينة والحب والعاطفة، وبإشباع هذه الحاجات يتحقق للكائن الإنساني النمو المتوازن؛ إذ يتمكّن من الحفاظ على بقائه وتكييفه مع ظروف الحياة بينما عدم إشباعها أو إشباع بعضها ينبع عنه توترات عضوية أو نفسية أو اجتماعية أو ذهنية أو كلها جمِيعاً مما يعيق نموه وتحقيق تكيفه<sup>(٤)</sup>.

ويكفي القول أيضاً إنَّ الأسرة بوظيفتها الاقتصادية تتمكن من إشباع حاجات الفرد من الغذاء والكساء والشراب لكنها لا تزوده بذلك فحسب، بل تعلّمه كيف يحقق إشباعاته على وفق آداب وقواعد سلوكيَّة معينة ومقبولة<sup>(٥)</sup>.

يؤكد معاملة الأطفال معاملة البالغين أي بالحزم، بل بالقسوة أحياناً، على حين يؤكد علماء التربية والنفس والمجتمع أهمية مصادقة الأطفال ومنحهم الحب والعطف والحنان، كذلك لم يُنصح بالتفرقة على أساس الجنس أو السن، إلا أنَّ هذا لا يعني أن المجتمع بأسره يتلزم بهذه الأيديولوجيا الجديدة في التربية والتنشئة لأن الاختلاف بين فئات المجتمع اقتصادياً وثقافياً واجتماعياً يعكس على مدى الإبقاء على الأساليب القدية أو الأخذ بالمناهج الجديدة<sup>(٦)</sup>.

### **ثانياً: وظيفة الأسرة تجاه أبنائها**

يولد الطفل ضعيفاً عاجزاً عن تأمين المتطلبات الضرورية لحياته، ومنذ اللحظات الأولى تظهر حاجته الأساسية إلى الغذاء والأمان العاطفي اللذين من دونهما لا يمكن للطفل أن ينمو ويبقى في الحياة؛ أما حاجاته الأخرى فتستمر في الظهور خلال مراحل نموه من الطفولة

هذه الوظيفة سينعكس على وحدة الأسرة وتضامنها، فالأزمة الاقتصادية تؤثر في متانة العلاقات والروابط الاجتماعية داخل الأسرة، وتبين أن قدرة الأسرة على التوافق من دون حدوث تأثيرات قوية في العلاقات الاجتماعية يعتمد على درجة ارتباط أفراد الأسرة بمستوى معين للمعيشة، فإذا تأثرت المستويات المادية بصورة كبيرة تفكّكت العلاقات الاجتماعية<sup>(٨)</sup>.

وضعف حجم الإشباع النفسي والعاطفي الذي يحتاجه كل فرد في الأسرة ليحقق استقرار سلوكه أو علاقاته مع الآخرين الحبيطين به<sup>(٩)</sup>.

فضلاً عن أن الأزمة الاقتصادية تضعف الشعور بالأمن والطمأنينة وتسبب القلق والخوف والإحباط وذلك لفشل المعيل وعجزه عن إشباع الحاجات الأساسية له وللآخرين الذين يعولهم، وبتواتر الظروف ذاتها تزداد مشاعر

وإنّها بوظيفتها النفسية العاطفية تشبع حاجاته إلى الحب والحنان والاهتمام وذلك يضمن للفرد توازنه الانفعالي والعاطفي<sup>(١٠)</sup>.

وببناءً على ما تقدم يمكن عرض وظيفة الأسرة في محورين أساسين هما: الوظيفة الاقتصادية في الأسرة وأثرها في إشباع الحاجات الأساسية لأعضائها. والوظيفة النفسية العاطفية في الأسرة وأثرها في إشباع الحاجات الاجتماعية لأعضائها.

### ١. وظيفة الأسرة الاقتصادية وأثرها في إشباع الحاجات الأساسية لأعضائها

الأسرة تشبع الحاجات الأساسية من طعام وشراب وملبس ومسكن، وكل هذه الحاجات لا يمكن للشخص الاستغناء عنها أو تعويضها بوصفها تحقق للشخص استقراره النفسي والاجتماعي<sup>(٧)</sup>؛ ولا شك أي خلل في

الأبوين من جهة ، وبينهم وبين الأبناء من جهة أخرى . ويلاحظ أن القرآن الكريم قدّم المودة على الرحمة من قوله تعالى :

**﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾** <sup>(١٢)</sup> ،

وذلك لأهمية المشاعر العاطفية في تعميق الشعور بالأمن والطمأنينة ، فالأسرة المتماسكة هي المنبع الرئيس للإشباعات العاطفية لجميع أفراد الأسرة <sup>(١٣)</sup> .

وترتبط الوظيفة النفسية العاطفية بإشباع الحاجات الاجتماعية مثل الحاجة إلى الحب والانتماء وال الحاجة إلى الاحترام والتقدير الاجتماعي وال الحاجة إلى الأمان . ولكي يشع الإنسان حاجته إلى الحب يتطلب عليه أن يعيش في ضمن علاقات اجتماعية طيبة مع غيره .

فمشاعر الحب المتبادل تقوى لدى الفرد الشعور بالأمن والطمأنينة وتعطيه نوعاً من الاستقرار الانفعالي فيشعر إن هناك من يخاف ويعطف عليه فتقوى فيه مشاعر الأمان والأمان ، بينما الفرد

الضيق للمعييل وتضعف علاقاته بالآخرين وتضعف مكانته الاجتماعية أيضاً وقد يحس أنه عبء على الآخرين وغير مرغوب فيه <sup>(١٤)</sup> .

ما يفقده احترامه لنفسه واحترام الآخرين له ويفقده أيضاً هيبيته وسطوته الاجتماعية على زوجته وأبنائه فتكثر الصراعات بين أعضاء الأسرة أو يكثر توجيه اللوم والتأنيب إلى الأب بوصفه المسبب عن ذلك .

وقد يتخذ الأب مواقف معينة ، منها عدم الاهتمام واللامبالاة والهروب من المسؤوليات الملقاة على عاتقه ، ومن ثم الانسحاب من الحياة العائلية أو يتوجه نحو الاستسلام والقبول بالواقع <sup>(١٥)</sup> .

## ٢. وظيفة الأسرة النفسية

### العاطفية وأثرها في إشباع الحاجات الاجتماعية لأعضائها

تضمن الوظيفة النفسية العاطفية حالة من التفاعل العميق والتعاطف بين

والحق أن رعاية الأم وعطفها وحبها لطفلها له أهمية كبيرة في نجاح عملية التنشئة الاجتماعية، وتبين أن أخطر نقص في تنشئة الطفل هو فقدان عطف الأم ورعايتها، وتبين أيضاً أن شخصية الطفل الذي يحظى برعاية الأم وعطفها هي أكثر اتزاناً نفسياً وعاطفياً من شخصية الطفل الذي فقد أمّه وحرم من حبها في عمر مبكر<sup>(١٧)</sup>.

وي يكن القول إنَّ أهم مصادرِ إشباعاته النفسية يستمد منها الطفل إشباعاته النفسية والعاطفية هما الأم والأب.

في ضوء ما تقدم يمكن القول إنَّ الإشباع النفسي والعاطفي له أهمية مميزة في بناء شخصية سوية ومتزنة، وذلك لما تنتهي عليه تلك الإشباعات من دفع الفرد إلى الالتزام بالضوابط الاجتماعية وتنمية روابطه الاجتماعية مما يبعده عن الانحراف.

الذي لا يشبع هذه الحاجة يكون في حالة خواء عاطفي تبعده عن التفاعل الإيجابي مع الآخرين.

أما الحاجة إلى الانتماء إلى جماعة معينة فهي شعور الفرد بوصفه عضواً في هذه الجماعة تقدره وتشعره بقيمتها ومكانته فيحظى بالتقدير الاجتماعي الذي أساسه الشعور بالانتماء، ومن دون التقدير الاجتماعي الذي يناله الفرد فإنه قد يبحث عن مخرج للتوتر الانفعالي الذي يعنيه وقد يجد ذلك بأساليب السلوك المعرف<sup>(١٤)</sup>.

لذا يمكن القول إنَّ الحرمان من إشباع الحاجات يؤدي بالفرد إلى الشعور بالنقص أو إلى العقد النفسية<sup>(١٥)</sup>. أو قد يدفع به إلى التمرد والعصيان والانفلات من الضوابط الاجتماعية أو عدم أدائه للواجبات والالتزامات الاجتماعية<sup>(١٦)</sup>.

مشاهداتي الإكلينيكية أن الأبناء الأسواء يقف ورائهم آباء وأمهات أسواء يجيدون فنون التربية السليمة، وأن الأبناء غير الأسواء يقف وراءهم آباء وأمهات غير أسواء لا يجيدون فنون التربية، ولاحظت أن صلاح الآباء ينفع في صلاح الأبناء»<sup>(٢٠)</sup>.

لذلك أصبحت دراسة الطفولة موضع عناية الآباء والمربين وعلماء النفس ورجال الطب وغيرهم وأصبحت العناية بنمو الطفل نمواً صحيحاً سالماً والعمل على رعاية هذا النمو وحفظه من كل ما يعوق سيره الطبيعي أو يقف حجر عثرة في طريق وصوله إلى أقصى طاقاته وعطاءاته مؤسراً حضارياً للأمة التي تسعى إلى خلق المواطن الصالح القادر على تحمل أعباء الحياة وبناء مجتمع قوي يمتلك كل عناصر البناء والقدرة على الإسهام في بناء الحضارة الإنسانية وأخذ مكانته بين المجتمعات المتقدمة<sup>(٢١)</sup>.

### ثالثاً: أهمية مرحلة الطفولة في الأسرة

الطفل هو تركيب أو بناء عضوي بيولوجي واجتماعي يتّصف بكونه شديد الحساسية سريع التأثير بمن حوله كثير التقليد والاقتباس.

وتدلّ كثير من الأبحاث الاجتماعية والنفسية على أن الأشخاص الذين يعانون من اضطرابات هم الذين تعرضوا في طفولتهم إلى كثير من الصعوبات والمشكلات والصدمات التي تركت آثاراً عميقاً في شخصياتهم<sup>(١٨)</sup>.

لذلك تعد مرحلة الطفولة من أهم مراحل حياة الإنسان ومن أكثرها أهمية؛ لكونها مرحلة تكوينية تتشكل فيها جميع خصائص شخصية الفرد وأبعاد سلوكه ودوافعه التي تلازمـه في حياته المستقبلية<sup>(١٩)</sup>.

وقد أكد ذلك الأخصائي النفسي صالح عبد الكريم بقوله: «من خلال

التي ينبغي أن تقود إلى هذا المسعى ، والسبل التي يمكن أن تتحقق هذا التغيير المشود لإعداد أبنائنا لمواجهة قرن قادم تؤذن بواحدته بتغيرات عميقة واسعة ومترابطة تشمل الجوانب العلمية والتكنولوجية والثقافية من حياة مجتمعنا<sup>(٢٤)</sup> .

فحياة الطفولة وكيفية تربيتها والتعامل معها يعد غاية كل مجتمع ، فالتأثيرات السريعة التي تشهدها المجتمعات المعاصرة يجعل العناية بثقافة الطفل هدفاً استراتيجياً وتنموياً ، والعناء بالطفولة بصورة عامة وبثقافة الطفولة بصورة خاصة لا يعني فقط إحياء الماضي واستشراف المستقبل ، بل لا بد أيضاً من أن ينبع من الحاضر ويتعامل معه ومن ثم تظهر أهمية وضع تصوّر متكامل لخطة قومية تربوية وتنموية للوصول إلى أهداف تربوية مشتركة من شأنها أن ترتقي بواقع الطفل وتحظى بمستقبله وتحيي تراثه.

لذا أصبح من الضروري إعداد الطفل للتعامل مع التحديات التي يفرضها عليه القرن الحالي ، الذي يتصرف بكونه عصر المعلومات المتداقة والمعرفة المتزايدة ومجتمع العلم والتكنولوجيا المتطورة والتفكير العلمي والفكير الخلاق وتمكيناً للطفل من ثبات وجوده والمحافظة على كيانه وهويته القومية في عالمنا المعاصر<sup>(٢٥)</sup> .

إن النهوض بواقع الطفل يحتم علينا تكثيف الجهود تجاه توعية الأسرة العربية والتشديد على القيم الإيجابية التي تعتنقها ، وتخالصها من القيم التي تؤثر في تطورها ، وتحصينها من أي قيم خارجية مستوردة تستنزف قدراتها وإمكانياتها ، التي تتنافى مع قيمنا الإيجابية وطموحنا نحو التقدم<sup>(٢٦)</sup> ، وهذا يتطلب التعرف على أبرز التحديات التي تواجه الأسرة وثقافة الطفل في عالمها ومجتمعها ، مما يؤدي إلى التحرك نحو التجديد والتطوير وتحديد الأولويات

الجدير بالذكر أن التربة في فكر الإمام عليه السلام تبدأ من مرحلة اختيار الزوجة بوصفها مقدمة ل التربية أبناء صالحين مروراً بمراحل النمو الأخرى، وهذا ما سنبيه بعرض هذه الأحاديث وقراءتها في ضوء الأسس والمبادئ النفسية والاجتماعية الحديثة :

### ١. اختيار الزوجة

يقول الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : «إياكم وتزويج الحمقاء فإن صحبتها بلاء وولدها ضياع»<sup>(٢٦)</sup>.

يبدأ بناء الأسرة الصالحة في فكر الإمام علي عليه السلام من اختيار الزوجة الصالحة لما لها من أثر عميق وكبير في حياة الأسرة وتماسك بنائها؛ لأن الزوجة الصالحة هي مقدمة ل التربية أبناء صالحين وهذا الأمر واضح في كلامه عليه السلام : «ولد الحمقاء ضياع».

فإمام علي عليه السلام يخشى تزوج الحمقاء لانتقال هذه الصفة إلى الطفل ،

إلا أن هناك بعض المعوقات التي تؤثر في إستراتيجية ومنهجية التعامل مع الأطفال وثقافتهم ويدخل في ذلك إشكالية علاقة الرشد بالطفل (إشكالية المزاوجة بين الأصالة والمعاصرة)، وإشكالية التركيز في الماضي أو المستقبل وتهميشه الحاضر، وهذه الإشكاليات تؤثر في أسلوب التربية ، وفي موقف المجتمع من الأطفال<sup>(٢٥)</sup>.

وفي خلاصة هذا البحث يجب على الأسرة أن تأخذ دورها الفاعل في تربية الطفل وتأديبه من أجل إرفاد المجتمع بأفراد صالحين يتمتعون بشخصية سليمة خالية من كل العقد والاضطرابات النفسية، قادرين على تحمل مسؤولياتهم في الحياة والتفاعل الإيجابي فيها.

### المبحث الثاني: تربية الطفل في فكر الإمام علي عليه السلام

يتضمن هذا المبحث أحاديث الإمام علي عليه السلام في تربية الطفل ، ومن

وقد أورد صلی الله علیه وآلہ کلمة العرق في حديثه قاصداً الجين أو الذرات التي تکمن في الخلايا.

وهي ما أشار إليها علماء الحياة حين قالوا بتأثيرها في العادات والصفات التي يمكن أن يتمتع بها المولود وتكون على شكل موجودات غير منظورة بالعين المجردة تهجع في خلايا حاملة الصفات المنتقلة من جيل لآخر، أي أنها تحمل الصفات الجيدة وغير الجيدة من الأبوين إلى أبنائهما<sup>(٣٠)</sup>.

ويتضح هذا الأمر جلياً في اختيار الإمام علي عليه السلام لفاطمة الكلابية (أم البنين) بعد وفاة ابنة عممه الصديقة الزهراء عليها السلام)، إذ قال عليه السلام لأخيه عقيل - وكان عارفاً بالأنساب - :

**«أخطب لي امرأة ولدتها الفحولة من العرب لأرزق منها ولداً يكون عوناً لولدي الحسين يوم عاشوراء...».**

ولعدم قدرتها على تربية الطفل تربية سوية، وقد أثبتت ذلك علماء النفس والاجتماع والأخلاق بأن المرأة الكريمة المذهبة هي المسؤولة على تهيئة الجو النفسي والأخلاقي لنشأة الطفل نشأة سليمة متوازنة، وهي التي تبني شخصيته واتجاهاته وعاداته وأخلاقه، وهي التي تسمو به نحو عالم الخير والكمال وصنع المستقبل الظاهر<sup>(٢٧)</sup>.

فمن أراد أن يتخد لنفسه زوجة عليه أن يعرف سجاياها أصلاً وفصلاً وحسباً ونسباً؛ لكي يحضرى بإمارة نجيبة وعفيفة يقول الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام : «حسن الأخلاق برهان كرم الأعراق»<sup>(٢٨)</sup>.

وهذا الحديث يثبت إمكانية اكتشاف الطهارة العائلية للفرد من السجايا الفاضلة عنده. وعن الرسول محمد صلی الله علیه وآلہ وسلم أنه قال : «تزوجوا في الحجر الصالح فإنّ العرق دساس»<sup>(٢٩)</sup>.

الرضاعة من إحساس الطفل بالدفء والحنان، أنّ اللبن هو أكمل غذاء جسمي والحب هو أشهى غذاء نفسي ، والذي

يلاحظ استجابات الطفل للرضاعة من تعبيرات وجهه يتبيّن مدى أهمية هذه العملية لديه فإنّ الطفل حين يرضع من ثدي أمّه لا يملاً معدته فقط ولكنه يبدو سعيداً مسروراً هادئاً مطمئناً.

وإذا تأخر عنه الثدي أو نزع من فمه نجده مضطرباً ويصبح في ثورة احتجاج ونخن نعرف أنّ الفم وعملية المص مصدر لذة كبرى للطفل فهنا مصدر الغذاء المنشبع ومصدر الإحساس بوجود الأم والشعور بمحنانها والإحساس بالأمن ايضاً، وبهذا تكون الرضاعة ليست مجرد إشباع حاجة فسيولوجية وإنما هي موقف نفسي اجتماعي شامل يشمل الرضيع والأم وهو أول فرصة للتتفاعل الاجتماعي<sup>(٣٤)</sup>.

لقد بلغ اهتمام الإمام بحياة الطفل أن دعا إلى توفير الغذاء الجيد والمتوازن للطفل

فإن الإمام ينظر إلى شجاعة الأسرة التي يريد أن يخطب منها زوجته لتنجب له ولداً شجاعاً.

## ٢. الرضاعة

يقول الإمام عليه السلام : « ما من لبن يرضع به الصبي أعظم بركة عليه من لبن أمه »<sup>(٣١)</sup>. وفي حديث آخر قال الإمام علي عليه السلام : « انظروا من يرضع أولادكم فان الولد يشب عليه »<sup>(٣٢)</sup>.

تذهب العلوم الطبية الصحيحة أن حليب الأم هو أفضل غذاء طبيعي للطفل وضمان وقايته من الأمراض<sup>(٣٣)</sup>؛ فضلاً عن تأثيره الإيجابي في الوضع النفسي والعاطفي للطفل، وهو أهم المراحل في البناء العاطفي للطفل حيث تختزن الأم طفلها وتضمّه إلى صدرها، فيشعر بالحنان المتواصل والدفء العاطفي.

إذ أنّ إرضاع الطفل من ثدي أمّه يحقق هدفين، هما الرضاعة الغذائية والرضاعة الانفعالية لما يرتبط بعملية

أو اسمًا يبعث على الأمل والتفاؤل  
أو اسمًا يدل على الشجاعة والنشاط  
والهمة<sup>(٣٨)</sup>.

أما إذا كان الاسم قيحاً يصبح سبباً  
للشعور بالحقارة ويحمل صاحبه على  
الشعور بالضجر والانطواء ومحل  
للسخرية الأطفال واستهزائهم به، ولا  
ريب أنّ الذين ينمازون بأسماء جميلة أو  
يتّمّون إلى عشيرة ذات اسم جميل  
يفتخرون بذلك ويسعدون ويذكرونها  
بكل ارتياح وسرور وطلاقه دونما الشعور  
بالحقارة والأذى، وأما الذين على  
العكس من ذلك نراهم يأبون عن ذكر  
أسمائهم وأسماء عشيرتهم القبيحة وإن  
اضطروا إلى الذكر شعروا بالخجل  
والضياع والألم<sup>(٣٩)</sup>.

#### ٤. تأديب الطفل

وقال عليه السلام: «علّموا أنفسكم  
وأهلِكم الخير وأدبوهم»<sup>(٤٠)</sup>.

سابقاً في ذلك العلم الحديث الذي يقول:  
(إنَّ للغذاء تأثيراً في الجسم والروح على  
حد سواء، حيث أَنَّه مؤثر في إيجاد  
الخصائص الجسمية كالنمو والجمال ...).  
كذلك في خلق الصفات النفسية  
والأخلاقية، كالرذائل والفضائل أيضاً<sup>(٣٥)</sup>.

#### ٣. تسمية المولود

يقول الإمام عليه السلام: «أول ما  
يُبَرِّ الرجل ولده، أَنْ يُسَمِّيه بِاسْمِ حَسْنٍ،  
فَلَيَحْسُنَ أَحْدَكُمْ اسْمَ ولَدَه»<sup>(٣٦)</sup>.

وفي حديث آخر قال عليه السلام:  
«وَحَقُّ الْوَلَدِ عَلَى الْوَالِدِ أَنْ يَحْسُنَ اسْمَهُ،  
وَيَحْسُنَ أَدْبَهُ، وَيَعْلَمَهُ الْقُرْآنَ»<sup>(٣٧)</sup>.

تُرى الشريعة الإسلامية أن من بين  
حقوق الطفل على والديه حسن اختيار  
الاسم الذي يدعى به بين الناس الذي  
يميزه من غيره من الأشخاص، بحيث  
يكون اسمًا ذا معنى محمود أو صفة طيبة  
يرتاح لها القلب وتطمئن لها النفس.

وفي ذلك يقول الإمام علي عليه السلام لولده الحسن : «إنا قلب الحدث كالأرض الحالية ، ما ألقى فيها من شيء قبلته فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل بك»<sup>(٤٥)</sup>.

وهنا بيان واضح من الإمام علي عليه السلام على أن قلب الطفل صفحة بيضاء ، لا يوجد فيها فكرة صحيحة أو خطأة ، وقد أشار فرويد إلى هذه الحقيقة وأكد على أهمية السنوات الخمس الأولى في تكوين شخصية الإنسان على وفق ما يتلقاه الطفل من الأسرة.

لذا يجب على الآباء - وهما يستطيعان ب توفيق الله لهم - العمل على حسن تربية الطفل عن طريق القدوة الحسنة أولاً ، ثم تلقينه الآداب الفاضلة ، والعمل على غرس الخصال الكريمة في نفسه وتطبيقه على الصفات الحميدة ، وتنمية صلاته بالله تعالى عن طريق حفظ القرآن الكريم وممارسة العبادات والتخلص

وفي حديث آخر يقول عليه السلام : «لا ميراث للأدب»<sup>(٤١)</sup>.

عنه عليه السلام يقول : «ما نحل والدولـاً نحلاً أفضل من حسن الأدب»<sup>(٤٢)</sup>.

يؤكد الإمام علي عليه السلام على تأديب الطفل إذ أن من أهم الواجبات الملقاة على عاتق الآباء هو القيام بتأديب الأطفال ومراقبة سلوكهم خوفاً من شذوذهم أو ارتكابهم ما يخالف التقاليد الدينية والاجتماعية ، أو يجافي الآداب العامة ، أو جنوحهم نحو الشر وارتكاب الجرائم.

فيجب على الآباء الإسراع في تأديبهم وتربيتهم<sup>(٤٣)</sup>.

فالولدأمانة عند أبيه وقلبه الطاهر يقبل كل ما يلقى إليه من خير أو شر ، قال رسول الله محمد صلى الله عليه وآله : «كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه وينصرانه»<sup>(٤٤)</sup>.

ونبذ الظلم واحترام الآخرين ؛ إذ يقول عليه السلام : «واعـلـم نـفـسـك مـيزـانـاً فـيـما بـيـنـك وـبـيـنـغـيرـك وـأـحـبـلـغـيرـك ما تـحـبـلـنـفـسـك ، وـأـكـرـهـلـه ما تـكـرـهـلـهـا ، لـا تـظـلـمـكـمـا لـا تـحـبـأـنـتـظـلـمـ، وـأـحـسـنـكـمـا تـحـبـأـنـيـسـنـإـلـيـكـ، وـاسـتـقـبـحـكـمـا تـحـبـأـنـتـقـبـحـكـمـا تـسـتـقـبـحـكـمـا تـحـبـغـيرـكـ، وـارـضـكـمـا النـاسـمـا تـرـضـىـلـهـمـمـنـكـ، وـلـا تـقـلـمـا لـا تـعـلـمـ، بل لـا تـقـلـكـلـمـا عـلـمـتـمـا لـا تـحـبـأـنـ...»<sup>(٤٧)</sup>.

## ٥. الحب والحنان

يقول الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام : «من قَبْلَ ولَدَهُ كَانَتْ لَهُ حَسَنَةٌ ، وَمَنْ فَرَحَهُ فَرَحَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٤٨)</sup>.  
من الميل الفطرية للإنسان ، التي تظهر في مدة الطفولة الحاجة إلى الحب والعطف والحنان ؛ لأن الاستجابة لهذا الميل الطبيعي وإشباع هذه الحاجة جزءاً من النهاج الفطري . فإذا نال الطفل حظاً وافراً من العطف والحنان في أيام طفولته

بـالـأـخـلـاقـ الـفـاضـلـةـ ، وـتـعـويـدـهـ آـدـابـ الـحـدـيـثـ ، وـآـدـابـ السـؤـالـ بـحـيـثـ يـكـونـ مـهـذـبـاًـ فـي سـؤـالـهـ لـطـيفـاًـ فـي حـدـيـثـ يـحـسـنـ الـوـصـولـ إـلـىـ مـا يـرـيدـ بـرـقةـ وـأـدـبـ ، وـيـتـعـوـدـ الـقـدـرـةـ عـلـىـ الـاعـتـذـارـ لـلـآـخـرـينـ إـنـ صـدـرـ مـنـهـ خـطاًـ<sup>(٤٦)</sup>.

وقد جسد الإمام علي عليه السلام مضامين الفكر الإسلامي في التربية ، وكيف لا وهو رب الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآلـهـ فـكـانـ أـقـوـالـهـ وـأـفـعـالـهـ مـسـتوـحـةـ مـنـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ وـالـسـنـةـ النـبـوـيـةـ الشـرـيفـةـ.

فـكـانـ بـحـقـ حـكـيـمـاًـ عـالـمـاًـ وـمـرـيـباًـ فـاضـلـاًـ لـاـ يـسـبـقـهـ سـابـقـ وـلـاـ يـلـحـقـهـ لـاـ حـقـ بـعـدـ رـسـوـلـ اللـهـ مـحـمـدـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـهـذـهـ وـصـيـتـهـ لـوـلـدـهـ الـحـسـنـ عـلـيـهـ السـلـامـ مـنـ روـائـعـ خـلـقـهـ الرـفـيعـ الـتـيـ تـعـدـ الـحـجـرـ الـأـسـاسـ فـيـ تـوـثـيقـ الـرـوـابـطـ الـاجـتمـاعـيـةـ وـبـنـاءـ الـجـمـعـ بـنـاءـ سـلـيـمـاًـ قـوـامـهـ الـحـبـ وـالـتـسـامـحـ وـالـعـدـلـ

مصاديق عمل الخير؛ لما من انعكاسات ايجابية تشعر الطفل بالراحة ودفء العاطفة وأنه شخص مرغوب فيه له مكانته في الأسرة، وفي هذا الصدد يقول صالح عبد الكريم: (لاحظت من خلال الممارسات الإكلينيكية في العيادة النفسية أن العامل المشترك بين أغلب المشكلات النفسية والسلوكية لدى الأطفال والراهقين هو غياب الحب الحقيقي بينهم وبين الوالدين، كما لاحظت أن الأطفال السعداء الأصحاء نفسياً هم المحبوبون الذين يصلحهم حب الوالدين ويشعرون به وهم من تربوا على الحب وولدوا في محيط أسري يتسم بالحب وتأكدت أن الحب أفضل أسلوب ل التربية الأبناء، وأفضل علاج لكل المشكلات النفسية والسلوكية للأطفال والراهقين والشباب والراشدين والم SENI، وتأكد لي أنه إذا كان غذاء الجسد هو الطعام والشراب وإذا كان

كان ذا روح مطمئنة ونفس ودية وكان سلوكه طبيعياً طيلة أدوار حياته.

أما الأطفال المزدحمون من الحب العائلي وعطف الوالدين فإنهم يملكون أرواحاً ملؤها اليأس والتشاؤم ويكونون على شفا جرف من الانحراف<sup>(٤٩)</sup>.

فيجب أن يحظى الطفل من ساعة ولادته بدفء الأم وحنانها، ورعاية الآب والعناية به ليعيش في جو ملؤه الحب والتقدير، وفي محيط يسوده الاطمئنان والراحة النفسية وطفولة سعيدة<sup>(٥٠)</sup>.

ليكون في أمان من العقد النفسية، وتتفتح في قلبه أزهار الخير والفضائل فينشأ إنساناً سوياً فاضلاً يحب الخير للجميع كما يحبه لنفسه<sup>(٥١)</sup>.

لذلك نجد الإمام عليه السلام يقول: «من قَبْلَ ولدَه كَانَتْ لَهْ حَسَنَة»، ومن المعروف أن الحسنات لا تأتي جزافاً من دون عمل خير يستحق ذلك، وهذه القُبلة من الوالدين للطفل من أصدق

ومن جانب آخر يؤكّد الإمام علي السلام على إدخال السعادة إلى نفسية الطفل كي لا يشعر بالحرمان ويصف ذلك بقوله عليه السلام: «وَمِنْ فَرَحَةِ رَبِّهِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

فالطفل من منظور الإمام علي عليه السلام كتلة من المشاعر والأحساسين يجب صيانتها وإحاطتها بيئـة صـالحة لـترـزـهـرـ وـتـنـمـوـ شـخـصـيـتـهـ وـتـصلـ إـلـىـ إـشـرـاقـاتـهـ التـكـامـلـيـةـ، حيث يقول عليه السلام واصفـاـ الطـفـلـ بـأـنـهـ: «ذـوـ نـيـةـ سـلـيمـةـ وـنـفـسـ صـافـيـةـ»<sup>(٥٥)</sup>.

لـذـاـ يـجـبـ عـلـىـ الـآـبـاءـ تـحـمـلـ مـسـؤـولـيـتـهـمـ تـجـاهـ أـبـنـائـهـمـ، وـأـنـ يـشـعـواـ حاجـاتـهـمـ النـفـسـيـةـ وـالـعـاطـفـيـةـ، وـأـنـ يـعـمـلـواـ عـلـىـ إـسـعـادـهـمـ؛ ليـنـالـواـ بـذـلـكـ سـعـادـةـ الدـنـيـاـ وـآـجـرـ الـآـخـرـةـ.

## ٦. لعب الطفل

يقول الإمام علي عليه السلام: «يرخى الصبي سبعاً...»<sup>(٥٦)</sup>.

غـذـاءـ العـقـلـ هـوـ القرـاءـةـ، وـإـذـاـ كـانـ غـذـاءـ الرـوـحـ هـوـ الإـيـانـ فـغـذـاءـ النـفـسـ وـدـوـاـرـهـ هـوـ الحـبـ الحـقـيقـيـ»<sup>(٥٢)</sup>.

وـقـدـ اـكـتـشـفـ عـلـمـاءـ النـفـسـ أـنـ هـنـالـكـ اـضـطـرـابـاـ يـصـبـ الـأـطـفـالـ الـحـرـومـيـنـ مـنـ الـحـبـ وـأـطـلـقـواـ عـلـيـهـ (ـالـقـزـمـ الـعـاطـفـيـ)، حيث وـجـدـواـ هـنـالـكـ بـعـضـ الـأـطـفـالـ نـمـوـهـمـ جـسـميـ بـطـيـءـ وـيـتـسـمـونـ بـضـالـةـ الـجـسـمـ مـقـارـنـةـ بـالـعـمـرـ الـزـمـنـيـ لـهـمـ وـاـكـتـشـفـواـ أـنـ السـبـبـ الـذـيـ يـكـمـنـ خـلـفـ ذـلـكـ الـاضـطـرـابـ هـوـ نـقـصـ الـحـبـ وـعـدـمـ النـشـأـةـ فيـ جـوـ أـسـرـيـ يـتـسـمـ بـالـحـبـ»<sup>(٥٣)</sup>.

وـمـنـ هـذـاـ يـتـضـحـ تـأـكـيدـ الرـسـوـلـ مـحـمـدـ وـآلـ بـيـتـهـ صـلـواتـ اللـهـ وـسـلـامـهـ عـلـيـهـ حـبـ الـأـطـفـالـ وـتـقـيـيلـهـمـ، يـُـرـوـىـ أـنـ رـجـلـ جـاءـ إـلـىـ الرـسـوـلـ مـحـمـدـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ فـقـالـ: ما قـبـلـتـ صـبـيـاـ قـطـ فـلـمـاـ وـلـىـ قـالـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ: «هـذـاـ رـجـلـ عـنـدـنـاـ إـنـهـ مـنـ أـهـلـ النـارـ»<sup>(٥٤)</sup>.

التملك.. ويشعر الطفل بالملوء ويعيش طفولته)<sup>(٥٩)</sup>.

ويؤكد علماء النفس وال التربية حرية الأطفال في اللعب، ومن قولهم: (إذا حاول الأطفال رسم برنامج خاص لهم في أعمالهم فلا تمنعهم من ذلك؛ لأنّ مواصلة تطبيق خطة مرسومة دون عوائق في الطريق... عامل فعال في تكون الشخصية عندهم)<sup>(٦٠)</sup>.

وهذا لا يعني أن يترك الطفل على الغارب بحيث يفعل الطفل ما يشاء، بل يجب أن يكون اللعب بأدوات مباحة، وأن يكون مأموناً من الخطر والضرر، ولا يستهلك جلّ وقت الطفل، وأن يكون بإشراف الوالدين وتحت مراقبتهم؛ ليتم التوجيه والتوصيب للخطأ إن وقع<sup>(٦١)</sup>.

فالإمام عليه السلام أشار إلى مسألة اللعب منذ أمد بعيد بوصفه وسيلة فعالة لبناء شخصية الطفل، والإمام عليه السلام لم يؤكّد على أهمية لعب الطفل

وفي حديث آخر قال عليه السلام: «من كان له ولد صبا»<sup>(٥٧)</sup>.

اللعب حاجة فطرية يحتاج إليها الفرد في مراحل حياته ولا سيما في مرحلة الطفولة المبكرة، فهو نشاط تلقائي لا يمكن تعلّمه ولا يقل أهمية عن الأكل والشرب والتنفس، بل إنّ الطفل أحياناً يفضل اللعب على الأكل، فهو يعيش مع لعبته يحكى لها، ويشكى لها، يضربها، يُقبلّها، يحضنها، يرميها، ويركبها.

ولا شك أنّ هذا اللعب له أهمية كبرى بالنسبة إلى الطفل حيث يساعد في النمو الجسمي والعقلي والحركي والاجتماعي واللغوي والأخلاقي، والطفل الذي لا يلعب هو طفل غير طبيعي<sup>(٥٨)</sup>.

وباللعب (يتعلم الطفل المعايير الاجتماعية، وضبط الانفعالات والنظام والتعاون.. ويشبع حاجاته مثل حب

## ٧. تعليم الطفل

يقول الإمام علي عليه السلام: «حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويحسن أدبه ويعلّمه القرآن»<sup>(٦٤)</sup>.

وفي حديث آخر قال عليه السلام: «عُلِّمُوا صَبِيَانُكُم مِّنْ عِلْمِنَا مَا يَنْفَعُهُمُ اللَّهُ بِهِ، لَا تُغْلِبُ عَلَيْهِمُ الْمَرْجَةَ بِرَأْيِهَا»<sup>(٦٥)</sup>. اهتم الإسلام بالتعليم اهتماماً كبيراً، بل جعل التعليم من الحقوق الواجبة على الآباء تجاه أبنائهم، ولا شك أن الحق سبحانه يسأل الإنسان يوم القيمة عنه. فقد أشار الإمام علي السلام إلى تعلم القرآن؛ لأنّه يُعد دستوراً إلهياً شاملًا لكل جوانب العلم في مجالاته المختلفة العلمية والإنسانية، والروحية والعبادية، فضلاً عن تعلم القراءة والكتابة الصحيحة على وفق الضوابط اللغوية والتشجيع على الحفظ والتفسير الصحيح لبعض الآيات وال سور التي يحتاجها الطفل في هذه

فحسب، بل وأشار إلى أهمية اللعب مع الطفل فعن الأصبغ بن نباتة قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من كان له ولد صبا».

وكان رسول الله محمد صلى الله عليه وآله يشارك الحسن والحسين في فعلهما، ومشاركته لا تعني التدخل في شؤونهما، وإنما يشارك متصرفاً كأنه أحدهما فكان صلى الله عليه وآله يبرك للحسن والحسين ويخالف بين أيديهما وأرجلهما، ويقول: «نعم الجمل جملكما»<sup>(٦٦)</sup>.

يقول موريس في كتابه (دروس للوالدين): (يجب أن تسلكوا مع أولادكم كأصدقاء، أن تعملوا معهم، أن تشاركونهم في اللعب، أن تقرروا لهم القصص أن تحدثوا معهم بعبارات الود والصدقة، وبصورة خاصة فإن الفرد يجب أن يعرف كيف يجعل نفسه بمستوى الأطفال ويتكلم بلغة يفهمونها)<sup>(٦٧)</sup>.

الفطرية، فهو يجهل جهلاً كاملاً لتلك  
الظواهر المختلفة لهذا العالم الواسع.  
ولا يعلم شيئاً عن قضايا العلة  
والعلوّل ولا يمكنه أن يستمر ما هو  
موجود في الحياة اليومية ويستفيد منه، لذا  
 فهو بحاجة إلى الوعي حتى يدرك ماذا عليه  
أن يفعله في هذا العالم وما هي المواقف  
التي لا بدّ من أن يتّخذها.

لذا فالأب هو المسؤول عن توعية طفله  
وتنشئته ثقافياً، فالطفل يعتقد أن أباءه يعلمون  
كل شيء، ويمكنه الإجابة على جميع  
الأسئلة، ويعي جميع المعادلات، وأنه  
يعلم بجميع الحوادث أيّما وقعت، وهو  
الذي يجب أن يتحدث عن الماضي ويخبر  
عن المستقبل ويدرك تفاصيل الحياة  
ودقائقها.

وأخيراً فإنه هو الذي يفتح بوابة العلم  
والمعلومات أمام طفله<sup>(٦٨)</sup>.

المرحلة، وخصوصاً ما يتعلق بالجانب  
العقائدي والأخلاقي، والجانب الفقهـي  
المتعلـق بالأحكـام الشرعـية المختلفة من  
العبادات والمعاملات<sup>(٦٦)</sup>.

وقد أوجـب الله سبحانه وتعـالـى فضـلاً  
كبيـراً للوالـدين لـتـعلـيمـهم القرـآن أـبنـاهـم  
عـلـى الرـغـمـ من كـونـهـ حـقاًـ عـلـيـهـمـ.  
فقد ورد عن رسول الله محمد صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ آـنـهـ قـالـ: «... وـمـنـ عـلـمـهـ  
الـقرـآنـ دـعـيـ بـالـأـبـوـينـ فـكـسـيـاـ حـلـتـينـ تـضـيـءـ  
مـنـ نـورـهـمـاـ وـجـوـهـ أـهـلـ الجـنـةـ»<sup>(٦٧)</sup>.

والجانب الآخر الذي يؤكـدـهـ الإمامـ  
عليـهـ السـلامـ هو تـعـلـيمـ العـلـومـ النـافـعـةـ لـتـكـونـ  
لـدـىـ الطـفـلـ حـصـانـةـ فـكـرـيـةـ أـمـامـ التـيـارـاتـ  
الـمـنـحرـفةـ فيـ قـولـهـ عـلـيـهـ السـلامـ: «عـلـمـواـ  
صـبـيـانـكـمـ مـنـ عـلـمـنـاـ مـاـ يـنـفـعـهـمـ اللهـ بـهـ،ـ لـاـ  
تـغلـبـ عـلـيـهـمـ المـرـجـعـةـ بـرـأـيـهـ».

وـالـحـقـ أـنـ الطـفـلـ بـعـدـ وـلـادـتـهـ لـاـ يـعـرـفـ  
سـوـىـ بـعـضـ الـمـعـلـومـاتـ الـغـرـيـزـيـةـ

بـ(العقاب السلبي)، ويقصد به إزالة

حدث سار مرغوب فيه نتيجة قيام الطفل بسلوك غير مرغوب فيه بهدف تقليل احتمالية تكرار مثل هذا السلوك لاحقاً<sup>(٧١)</sup>.

ومن الجدير بالذكر أن الإمام علي عليه السلام أشار إلى هذا النوع من العقاب منذ (١٤٠٠) ونيف عام، يقول الإمام عليه السلام: «أَزْجِرْ الْمُسِيءَ بِثَوَابِ الْمُحْسِن»<sup>(٧٢)</sup>.

إذ لا شك أن إثابة المحسن وترك المسيء هو نوع من العقاب له؛ لأنك في واقع الحال قد عاقبته بحرمانك إياه من حالة محيبة أو يازالتك مثير محبب بالنسبة إليه، وهو الثواب أو التعزيز الذي أعطيته لفرد قام بسلوك مرغوب فيه جزاء له، ويسمى هذا بالإقصاء الذي يتضمن منع أو إبعاد الفرد عن المعززات أو الأنشطة المعززة له نتيجة لقيامه بسلوك غير مرغوب فيه.

## ٨. عقاب الطفل

يقول الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «إِنَّ الْعَاقِلَ يَتَعَظُ بِالْأَدْبَرِ وَالْبَهَائِمُ لَا تَتَعَظُ إِلَّا بِالْأَذْبَابِ»<sup>(٦٩)</sup>.

إن فلسفة العقاب هي أن يشعر الفرد بالعذاب والألم نتيجة لقيامه بسلوك غير مرغوب فيه، ليفكر بالتخلص والابتعاد عن تلك السلوكيات والأعمال التي تسبب له الألم والضيق، وهذا يعني أن العقاب لا يقتصر على الضرب فقط، بل إنه يشمل أموراً أخرى كثيرة لها المعنى نفسه من دون أن تترك آثاره، ومن أهمها: التوبيخ والإشارة والكتابية والتهديد بحرمانه من بعض الامتيازات التي يهواها كالسينما وأفلام الرسوم المتحركة والقصة وقطع المصنوف اليومي والمقاطعة<sup>(٧٠)</sup>.

وقد أشار إلى هذا النوع من العقاب عالم النفس الأمريكي (سكنر) وأسماء

التقبيل وغيره، ومن الخطأ الفاحش الذي يقوم به بعض الوالدين هو التحدث عن أمور الجنس أمام الأطفال في بعض المناسبات، فإن ذلك يدفع الأطفال إلى زيادة فضولهم.

وفي خلاصة هذا البحث يمكن القول إن الإمام عليه السلام كان رائداً في مجال التربية الأسرية، وكانت أقواله وأفعاله أساساً ومبادئ يستنار بها في المجال التربوي.

### **الخاتمة**

يتضح مما تقدم في البحث أن للتربية دوراً بارزاً في حياة الأبناء وبناء شخصياتهم لدرجة أن الكثير من مظاهر التوافق أو عدم التوافق التي تظهر في سلوك الأبناء وتحقيق النجاح أو الفشل يمكن إرجاعها إلى نوع العلاقات الأسرية التي تسود بين أفراد الأسرة وإلى أساليب المعاملة التي يعاملها به الوالدان، فنمو شخصيات الأبناء يحتاج إلى إمكانات اقتصادية واجتماعية أسرية تهيئ البيئة الصالحة.

### **٩. التفريقي بين الصبيان في المضاجع:**

يقول الإمام عليه السلام: «مرروا صبيانكم بالصلوة إذا كانوا أبناء سبع سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع إذا كانوا أبناء عشر سنين»<sup>(٧٣)</sup>.

لقد راعى الإسلام في منهجه التربوي الانسجام الكامل بين قوانينه التشرعية والتکوینیة وحقق بذلك الوسائل الممهدة لجمود الميل الجنسي عند الأطفال في المدة المذكورة، فقد جنبهم عن كل عمل مثير يؤدي إلى النشاط الجنسي وأوجب على الآباء والأمهات إيجاد الجو المناسب لبقاء هذا النشاط مجدداً حتى يحين موعد نضجه<sup>(٧٤)</sup>.

فيجب على الوالدين وقاية الأطفال من الإثارة الجنسية، والتفريق بينهم في حالة النمام، بأن توضع فاصلة بينهم فلا ينامون تحت غطاء واحد بحيث يحيط جسم أحدهم بالآخر فضلاً عن تجنبهم

٥. اللعب بالنسبة إلى الطفل مهم جداً لتحقيق التوافق العضلي ، وإشباع حاجة الطفل بالاكتشاف والمعرفة.

٦. العقاب المعنوي العاطفي أجدى من العقاب الجسدي لما للأخير من آثار سلبية على الطفل.

### وفي ضوء الاستنتاجات يوصي

#### الباحث بالآتي

١. يجب أن يكون اختيار الزوجة على أساس النسب الظاهر وليس على أساس الجمال والمال فقط.

٢. يجب أن يختار الوالدان الاسم الجميل والحسن لطفلهم.

٣. يجب على الوالدين إشعار الطفل بالحب والحنان ، وأنه شخص مرغوب فيه بالأسرة.

٤. يجب احترام شخصية الطفل ، وتجنب العقاب البدني إلا عند الضرورة على نحو التأديب بما لا يحدث الضرر.

وأنّ أهل البيت عليهم السلام ولا سيما الإمام علي عليه السلام قد وضع منهجاً متكاملاً لبناء الأسرة بالشكل الصحيح ابتداءً من اختيار الزوجة الصالحة وحتى مرحلة المراهقة.

### وفي ضوء ما تقدم استنتج الباحث الآتي

١. إنّ المنهج الذي وضعه آل البيت عليهم السلام ولا سيما الإمام علي عليه السلام كان منهجاً متكاملاً في تربية الطفل من النواحي (الجسمية، والوجدانية، والاجتماعية، والخلقية، والتعليمية).

٢. اختيار الزوجة له أثر في تكوين الطفل وتربيته.

٣. الاسم الحسن للولد له أثر على نفسيه وتفاعلاته الاجتماعي.

٤. الحب والعطف على الأولاد له أثر بالغ في تربية الطفل وتأديبه.

٥. التفريق بين الأطفال في النام،  
لإبعادهم عن الاحتكاك الجسمي، وإثارة  
الشهوة الجنسية لديهم.
٦. أن يتعامل الوالدان مع الولد في  
مرحلة المراهقة بحكمة ودرأية من دون  
المساس بشخصيته.
- 
- (١) محمد سعيد فرج، البناء الاجتماعي  
والشخصية : ٢٤٠.
- (٢) بشير خلف، ثقافة الطفل ومنجزات العصر،  
٢٠٠٨/١٠/١ متوفّر على الموقع الإلكتروني  
[www.diwanalarab.com](http://www.diwanalarab.com)
- (٣) سناء الخولي، التغير الاجتماعي  
والتحديث : ٢٢.
- (٤) عباس مكي وزهير حطب، السلطة الأبوية  
والشباب : ٧ - ٨.
- (٥) المصدر نفسه، ص.٨.
- (٦) محمد عاطف غيث: تطبيقات في علم  
الاجتماع: ١٦٢.
- (٧) المصدر نفسه، ص. ١٠٤.
- (٨) محمود حسن، الأسرة ومشكلاتها،  
بيروت: ٦٩.
- (٩) المصدر نفسه: ص ٥٦ - ٥٧.
- (١٠) السيد رمضان، الجريمة والانحراف من  
المنظور الاجتماعي: ١٤١ - ١٤٢.
- (١١) محمود حسن، الأسرة ومشكلاتها:  
٦٨ - ٧١.
- (١٢) الروم / ٢١.
- (١٣) سناء الخولي، المدخل إلى علم  
الاجتماع: ٢٣٠.
- (١٤) أحمد زكي صالح، علم النفس  
التربوي: ٨٠٣.
- (١٥) إحسان محمد الحسن وبهيجة أحمد  
شهاب، خدمة الجماعة: ١٦٧.
- (١٦) المصدر نفسه، ص ١٧٢.
- (١٧) قيس النوري: الأسرة مشروعًاً تنمويًّاً:  
٢٧.
- (١٨) سالمة داود الفخرى وآخرون،  
سيكولوجية الطفولة والمراهقة: ٦.
- (١٩) صباح حنا هرمز، سيكولوجية لغة  
الأطفال: ٣٨.
- (٢٠) صالح عبد الكريم، فن التربية للأبناء :  
٢٧.
- (٢١) هناء حسين الفلوفي، خصائص شخصية  
الطفيل العراقي: ٦٥.

- (٣٣) علي القائمي، الأسرة ومتطلبات الأطفال: ٦٨
- (٣٤) طلعت همام، سين وجيم عن علم النفس التطوري: ١٠٩ - ١١٠
- (٣٥) علي القائمي، الأسرة ومتطلبات الأطفال: ٦٨
- (٣٦) الكليني، الكافي: ٦ / ١٩
- (٣٧) محمد الريشهري، ميزان الحكمة: ٣ / ٢٥٢٢
- (٣٨) هدى محمود الناشف، الأسرة و التربية الطفل: ٤١
- (٣٩) السيد صالح السيد عبد الرزاق الموسوي الخرسان، التربية وإشراقاتها التكاملية: ٣٠٧
- (٤٠) محمد الريشهري، ميزان الحكمة: ١ / ٥٧
- (٤١) محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار: ١ / ٩٥
- (٤٢) حسين النوري، مستدرك الوسائل: ١٥ / ١٦٦
- (٤٣) السيد صالح السيد عبد الرزاق الموسوي الخرسان، التربية وإشراقاتها التكاملية: ٣٢٣
- (٢٢) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الخطة القومية الشاملة لثقافة الطفل العربي: ٧
- (٢٣) أحمد عبد الحليم، حقوق الطفل العربي: ٧٩
- (٢٤) يوسف عبد المعطي، ماذا أعددنا ل التربية أبنائنا في القرن الحادي والعشرين؟ ٥٤
- (٢٥) هند خالد خليفة، حول تطوير ثقافة الطفل في المجتمع السعودي، [www.hewarat.com](http://www.hewarat.com)
- (٢٦) الحر العاملي، وسائل الشيعة: ١٤ / ٥٧
- (٢٧) السيد صالح السيد عبد الرزاق الموسوي الخرسان، التربية وإشراقاتها التكاملية: ١١٠
- (٢٨) محمد الريشهري، ميزان الحكمة: ١ / ٨٠٣
- (٢٩) المصدر نفسه: ٢ / ١١٨٤
- (٣٠) مظاهري، تربية الطفل في الإسلام: ٣٨ - ٣٩
- (٣١) محمد بن يعقوب الكليني، الكافي: ٦ / ٤١
- (٣٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة: ١٥ / ١٨٩

- (٤٤) محمد باقر المجلسي ، بحار الأنوار : ٢٠٢ / ٧٤ .
- (٤٥) محمد باقر المجلسي ، بحار الأنوار : ٢٨٢ / ٣ .
- (٤٦) هدى محمود الناشف ، الأسرة و التربية للأطفال : ٥٧ / ١ .
- (٤٧) محمد باقر المجلسي ، بحار الأنوار : ٧٤ / ٢٠٤ .
- (٤٨) محمد تقى الفلسفى ، الطفل بين البيئة والوراثة : ١٠٠ / ١٠١ .
- (٤٩) محمد تقى الفلسفى ، الطفل بين البيئة والوراثة : ١١٦ / ٢ .
- (٥٠) نجم الدين علي مردان ، الطفولة في الإسلام حاجاتها النفسية والاجتماعية والتربية : ١١٦ .
- (٥١) السيد صالح السيد عبد الرزاق الموسوي الخرسان ، تربية الطفل وإشرافاتها التكميلية : ٣٩٨ .
- (٥٢) صالح عبد الكريم ، فن تربية الأبناء كيف نربي أبناءنا تربية نفسية سليمة؟ ١٢٨ .
- (٥٣) المصادر نفسه : ١٢٩ .
- (٥٤) محمد باقر المجلسي ، بحار الأنوار : ١٠٠ / ١٠١ .
- (٥٥) المصادر نفسه : ٢٠٢ / ٧٤ .
- (٥٦) المصادر نفسه : ٩٧ / ١٠١ .
- (٥٧) محمد بن يعقوب الكليني ، الكافي : ٦ / ٥١ .
- (٥٨) صالح عبد الكريم ، فن تربية الأطفال : ١٤٠ .
- (٥٩) كاميليا عبد الفتاح ، العلاج النفسي الجماعي للأطفال : ١٦٢ .
- (٦٠) محمد تقى فلسفى ، الطفل بين البيئة والوراثة : ٦٠ / ٢ .
- (٦١) سوسن حسين ، تربية الطفل : ٨٤ .
- (٦٢) حسين النوري ، مستدرک الوسائل : ١٧٣ / ١٥ .
- (٦٣) محمد تقى فلسفى ، الطفل بين البيئة والوراثة : ٩١ / ٢ .
- (٦٤) محمد الريشهري ، ميزان الحكمة : ٤ / ٣٦٨٠ .
- (٦٥) المصادر نفسه : ٣٦٨١ / ٤ .
- (٦٦) تربية الطفل في الإسلام ، المصادر موجود في المكتبة الشاملة الإلكترونية : ١٠٢ .
- (٦٧) محمد الريشهري ، ميزان الحكمة : ٤ / ٣٦٧٠ .

- (٦٨) علي القائمي، دور الأب في التربية : .٨٨  
- حسين ، سوسن. تربية الطفل ،  
لادي للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ،  
ط ١ ، ٢٠١٢ .
- (٦٩) محمد الريشهري ، ميزان الحكمة : ١ .٥٨  
- حطب ، زهير ، وعباس مكي ،  
السلطة الأبوية والشباب ، بيروت ، شركة  
تكنوبوس الحديثة ، ١٩٧٨ .
- (٧٠) علي القائمي ، الأسرة ومتطلبات  
الأطفال : ٢٦٧ .  
- الخرسان ، السيد صالح السيد  
عبد الرزاق الموسوي. تربية الطفل  
وإشرافاتها التكاميلية ، ط ١ ، شركة  
الأعمى للمطبوعات ، لبنان ، ٢٠١٢ م .
- (٧١) عماد الزغول ، نظريات التعلم : ٨٦  
- الشيخ كافي الدين أبو الحسن علي بن محمد  
الليثي ، عيون الحكم والمواعظ : ص ٧٦ .
- (٧٢) حسين النوري ، مستدرك الوسائل : ٢٨٩/١٤ .  
- خلف ، بشير. ثقافة الطفل  
ومنجزات العصر ، ١٠/١ ٢٠٠٨ متوفّر  
على الموقع الإلكتروني  
. www.diwanalarab.com
- (٧٣) محمد تقى فلسفى ، الطفل بين البيئة  
والوراثة : ٢٥٥/٢ .  
- خليفة ، هند خالد. حول تطوير  
ثقافة الطفل في المجتمع السعودي ،  
الرياض ، ١٢/٦ ٢٠٠٥ .  
. www.hewarat.com
- (٧٤) محمد تقى فلسفى ، الطفل بين البيئة  
والوراثة : ٢٥٥/٢ .  
- الخولي ، سناء. التغير  
الاجتماعي والتحديث ، دار المعرفة  
الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٨ .

## المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- الحسن ، إحسان محمد ، وبهيجة  
أحمد شهاب ، خدمة الجماعة ،  
الموصل ، مطبع التعليم العالي ، ١٩٩٠ .
- حسن ، محمود. الأسرة  
ومشكلاتها ، بيروت ، دار النهضة العربية  
للطباعة ، ١٩٨١ .

السرازي، دار احياء التراث العربي  
بيروت لبنان.

- عبد الحليم، أحمد، حقوق الطفل  
العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد  
(٤٩)، مركز دراسات الوحدة العربية،  
لبنان، ١٩٨٣ م.

- عبد الفتاح، كاميليا. العلاج  
النفسي الجماعي للأطفال، - مكتبة  
النهضة ١٩٧٥ م.

- عبد الكريم، صالح. فن تربية  
الأبناء كيف نربى أبناءنا تربية نفسية  
سليمة؟ دار الرأية للنشر والتوزيع،  
مصر، ٢٠١١ م.

- عبد المعطي، يوسف. ماذا أعددنا  
لتربية أبنائنا في القرن الحادي والعشرين؟  
المجلة التربوية، المجلد ١٣ ، العدد ٥١،  
جامعة الكويت - مجلس النشر العلمي،  
الكويت، ١٩٩٩ م.

- غيث، محمد عاطف، تطبيقات في  
علم الاجتماع، الإسكندرية، مطبع  
رويال، ١٩٧٠ م.

- رمضان، السيد. الجريمة  
والانحراف من المنظور الاجتماعي،  
الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث،  
١٩٨٥.

- الريشهري، محمد. ميزان الحكمة  
التحقيق: دار الحديث الناشر: دار  
الحديث المطبعة: دار الحديث الطبعة  
الأولى، ١٤١٦ هـ.

- الزغول، عماد. نظريات التعلم،  
دار الشروق للنشر والتوزيع،الأردن، ط١،  
٢٠٠٣ م.

- همام، طلعت. سين وجيم عن  
علم النفس التطوري، ط١، مؤسسة  
الرسالة دار عمار ، عمان: الأردن،  
١٩٨٤ م.

- صالح، أحمد زكي. علم النفس  
التربوي، ط١٣ ، القاهرة ، دار الشباب،  
١٩٨٨.

- العاملی، العلامة الشيخ محمد  
بن الحسن الحر. وسائل الشيعة تصحیح  
وتحقيق وتذییل الحقیق الحاج الشیخ محمد

الغفاری، دار الكتب الاسلامية، تهران، ۱۳۶۷ هـ.

- الليثي، الشيخ كافي الدين أبو الحسن علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ، تحقيق حسين الحسني البيرجندی، ط ۱، دار الحديث، إیران، قم، ۱۳۷۶ ش.

- مظاهري. تربية الطفل في الإسلام، ط ۲، دار البلاغة للنشر، لبنان، ۲۰۱۰ م.

- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الخطة القومية الشاملة لثقافة الطفل العربي، تونس، ۱۹۹۲ م.

- الناشف، هدى محمود. الأسرة و التربية الطفل، ط ۱، دار السيرة للنشر والتوزيع، عمان ، ۲۰۰۷ م.

- النوري، حسين. مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث الطبعة الثانية ۱۴۰۸ هـ . ۱۹۸۸ م.

- الفخرى، سالمه داود وأخرون. سیکولوجیہ الطفولة والراهقة، طبع بغداد، ۱۹۸۲.

- فرج، محمد سعید. البناء الاجتماعي والشخصية، منشأة المعارف، مصر، ۱۹۸۹ م.

- فلسفی، محمد تقی. الطفل بين الوراثة والتربية، مطبوعات الأندلس، بيروت ، ط ۱، ۲۰۰۹ م.

- الفلفلي، هناء حسين. خصائص شخصية الطفل العراقي، مجلة أحاديث في التربية والمجتمع، العدد ۱۳ ، مسلسلة التراث القومي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ۱۹۸۹ م.

- القائمي، علي. الأسرة ومتطلبات الأطفال ، دار النبلاء، بيروت ، ۱۹۹۶ م.

- القائمي، علي. دور الأب في التربية ، دار النبلاء ، بيروت ، لبنان ، ط ۲ ، ۲۰۰۸ م.

- الكليني، محمد بن يعقوب بن اسحاق، الكافي، صححه وقابله على اكبر

- النوري ، قيس. الأسرة مشروعًا  
تنموياً، بغداد، مطبع دار الشؤون  
الثقافية العامة ، ١٩٩٤ م.

- هرمز ، صباح حنا ،  
سايكلوجية لغة الأطفال ، دار الشؤون  
الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٩ م.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

الحمد لله رب العالمين

المصدر: مناقب علي بن ابي طالب عليه السلام لابن المغازلي: ص ١٨٣

# **Upbringing Of The Child In The Thought Of Imam Ali (A.S)**

By: Dr.Aqeel Rashid

The research aims to know the child's upbringing in thought of Imam Ali (pbuh) through a review of some of the words in this field, read in the light of modern educational principles, and after studying the researcher concluded, that Imam Ali (peace be upon him) has developed an integrated approach for right sound education begins to choose a righteous wife up to the needs of children (physical, emotional, social, moral, and educational). In addition to the psychological theories and modern educational related to this matter was rooted deeply rooted in Islamic thought represented by Imam Ali (peace be upon him).

# **Function of the Prophethood Study in Road of Eloquence**

By: Dr.Intesar Adnan

This study deals with the research on the functions of prophethood in the book Nahj Al-Balagha, using what came to the exegetes and commentators and scholars approach the language and speech in Imam Ali (pbuh) statement, came under two sections to ensure the first statement the concept of prophecy, and necessity, while another episode played by the monitoring functions of the prophets in the words of commander of the believers(pbu), this research has led to a set of results was highlighted by the numerous and varied functions of prophecy in road of eloquence including performance of the divine nature and excitement of result of minds and preaching and warning.

# **Eloquent Methods in the Sermons of Companions of Imam Ali (PbUH) in the Battle of Siffin**

Dr.abdul hadi abdul rahman

The Companions of Imam Ali (pbuh) play an important role in the defense of its true path, they have provided the spirit and reported to say rationality in the battle of siffin; therefore, optional signed the speeches of these distinguished for study and the detection of its eloquence aspect, aesthetic and what his campaign from a broad range of meanings, divided the Search: preface and two researches, the first devoted to the study of methods of predicates that came in their sermons and their significance, these predicates methods varied, it was predicates ,noun sentences and other verbal sentences, and rhetorical ability in each text, and studied in the second research stylistic methods, including the command method and the method of the questions, and each provided rhetorical features in the texts studied, comes for purpose other than the original purposes for which found it above all these method different purposes then ended the research with the conclusion, clarified the result of research

importance in the parent, which is merciful father and unanimous blessing from the educated you should be and you will on coming life, priming period, with good faith and clear soul».

Philosophy of history lies in the thought of Imam mature human experience and through his preaching, demonstrated by his historical references contained in the intellectual heritage of ancient origins, as giants, and pharaohs, and owners owe and explained to it said in his will to public people: «to you in previous centuries for a lesson! where are the giants, the sons of giants! where the pharaohs, the sons of pharaohs! where the owners of maddaen Persian who killed prophets and extinguished upright messengers, and return the anniversary of other toughest! where who marched with armies, and defeated the thousands, and camped the soldiers and built al maddaen».

# **Concept of a Science of History and Its Importance in the Thought of Imam Ali (A.S)**

By: Assist.Prof.Dr.Mohammed Hussein

This research attempts came under the title (the concept of a science of history and its importance in the thought of Imam Ali Ibn Abi Talib), The first Imam Ali paid great attention to all the attached great society, trying to build human rights and upgrading the level at all the levels, so it was among its concerns, devoted its attention to all the history as a tool for education and development of human mental abilities by making use of its experience over the ages, and is reflected in his will to his son Imam Hasan «which I built and that I was not lived the ages who were before me, I have considered there work and thought about telling them and walked in so I came back as one of their, but I like as concluded from their have popularized with the first to the last defined disturb so turbid and usefulness of harm it learned from you all is his lighten and elected you beautiful dismissed you unknown and I saw your

Firstly, singled in (Quranic councils) and included two demands of interpretative stances by Imam peace be upon him and the second, what was telling about him in reading. In the other side the second research was singled out in (literary and linguistic councils) opened up to several details such as:unification literature, and literature answers brief Almsketh for Imam peace be upon him and Imam in the poetry, and strange talk for Imam. Research has attempted to uncover the scientific nature which characterized Al Sayed El-Murtada to accept other views his ancestors from various sources, even those who disagree with him in belief and public opinion, turns their views and reviewed without defamation or restriction, accept that it is in a quiet, scientific, often displays the new opinion of its own in the language or the jurisprudence or rhetoric.

# **Imam Ali (PBUH) in the Councils of Al-Sayed El-Murtada**

By: Assist.Prof.Dr.Abbas Ali

---

Specify search entitled (Imam Ali, peace be upon him in the councils of Al-Sayed El-Murtada). The study of the impact of distinctive scientific common name academically (Amalie El-Murtada)Al Sharif El-Murtada aware of Huda Ali Bin Hussein Al Mousawi deceased (436a.h). Walamali collection dictate a common place in the age of the Sharif El-Murtada meant what the dictates of sheikh on his students from lectures or councils, or what is written by his handwriting. The name drawnup by Al Sayed El-Murtada in Alamalih (Gharar Al Fawaed, Durar Al Qalaed) signed in two parts, total implicity from the councils of 80 councils, distributed the Emir of the believers peace be upon him in many of them, thus we classified this beautiful remembrance with two sections are:

# **Anthropomorphism in Road of Eloquence Homilies**

By: Assist.Prof.Dr.Aseel Meteab

This research aims to study anthropomorphism in road of eloquence homilies , and required nature research to divide the three paragraphs of the first diagnostic study dealt with time expressed in specific terms (such as time and age and a day) and the second statement fulfilled the diagnostic in nature, third paragraph, limited study on diagnosis on morale, and notable results of this research excellence of Imam Ali (peace be upon him) in the use of the diagnostic method of privacy in expression. The uniqueness in the proportion of certain acts involving human security or moral nature or matters.

# **Commander of Belivers Philosophy in Manipulating Finacial Corruption**

By: Prof.Dr.Hussein Ali

There are many topics of Islamic history which have not been highlighted enough , and remained trapped in the books for long periods without being investigated . The topic that we are dealing with is suitable has not gained the attention of researchers in the manner that commensurate with its importance concerning serious adverse phenomenon had an impact on defamation of the Islamic state, which is financial corruption which spread Islamic state institution as a result of the financial and administrative policies in the period that followed the death of the Prophet (SAWS), so when the commander of the Believers Ali Bin Abi Talib (A.S) succession endeavored to eliminate this phenomenon and to develop an integrated approach to this matter, and his approach based on good selection of workers, governors, and staff with managerial expertise, competence and integrity, in addition to other qualifications, and not only this but also develop an integrated supervisory system to oversee the work of these, this system provides daily information on events taking place in the various regions of the state, and on this basis was took steps appropriate deterrent to protect national and protect state funds from overtaking, succeeded his reform a great success and contributed to the control of state administration.

# Eloquent Resemblance in Road of Eloquence

By:Prof.Dr.Abdul-Hadi Khudai

Eloquent resemblance has consequence in the creating of technical image in the creative form ,for its ability in embodiment meanings and embossing in a picture closer in deriving style and composition to eloquence ,allowed to admixture between them .

For this resemblance variety forms come , we have allocated this research one of such forms << Eloquent resemblance in road of eloquence >>after we observe noticeable of the subject in the speech of imam in nahj ,and invest this resemblance to achieve the goals of the substantive and practical represented in the purpose identified by the research.





# Abstracts

### **Board Of Editors**

Assist.Prof.Dr. Hasan Hameed  
Fayyadh.College Of Basic  
Education/Kufa University  
Assist.Prof.Dr.Adnan Marid  
Jebur /College Of Education  
For Human Sciences/Kabala  
University

Assist.Prof.Dr.Flaiyyih Khudair  
Shnee/College Of Arts/Wasit  
University

Assist.Prof.Dr.Mohammed Ayed  
al-Husseini/College of Education/  
Qadisiyah University

Assist.Prof.Dr.Abd Ali Kadhim  
Al-Fatlawi/College Of Religious  
Tourism/Karbala University

Assist.Prof.Dr.Mustafa Kadhim  
Shgedl/College Of Arts/  
Baghdad University  
Assist.Prof.Dr.Saleh Kadhim  
Ajeel Al Gburi/College Of Arts/  
Babylon University

Assist.Prof.Dr.Yousif Kadhim  
Al-Shammari/College Of Arts/  
Babylon University

Assist.Prof.Dr.Hussein Lafta  
Hafedh/Kufa Studies Center/  
Kufa University

Assist.Prof.Dr.Fahed Naeemah  
Al-Baidhani/College Of  
Education For Human Sciences/  
Karbala University

### **Proofreaders**

Assist.Prof.Dr.Layth Qabel Al-  
Waeli\ Collage Of Education  
For Human Sciences/Karbala  
University

Prof.Dr.Muayad Jasim  
Mohammed Hussein\  
Collage Of Islamic  
Sciences/Karbala University

**Financial Management**  
Zaman Jaafar Kadhim/Bachelor In Accounting

**Electronic Website**  
Ahmed Abbas Mahdi Abbas  
Bachelor In Computer Engineering/Al-Rafidain University Collage

**Copy Editors (English)**  
Ahmed Talib Mohamed  
Bachelor in English language/Baghdad University

**Design And Production**  
Mahdi Razzaq saleh

## **General Supervisor**

His Eminence Sheikh: Abdul-Mahdi El-Karbala'i  
Official Trustee of the Hussein Holy Shrine Foundation.

## **Editor-In-Chief**

Al Sayed:Nabeel Qaddori Hasan Al-Hassani  
Manager of Nahj AL-Balagha Sciences Foundation

## **Managing Editor**

Dr.Liwaa Abdul-Hasan Atiyah  
Directorate General for Education /Karbala

## **Secretary Editor**

Ali Jasim Mohammed Ali  
B.A.Business Sciences Management/Karbala University

## **Advisory Board**

Prof.Dr. Salah Mahdi Al-Fartooti,  
Kufa University - Iraq

Prof.Dr. Ali Mahdi Zeton,  
Lebanese University - Lebanon

Prof.dr. Hasan Mandeel Al-Ogaili.  
Baghdad University - Iraq

Prof.Dr. Ayad Abdul Huessein  
Al-Khafaji, Karbala University-  
Iraq

Prof.Dr. Sami Hammood Alhaj  
Jassim, Al-mustansiriyah  
University - Iraq

Prof.Dr. Jawad Kadhim Alnasrallah,  
Basra University - Iraq

Prof.Dr. Mohammed Jawad  
Al-Tureihi.Baghdad University -  
Iraq

Prof.Dr. Abdul Hadi bin ammar  
Gilovi, Gafsa University - Tunis

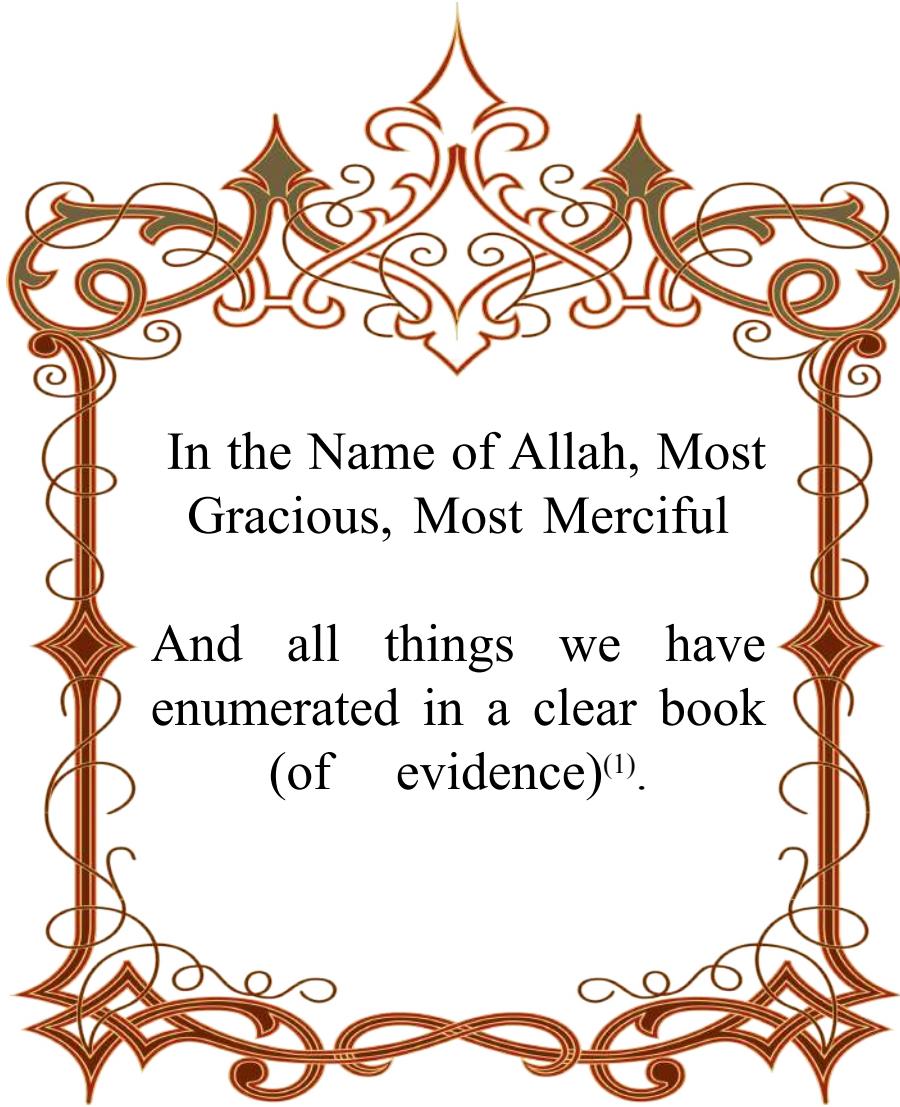
Prof.Dr. Mohammed Hasanain  
Al-Naqawy, Bahauddin Zakariya  
University - Pakistan

Prof.Dr. Hakim Habeeb AL-Graiti,  
kufa University - Iraq

Prof.Dr. Najah Fahem Al-Obaidi,  
Karbala University - Iraq

Assist.prof.dr. Ali Abdul Fatah Alhaj  
Farhood,Babylon University - Iraq





In the Name of Allah, Most  
Gracious, Most Merciful

And all things we have  
enumerated in a clear book  
(of evidence)<sup>(1)</sup>.

1- Abodullah Yussif Ali, The  
Holy Quran, Text Translation  
and Comment,(Kuwait:  
That El-salasil,1989) , Iyat  
12,Sura,Yasin.



# **AL MUBEEN**

## **Quarterly Adjudicated Journal**

Concerned with the Sciences of Road of Eloquence (Nahj Al-Balagha) and the Chronicle of Imam Ali (A.S) and his Thought

**Issued By**

General Secretariat of the Holy Shrine of Al-hussainia

Nahiul Balagha Sciences Foundation

**licensed by**

Ministry of Higher Education and Scientific Research

Reliable for Scientific Promotion

**First Year –First Issue**

2016 - 1437